الدكتور فوزى درويش

الشرق الأقصى

الصين واليابان

(١٨٥٣ - ١٩٧٢)

١٩٩٧

الفهـــرست

صفحة

تقديم ٩

الباب الأول

الفترة من حرب الأفيون إلى نهاية الحرب الروسية - اليابانية

الفصل الأول : لمحة عن تاريخ المنطقة حتى منتصف القرن التاسع عشر

لمحة عن تاريخ الصين القديم ١٣
الحضارة الصينية القديمة ١٣
المسلمون في الصين ٢٢
لمحة عن تاريخ اليابان القديم ٣٠
أصول الحكم العسكري في اليابان ٣٣
شوجنية التوكوجاوا ٣٥
التوكوجاوا وسياسة العزلة ٣٧
بداية النهاية لفترة العزلة اليابانية ٣٩

الفصل الثاني : الاقتحام الغربي للمنطقة

بداية المصالح الأوروبية في آسيا ٤٣
حرب الأفيون والمعاهدات غير المتكافئة بالنسبة للصين ٤٧
حكومات المانشو ٤٧
نظام الكوهونج ٤٨
حربا الأفيون ٤٩
معاهدة نانكنج ١٨٤٢ .... ٥٢

الفصل الثالث : ردود الفعل بالنسبة للصين

التأثيرات الأولية للتوغل الغربي ٥٥
فتنة التايبنج ١٨٥٦ .... ٥٥
حرب آرو ٥٧
معاهدة تيان تسن ١٨٥٨ .... ٥٨
اتفاقيات بكين ١٨٦٠ .... ٥٨
فترة الاضمحلال الصيني (١٨٦٠ - ١٨٩٤) ٥٩
مراسم الكاوتاو ٦١

الاختصاص القضائى ٦١
معاهدة بيرلنجيم ١٨٦٤ .... ٦٢
هجرة الصينيين للولايات المتحدة ٦٣
الدبلوماسية الروسية ازاء الصين ٦٤
الفصل الرابع : الاقتحام الغربى وردود الفعل بالنسبة لليابان
بعثة بيرى ١٨٥٣ .... ٦٧
معاهدة كاناجاوا ١٨٥٤ .... ٦٨
سقوط الشوجونية ٦٩
العهد الامبراطورى عام ١٨٦٨ .... ٧٠
الفصل الخامس : نهضة اليابان الحديثة
بداية حكم الميجى وتكوين شكل الدولة ٧٣
تغير البنيان الادارى للدولة ٧٣
الغاء اقطاعيات الدايميو ٧٤
الاصلاحات الأولى لحكومة الميجى ٧٤
الوعد بالدستور ٧٦
نهضة اليابان الحديثة ٧٦
دعائم اقامة دولة اليابان الحديثة ٧٨
الدين والدولة ٨٠
تنوع مصادر المعرفة ودقة التخطيط ٨٢
دور الدولة فى عملية التحديث ٨٤
سياسة التنازل عن المؤسسات ٨٦
نظرة على حصيلة نصف قرن من الانجازات ٨٦
الأحزاب السياسية ٩٠
التوسع اليابانى ٩١
الحرب الصينية - اليابانية ١٨٩٤ - ١٨٩٥ .... ٩٢
معاهدة شيمونوسيكى ١٨٩٥ .... ٩٤
الحرب اليابانية - الروسية ١٩٠٤ - ١٩٠٥ .... ٩٧
معاهدة بورتسموث ١٩٠٥ .... ١٠٠
اثار النصر اليابانى على الروس وانعكاساته ١٠٣

الباب الثانى

الفترة من نهاية الحرب اليابانية - الروسية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية

الفصل الأول : دخول اليابان الحرب العالمية الأولى والأهداف اليابانية

المطالب الواحد والعشرون اليابانيـة ١١٢

المعاهدة الصينية – اليابانية ١٩١٥ .... ١١٤

تسليم الحلفاء بمطالب اليابان ١١٥

الفصل الثانى : دخول الصين الحرب العالمية الأولى

التدخل الأجنبى ١١٧

الاتفاقات الصينية الروسية ١٨٩٦ .... ١١٨

الاتفاقات الصينية – الألمانية ١٨٩٨ .... ١١٨

الاتفاقات الصينية – الفرنسية ١٨٩٨ .... ١١٩

الاتفاقات الصينية – البريطانية ١٨٩٨ .... ١١٩

الولايات المتحدة وسياسة الباب المفتوح ١٢٠

حركة الملاكمين ١٢٠

اتفاقية الملاكمين ١٢٣

برامج حكومة المانشو للاصلاح (١٩٠٢ – ١٩١١) ١٢٣

الثورة الصينية لعام ١٩١١ .... ١٢٥

صحوة المانشو الأخيرة قبيل الثورة ١٣٠

عصر الجمهورية ١٣١

حزب الكومنتانج ١٣٢

دخول الصين الحرب العالمية الأولى ١٣٢

الفصل الثالث : أوضاع المنطقة فى فترة ما بين الحربين العالميتين

القيادة العسكرية فى الصين ونهضة الكومنتانج ١٣٥

المؤتمر الوطنى الأول للكومنتانج ١٩٢٤ .... ١٣٨

ظهور تشيانج كاى شيك والزحف نحو الشمال ١٣٨

الاتجاهات الاقتصادية فى اليابان بعد الحرب العالمية الأولى ١٤٠

الوضع السياسى اليابانى بعد الحرب العالمية الأولى ١٤٢

حملة سيبيريا ١٤٢

مؤتمر واشنطن ١٩٢٢ .... ١٤٤

الفصل الرابع : الحرب اليابانية - الصينية (الثانية)

جذور المشكلة ١٤٩
بدء الصراع الفعلى ١٥١
اليابان على المسرح الأوروبى ١٥٤
علاقات اليابان مع ألمانيا وروسيا ١٥٥
علاقات اليابان مع الولايات المتحدة ١٥٦
ضرب بيرل هاربور ١٩٤١ .... ١٥٨
الهجوم المضاد على اليابان ١٦٢
مؤتمر القاهرة ١٩٤٣ .... ١٦٤
مؤتمر يالتا والمخطط السوفيتى فبراير ١٩٤٥ .... ١٦٤
استسلام اليابان (١٠ أغسطس ١٩٤٥) ١٦٧

الفصل الخامس : أوضاع المنطقة عقب الحرب العالمية الثانية

احتلال اليابان ١٦٩
كيفية تصفية الاستعمار اليابانى ١٦٩
معاهدة الصلح اليابانية ١٩٥١ .... ١٧١
أوضاع اليابان الاقتصادية عقب الحرب العالمية الثانية ١٧٦
المسيرة الشيوعية الصينية الكبرى وزعامة ماوتسى تونج ١٧٧
استيلاء الشيوعيين على السلطة فى الصين ١٨٢
الاتفاق الصينى السوفيتى ١٩٥٠ .... ١٨٣

الباب الثالث
الصين المعاصرة وتطور علاقاتها الدولية

الفصل الأول : العلاقات الصينية - الأمريكية المعاصرة

المسألة الكورية ١٨٧
طبيعة العلاقات قبل الحرب الكورية ١٩٢
العلاقات بين البلدين أثناء الحرب الكورية ١٩٦
استمرار المواجهة بين الولايات المتحدة والصين عشرون عاما ١٩٧
تطور العلاقات نحو التفاوض ١٩٨
الانفراج الصينى - الأمريكى ١٩٩

رحلة كيسنجر للصين ٢٠١
رحلة الرئيس نيكسون للصين ٢٠٦
مشكلة تايوان ٢١٣
الفصل الثانى : العلاقات الصينية - الروسية المعاصرة
مرحلة التحالف الصينى - السوفيتى ٢٢٣
مرحلة الصراع الصينى - السوفيتى ٢٢٨
خطاب خروشوف ٢٢٨
المعونة السوفيتية النووية للصين ٢٢٩
نقطة اللاعودة فى العلاقات ٢٣٤
المواجهة بين البلدين ٢٣٥
أثر الفجوة الحضارية على العلاقات الصينية - السوفيتية ٢٣٦

الباب الرابع
اليابان المعاصرة

الفصل الأول : اليابان المعاصرة
اليابان وإعادة البناء ٢٣٩
بداية الصحوة ٢٣٩
قوات الدفاع الذاتى ٢٤٣
معاهدة الأمن ٢٤٤
الفصل الثانى : المعجزة الاقتصادية
عوامل تحقيق المعجزة ٢٤٧
اقتصاد المنتج والعزم اليابانى ٢٥١
الفصل الثالث : النظام التعليمى فى اليابان
الخواص الأساسية فى التعليم اليابانى ٢٥٣
النظام التعليمى بعد الحرب العالمية الثانية ٢٥٨
خاتمة ٢٦٠
مصادر البحث ٢٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديم

دراسة منطقة الشرق الأقصى من الموضوعات التى تثير الاهتمام حقا لتزايد أهميتها على المسرح الدولى سواء على الصعيد السياسى والاقتصادى خاصة فى العصر الحديث والمعاصر . ففى هذه المنطقة تحققت المعجزة اليابانية التى لا تزال تحير الالباب حتى اليوم ، وفيها العملاق الصينى بحضارته التليدة وثورته الحديثة لعام ١٩٤٩ بزعامة ماوتسى - تونج التى جددت شباب الصين حتى اذا فجرت قنبلتها الذرية الأولى عام ١٩٦٤ وأكدت ذاتها كقوة نووية صاعدة ، قام الرئيس الأمريكى نيكسون فى عام ١٩٧٢ بزيارته التاريخية المثيرة للصين الشعبية التى طالما انكرت الولايات المتحدة تمثيلها للشعب الصينى . لذلك كان اختيارنا لهذة الفترة الزمنية لهذا الكتاب لتكون بدايتها انفتاح اليابان على الغرب بعد قدوم بعثة بيرى (١٨٥٣) لدعوة اليابان للانفتاح والتعامل مع الولايات المتحدة وما ترتب على هذا الانفتاح من اثار بالغة بالنسبة لليابان والمنطقة بأسرها ، وأما نهاية الفترة الزمنية فقد اخترنا لها عام ١٩٧٢ تاريخ هذه الزيارة الأمريكية المثيرة للصين .

ولقد دفعنى إلى اعداد هذا البحث افتقار المكتبة العربية لمثل هذه المؤلفات رأيت لزاما على أن أقوم بتأليف كتاب عن تاريخ هذه المنطقة وزاد هذا الدافع عندما طلب إلى تدريس هذه المادة فى كلية الآداب والعلوم الانسانية .

الأمر الثانى الذى نود الاشارة اليه هو أن الدراسة انصبت فى أساسها على عملاقى المنطقة وهما الصين واليابان حتى لا يخرج الكتاب عن الحيز المعقول له نظرا لكثرة الوحدات السياسية فى المنطقة وإن أتى نكر بعض هذه الوحدات فى ثنايا البحث على أمل أن يوفقنا الله تعالى فى اصدار كتاب يحوى دراسة هذه الوحدات تحت عنوان الصراع الدولى على الأقاليم الصغرى فى الشرق الأقصى .

ويقع المؤلف فى ثلاثة أبواب يضم أولها تاريخ المنطقة من حرب الأفيون (١٨٤٠ - ١٨٤٢) حتى نهاية الحرب اليابانية - الروسية ١٩٠٥ . وقد تضمن الفصل الأول من هذا الباب لمحة تاريخية موجزة عن تاريخ المنطقة القديم وحتى منتصف القرن التاسع عشر أى حتى بداية انفتاحها على العالم الخارجى . وتضمن الفصل الثانى عملية الاقتحام الغربى للمنطقة ، فى حين عرض الفصل الثالث لرد فعل الصين إزاء عملية الاقتحام حيث قابلها بالثورة وحيث فرضت عليها هذه الدول بقوة السلاح عددا من المعاهدات غير المتكافئة بعد حرب الأفيون رغبة فى اخضاع هذا العملاق وفرض الانفتاح عليه بالقوة لاستغلال امكاناته الهائلة .

وتناول الفصل الرابع عملية الاقتحام الغربى لليابان ورد فعلها بالنسبة له حيث ايقنت اليابان من أول لحظة أنه لا سبيل لديها لمواجهة هذا « العدوان » الغربى الا بحيازة ما لديه من أسباب التقدم لمحاربته بنفس أسلوبه واكتساب علوم ومهارات هى شغوفة أصلا بالتزود

١٠ فكانت سببا لنهضتها التى أخذت شكل المعجزة . أما الفصل الخامس من هذا الباب الأول فقد عرض لنهضة اليابان الحديثة منذ عصر الميجى وأسس قيام هذه النهضة بشىء من التحليل ، وكيف أسفرت هذه النهضة عن تولد الرغبة فى التوسع وتأكيد الذات لدى اليابانيين وتجلى ذلك فى حربها الأولى مع الصين (١٨٩٤ - ١٨٩٥) ثم حربها مع روسيا (١٩٠٤ - ١٩٠٥) ، وانتصارها فى كلا الحربين نتيجة ما توفر لديها من أسباب التكنولوجيا والعلوم الحديثة مما أسال لعابها على مزيد من الغزو والرغبة فى احتلال مركز هام على المسرح الأسيوى والعالمى .

أما الباب الثانى فقد تناول الفترة من نهاية الحرب اليابانية - الروسية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية وضم فى ثناياه الفصل الأول من دخول اليابان الحرب العالمية الأولى ، وبيان الأهداف اليابانية من دخول هذه الحرب ثم المطالب اليابانية التى فرضتها اليابان على الصين وتسليم الحلفاء بهذه المطلب لاحتياجها للجهد الحربى اليابانى . وعرض الفصل الثانى لدخول الصين الحرب العالمية الأولى وما تحقق لها منها مرورا بحركة الملاكمين ، وثورة الصين عام ١٩١١ ثم الاطاحة بحكم المانشو ونشوء حزب الكومنتانج الذى لعب دورا أساسيا هاما فى السياسة الداخلية والخارجية الصينية .

وتناول الفصل الثالث من الباب الثانى أوضاع المنطقة فى فترة ما بين الحربين العالميتين فعرض للقيادة العسكرية فى الصين وظهور زعامة تشيانج كاى شيك ومحاولته توحيد البلاد ثم الوضع السياسى لليابان بعد الحرب العالمية الأولى وظهورها بمظهر شرطى الحراسة فى المنطقة وتصاعد مكانتها فيها . أما الفصل الرابع فقد انصب على الحرب اليابانية - الصينية (الثانية) وكيف استمرت حتى صارت جزءاً من الحرب العالمية الثانية وامتدت على امتدادها الى أن تمكنت اليابان من ضرب بيرل هاربور عام ١٩٤١ عقب تدهور العلاقات بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم استسلام اليابان . وقد تناول الفصل الخامس أوضاع المنطقة عقب الحرب العالمية الثانية بما فى ذلك احتلال اليابان ومعاهدة الصلح معها (١٩٥١) والمسيرة الشيوعية التى أسفرت عن زعامة ماوتسى - تونج واستيلاء الشيوعيين على السلطة فى الصين ثم الاتفاق الصينى - السوفيتى (١٩٥٠) .

على أننا افردنا الباب الثالث عن علاقات الصين المعاصرة مع كل من الولايات المتحدة فى الفصل الأول ثم علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى فى الفصل الثانى منه .

أما الباب الرابع والأخير فقد تناول اليابان المعاصرة . ففى الفصل الأول تم تناول وضع اليابان وهى تحاول إعادة البناء فى حين تناول الفصل الثانى ظهور المعجزة الصناعية ثم الاقتصادية اليابانية . وذلك فى إطار الفترة الزمنية التى تم اختيارها وفى الفصل الثالث عرضنا للنظام التعليمى فى اليابان .

والله نسأل أن يوفقنا إلى سواء السبيل وهو ولى التوفيق .

المؤلف

الباب الأول

الفترة بين حرب الأفيون إلى نهاية الحرب الروسية - اليابانية

الفصل الأول
لمحة عن تاريخ المنطقة حتى منتصف القرن التاسع عشر

أولا : لمحة عن تاريخ الصين القديم

أ - المجموعات العنصرية للسكان

يتألف سكان الصين من عدة فروع من الجنس شبه المغولي ، وقد ظهر ذلك بصفة رسمية عند اعتراف جمهورية الصين فى عام ١٩١٢ بخمس مجموعات عنصرية كبرى ولقد تمثل ذلك فى علمها الذى يحتوى على خمسة خطوط يمثل كل خط منها عنصراً من العناصر الخمسة . فاللون الأحمر يرمز للعنصر الصينى ، والأصفر لعنصر المانشو ، والأزرق للعنصر المغولى ، والأبيض لعنصر التبت ، والأسود لعنصر سينكيانج(١) .

وإلى جانب ذلك توجد عناصر الكوريين فى شمال الصين ، وعنصر الشان فى جنوبها ، كما نجد أن العنصر الصينى يتمركز بصفة خاصة فى المقاطعات الصينية القديمة ، بينما يكثر المغول فى منغوليا الخارجية ، وعنصر التبت فى هضبة التبت ، أما الأتراك فيتركزون فى اقليم سينكيانج . وبالنسبة لعنصر المانشو فان غالبيتهم اندمجوا فى العناصر الأخرى ، فى حين ظلت بعض الجماعات منهم تقطن شمالى سور الصين العظيم . ويختلف سكان الصين فى مميزاتهم الجنسية وفى طباعهم بمثل ما يختلف الأوروبيون من سكان إسكنديناوة من ذوى الاجسام الضخمة واللون الأشقر عن سكان حوض البحر الأبيض المتوسط الأصغر حجما والأدكن لونا .

ب - الحضارة الصينية القديمة

يرى بعض المؤرخين أن الشعب الصينى هاجر فى البداية من اواسط اسيا إلى اعالى وادنى النهر الأصفر فى فترة زمنية تمتد من ٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، ومع ذلك فإن الكشوف الأثرية تحملنا على الاعتقاد بأن الصينين يحتمل أن يكونوا قد وفدوا إلى شمال الصين قبل ذلك بعدة آلاف من السنين(٢) .

---

(1) Chalux, Autour du conflit Sino-Japonais p. 110

(٢) الشرق الأقصى . موجز تاريخى تأليف : (Chester Bain)
وترجمة : حسين الحوت ، وفريد عبد الرحمن ، الألف كتاب ص ص 2,1

ومن المعلوم أن الحضارات القديمة مثل حضارة السومريين (Sumers) وحضارة مصر القديمة والحضارة البابلية ، والهندية كلها نمت وازدهرت فى وديان وعلى ضفاف أنهار كبرى، فكذلك الحال بالنسبة للصين التى أنشأت حضارتها على ضفاف نهر الهوانجهو « النهر الأصفر » فى شمال الصين وفى منطقة تبعد حوالى ٣٢٠ كيلو مترا جنوبى مدينة بكين الحالية .

وفى حين تذهب الأساطير الصينينة القديمة إلى القول بأن الحضارة الصينية تمتد جذورها إلى نحو ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد – إلا أنه ليس هناك من الدلائل التاريخية أو الأثرية ما يدعم هذا القول . وتذكر بعض المصادر التاريخية الصينية المكتوبة أنه كانت هناك أسرة حاكمة صينية تسمى أسرة هسيا(Hsia) بدأت حكمها للصين فى حوالى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

بيد أن أقدم الشواهد الأثرية تدل على وجود أسرة حاكمة صينية تسمى أسرة شانج (Shang) كان أول اباطرتها يسمى تانج (T'ang) وقد امتد حكمه خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد ، فى الفترة من ١٦٠٠ – ١٥٠٠ ق . م وكان هذا الحاكم يمارس سلطانه فى العاصمة تشنج – تشو التى تقع على نهر الهوانجهو[1] .

ومن الخواص التى ميزت الحضارة الصينية أنها اخترعت العجلة كوسيلة لتحريك المركبات – دون أن تنقلها عن أية حضارة أخرى من حضارات الشرق الأدنى . ومن ثم استطاع الصينيون صنع المركبات ذات العجل والمحاور واستخدموها فى حياتهم اليومية فى زمن مبكر .

ومن ناحية أخرى فقد كان الصينيون أول من اهتدى إلى سر غزل الحرير من شرنقة دودة القز ، واحتفظوا بهذا السر لعدة مئات من السنين .

ولقد حاولت بقية الحضارات الاهتداء إلى كنه هذا الحرير وطريقة صنعة عبثا فقنعت باستيراده من الصين . ومن العجيب أن اليابانيين كانوا أول من نقل هذا السر من الصينيين .

ولقد استمرت أسرة شانج فى ممارسة نفوذها لعدة قرون بسبب مهارتها فى صهر المعادن ، واستخدام المركبات ذات العجل التى تجرها الخيول ، الأمر الذى دفع عنهم غائلة الغزو ومن ناحية الشمال والغرب من جانب القبائل الهجمية التى كانت تتحين الفرص لمداهمة الحضارة المزدهرة فى وادى النهر الأصفر .

---

(1) Plantagenet Somerset fry, The History of the world pp. 61,62.

ولم يكن لدى أسرة شانج الرغبة فى الغزو والتوسع لذات الغزو وانما كانوا يرغبون فى نشر أسلوب حضارتهم المتفوقة بين جيرانهم .

ثم ما لبث أن ظهرت مجموعة بشرية صينية يطلق عليها اسم تشو (Chous) وفدت على البلاد من المرتفعات الغربية واتجهت صوب الوادى الأوسط فى المنطقة ما بين نهر الهوانجهو ونهر اليانجتسى واستوعبت هذه الموجة البشرية حضارة أهل الشانج ، وانتهى الأمر بأن تمكن أهل تشو من الاطاحة بامبراطور الشانج فى عام ١٠٢٧ ق . م .

أسرة التشو وبناء السور العظيم

من الملاحظ أن الصين تقع على بعد مسافة طويلة من القارة الأوروبية وكذلك الحال عن منطقة الشرق الأدنى ، كما يفصلها عن الهند سلسلة جبال الهملايا التى تحتوى أعلى قمم جبلية فى العالم ، اما من ناحية البحر ، فانه لكى يتسنى بلوغ أراضى الصين فيقتضى المرور حول ساحل الملايو الصعب الارتياد . ومن جهة أخرى ففى شمال الصين وغربها مساحات هائلة من الصحارى المقفرة ، لذلك فقد ظلت الحضارة الصينية منعزلة عن بقية الحضارات الأخرى مما هيأ لها فرصة النضوج نضوجا مستقلا دون ايه مؤثرات من الخارج .

وفى نحو عام ١٠٢٧ ق . م تمكنت اسرة التشو (Chous) من الاطاحة باسرة شانج كما أسلفنا ، وتمكنت هذه الأسرة من بسط نفوذها فلم يحل القرن العاشر ق . م . حتى كانت لهم امبراطورية ضخمة . لكنهم تعرضوا لغزوات البرابرة من ناحية الغرب فاتجهوا ناحية الشرق حيث استقرت حضارة التشو لبضع مئات من السنين .

وحقيقة الأمر أن حضارة التشو نمت بشكل هائل حتى أصبح من المتعين تقسيم البلاد إلى عدة مناطق ليسهل ادارتها ، وأصبحت هذه المناطق بمرور الزمن تتنازع مع بعضها البعض . وكان أقوى هذه المناطق وأشدها بأسا هى منطقة تشو (Ch'u) فى جنوب البلاد ، ومنطقة التشين (Ch'in) فى غربها . وانتهى الأمر بانتصار التشين وسيطرتها على كامل أراضى الصين . ومن هنا اتخذت الصين اسمها .

على أنه فى عصر هذه الأسرة ظهر عدد من المفكرين والفلاسفة كان ابرزهم : كونج فو تزى (kung Fu-tze) حوالى عام ٥٥٠ ق . م . وهو ذلك المفكر والمصلح المشهور كونفوشيوس (Confucius) ولقد تقلد كونفوشيوس منصب القاضى لمعظم حياته وانصبت اهتماماته على تحسين أحوال معيشة البشر من حوله ، وكان هذا المفكر يظن أن ذلك التحسين لن يتأتى الا عن طريق موقف معقول يتخذه المرء بازاء الحياة والناس من حوله .

ومن الجدير بالذكر أنه في حوالي عام ٢٢٠ ق . م . قام أحد الاباطرة الصينيين المشهورين بقوة شكيمته وشدة البأس هو : تشين شيه هوانج تي (Chin Shih Huang-ti) بالقبض على زمام السلطة بيد من حديد ، وتمكن في ظرف عشر سنوات من ضم كافة مناطق الصين في دولة قوية واحدة ، وتمكن في الوقت ذاته من صد غارات البرابرة ، وشرع في بناء سور الصين العظيم في الفترة ما بين ٢١٨-٢٠٤ ق.م. ذلك السور العظيم الذي لا يزال جزء كبير منه يطاول الزمان حتى يومنا هذا ، وكان طول السور عند الانتهاء من تشييده ١٥٠٠ ميلا ويعد بذلك أروع مشروع دفاعي في العصور القديمة . ويبدأ السور من نقطة تبعد حوالي ٣٥ ميلا من الشمال الشرقي من بكين ثم يتجه شرقا بوجه عام حتى بلاد تركستان الصينية متمشيا مع طبيعة سطح الأرض . وقد سخر الامبراطور تشين نحوا من ربع مليون عامل ووضع ملايين من الدواب في بنائه مما يشهد على ما يتمتع به الصينيون من صبر وجلد [١] .

وبعد مرور أربعة سنوات من وفاة هوانج تي تمكنت أسرة جديدة قوية من السيطرة على مقاليد الحكم وقد ورثت عن أسرة التشو حكومة مركزية قوية لدولة موحدة مستقرة ، تلك هي أسرة هان .

الصين تحت حكم أسرة هان Han العظيمة

رأينا أن آخر اباطرة أسرة تشين وهو شيه هوانج تي قد مهد السبيل أمام مزيد من ازدهار الصين ، حيث خلف نظاما اداريا كان في حقيقة الأمر النواة السليمة لقيام البيروقراطية المدنية العظيمة التي اشتهرت بها الصين منذ أقدم العصور ، ذلك الجهاز البيروقراطي الذي سبق نظيره الروماني بنحو قرنين كاملين من الزمان ، كما سبق النظام المدني البيروقراطي في غرب أوروبا بنحو ١٧٠٠ عاما على أقل تقدير [٢] .

ولما توفي هوانج تي عام ٢١٠ ق . م . قامت ردة على إصلاحاته ، وخلفه أحد الفلاحين الصينيين ممن توافرت لهم القدرة والشجاعة يدعى هوليوبانج (٢٠٦ - ١٩٥ ق . م .) ، وكان هوليو أول حاكم من أسرة جديدة شهيرة في تاريخ الصين القديم هي أسرة هان (Han) ، هذه الأسرة التي دام حكمها للصين نحو أربعة قرون .

---

(١) حسن محمد جوهر وعبد الحميد بيومي الصين ص ٥٤ .

(2) Somerset, P. op. cit. op. 171

والجدير بالذكر أن ثقل واهمية أسرة هان فى منطقة الشرق الأقصى كانت تضاهى ثقل وأهمية الامبراطورية الرومانية فى الغرب ، فقد كانت الاصلاحات الاقتصادية والإجتماعية التى أنجزتها أسرة هان سبيلا يكفل وحدة الصين وازدهارها .

ومما يذكر فى هذا السياق أنه فى عصر هان تمكن الصينيون من اكتشاف أن صب الماء الساخن على أوراق شجر الشاى تنتج مشروب الشاى المعروف لنا حاليا . وعلى هذا النحو ازدهرت زراعة الشاى وانتشر استخدامه والمتاجرة فيه . كذلك بدأ أباطرة هذه الأسرة فى مد نطاق أراضيهم لتشمل جنوب شرق أسيا وأواسطها . وسيطر الصينيون بهذه الكيفية على مساحات من الأراضى تضاهى ما سيطر عليه الرومان فى أقصى اتساع بلغته امبراطوريتهم .

ومن المظاهر الآخرى التى أثارت انتباه المؤرخين وجعلتهم ينظرون باحترام إلى حضارة الشعب الصينى هو إختراع الصينيين للورق فى نحو عام ١٠٠ بعد الميلاد وكذلك إنتشار الكتابة لديهم باستخدام الفرشاة والمحبرة . وفى هذه المرحلة التاريخية من حياة الصينيين قام كتابهم بتأليف معاجم لغوية ، ووضع قواعد اللغة وفضلا عن ذلك تمكن الصينيون خلال حكم أسرة هان من إكتشاف البارود وإن كانوا لم يستخدموه إلا فى الألعاب النارية .

على أن بعض المؤرخين يذهب إلى تقسيم عهد هذه الأسرة لما له من أهمية إلى جزئين متمايزين : الجزء الأول ، ويمتد من الفترة ما بين ٢٠٠ ق . م . إلى ١٠٠ بعد الميلاد . والجزء الثانى ، ويشكل ما تبقى من حكم هذه الأسرة . فأما بالنسبة للجزء الأول فيتميز بسيطرة أسرة هان على كبار الملاك وتقسيم البلاد إلى ثلاثة عشر مقاطعة ، ولا يزال هذا التقسيم قائما حتى يومنا هذا . وعلى الرغم من أن أباطرة هذه الأسرة كانوا ينعمون بدرجة كبيرة من الاستقرار ، إلا أن كثيرا من حكامهم كانوا يشتبكون بصفة مستمرة مع البرابرة من عنصر الهون (Huns) الذين كانوا يغيرون على الصين انطلاقا من مناطق الاستبس الروسية .

وتذكر لنا بعض المصادر التاريخية أن أحد هؤلاء الاباطرة ويدعى وو- تى (Wu-Ti) الذى كان يحكم فى الفترة ١٤٠ - ٨٧ ق . م . قد قضى غالبية حكمه فى حالة اشتباك مع هؤلاء المغيرين ، وقد استطاع هذا الامبراطور غزو كل من منشوريا ، وكوريا ، وجنوبى الصين والهند الصينية (التى تشكل حاليا فيتنام وكمبوديا ، ولاوس) وضم كل هذه الأراضى الى الامبراطورية الصينية ، كما سيطرت الحضارة الصينية منذ ذلك العهد فصاعدا على هذه المناطق .

وأما أباطرة الجزء الثانى من عهد الأسرة ، فلم تكن فترة حكمهم أقل إزدهارا من الجزء الأول ، ففى عام ٩ بعد الميلاد تمكن الامبراطور وانج مانج (Wang mang) من اغتصاب العرش من أحد أقاربه من نفس الأسرة . وقام هذا الحاكم بتأميم كافة الأراضى فى البلاد ثم أعاد توزيعها على الفلاحين ، كما قدم سلفا لهم لتشجيعهم على زراعة الأرض إلى جانب قيامه بتثبيت الأسعار عند مستويات مقبولة وتحكم فى الإنتاج والتوزيع لبعض المواد الخام مثل الملح والحديد وغيرها .

وحقيقة الأمر أن الصين مارست فى هذا العهد نوعا من الاشتراكية سبق بما يزيد على الف وتسعمائة سنة ما عرفته الصين من نظام شيوعى فى ظل الزعيم ماوتسى – تونج . بيد أن هذه الاصلاحات التى أتى بها وانج مانج لم تقابل بالارتياح من الفئات العليا فى المجتمع الصينى حينذاك ولا حتى من جانب الفلاحين ، الأمر الذى اضطره فى أواخر أيام حكمه إلى السعى للرجوع عنها ، ولكن الوقت كان قد فات فقامت ثورة عليه فى عام ٢٣ م راح هو ضحيتها وخلفه أحد أباطرة الأسرة يدعى كوانج وو – تى ، ولقد عمد كوانج ومن تلاه فى الحكم من أسرة هان إلى مواصلة غزواتهم فى مناطق شرق آسيا ووسطها .

ومما يذكر أن أحد القواد العسكريين لبعض الاباطرة ويدعى تشاو (Tshao) والذى تولى رئاسة الجيش فى الفترة من ٧٢ – ٩٦م ابتدع نظام الحراسة المنتظمة لطريق تجارة الحرير مع الامبراطورية الرومانية .

وعلى أية حال ، ففى نهاية القرن الثانى الميلادى تمكن أحد القواد العسكريين ويدعى تساو (Tsao) من السيطرة على مقاليد الحكم وانتهى عصر أسرة هان التليدة . وينبغى ألا يغيب عن الذهن أن أسرة هان قد لعبت دورا فى تاريخ الشرق الأقصى لا يقل حيوية وروعة عن ذلك الدور الذى لعبته روما فى تاريخ أوروبا والشرق الأدنى ، ففى خلال عهد هذه الأسرة تمكن أباطرتها من بناء صرح الحضارة الصينية الذى استمر راسخا حتى يومنا هذا رغم المحاولات المتعددة التى كانت ترمى إلى تقويضه .

الصين والبرابرة فى عهد تانج

رأينا فيما سبق أنه فى نهاية القرن الثانى الميلادى تمكن تساو من وضع حد لحكم أسرة هان العظيمة ، وعمت الفوضى البلاد وانقسمت إلى ثلاثة ممالك متناحرة . ثم سادت الوحدة بينها مرة أخرى فى عام ٢٥٠ عند انتصار إحدى هذه الممالك ، ولكن هذه الوحدة لم يكتب لها الاستمرار حيث هاجم البرابرة حدود الصين ، ورغم سور الصين العظيم ، فانه لم يثبت كفايته الكاملة نظرا لشراسة الهجمات .

والحقيقة أن أباطرة الصين ارتكبوا فى هذا العهد نفس الخطأ الجسيم الذى وقع فيه الرومان والذى أدى إلى نفس الفجيعة وهى اللجوء إلى بعض قادة البرابرة من أجل حماية الحدود من بعض القادة الآخرين من البرابرة . وكانت النتيجة أن صار هؤلاء البرابرة الأجانب هم سادة البلاد .

ولقد كانت هناك مجموعة من هؤلاء البرابرة تتكون من خليط من الأتراك ، والمغول وقبائل الهون ، وتحركت هذه المجموعة من وسط روسيا صوب الصين وبعد أن اعتدت على الصين حاولت امتصاص هذه الحضارة الصينية المتقدمة التى وجدوها هناك . ويبدو أن هؤلاء البرابرة اعتنقوا التعاليم البوذية التى سبق أن ادخلتها أسرة هان إلى الصين ، والأمر الهام فى هذا الصدد هو أن هذا الاعتناق كان عاملا هاما فى تطور الصين اذ تسبب فى إستمرارية الفكر والحضارة الصينية التى مكنت الصين من التطور الثابت خلال زمن كانت بقية الحضارات قد أصابها سبات عميق أو تلاشت تماما مثل الحضارة الهندية .

وفى بداية القرن السابع استولت أسرة تانج على السلطة فى الصين وبدأ بذلك عصر جديد من عصور الحضارة الصينية تميز بموجة جديدة من الإختراعات الصينية مثل الطواحين المائية وتطور نظام الطباعة والأوانى الرائعة دقيقة الصنع من البورسلين . واشتهر عصر أسرة تانج بجمال النقوش والرسوم ، وكذلك تم تطور نظام الخدمة المدنية فى عهد هذه الأسرة حتى أصبح لديها نظام متطور استطاع التنسيق الدقيق بين كافة أجهزة الحكم .

ومن الجدير بالذكر إنه فى هذه الفترة المزدهرة من التاريخ الصينى ، انتشرت الافكار الصينية إلى كل من اليابان ، وكوريا وكافة منطقة جنوب شرق آسيا ووصلت إلى منطقة التبت غربيا . وفى هذه الآونة بدأت اليابان تظهر وتنفض عنها أحوالها البدائية ، وكان انتشار البوذية إلى اليابان سببا فى تطوير سلوك وأفكار اليابانيين ، وقامت اليابان من ناحيتها بعملية نقل حضارى واسعة ، سواء فى نقل البوذية كفكرة وعقيدة أو فى نقل أسلوب المعيشة والعادات الاجتماعية ونظم الادارة المدنية الصينية .

وعلى الرغم من ازدهار الصين فى هذا العهد إلا أن الصين تعرضت لمخاطر الغزوات من جانب الأتراك والمغول ، ففى حوالى عام ٩٠٠ أصبحت أسرة تانج من الضعف بحيث لم يعد يتسنى لها مقاومة هذه الضغوط الخارجية وبدأت هذه الامبراطورية تخضع – ولاية بعد أخرى – لوطأة البرابرة حتى أن كيان الحضارة الصينية أصبح فى مجمله مهددا بالإنهيار حينما بدأ القائد المغولى المشهور جنكيز خان سلسلة هجماته وغزواته . ففى بداية القرن الثالث عشر اتجه هذا القائد العسكرى ببصره ناحية الصين وأعد نفسه لغزوها .

وواقع الأمر أن جنكيز خان قام بأول هجماته على الصين عام ١٢٠٦ وكان يخطب فى قواته قائلا : « إن أباطرة الصين قد أساؤوا إلى أجدادنا كثيرا ، كما أساؤوا إلى أقاربى ، والآن فإن الله قد وعدنى بأن النصر سوف يكون حليفى » . واستطاع جنكيز خان ورجاله اختراق سور الصين العظيم من ثلاثة أماكن ولم يحل عام ١٢١٧م حتى كانت مناطق الصين الشمالية فى قبضة يده .

ومن المعلوم أنه فى عام ١٢٢٥م أصبح جنكيز خان سيدا مسيطرا على كل آسيا فيما عدا الهند وامبراطورية سونج (Sung) فى جنوب الصين ، ولما توفى جنكيز خان فى عام ١٢٢٧م أثناء قيامه بحملة تفتيشية فى الصين خلفة ابنه أوجداى الذى تقدم فى مجاهل روسيا حتى بلغ موسكو ، ثم ولى وجهه صوب الغرب باتجاه أوروبا واجتاح بولندا ، ورومانيا ، والمجر حتى أن أوروبا حبست أنفاسها فى إنتظار إحتمال عبوره نهر الدانوب إلى كل من ألمانيا وفرنسا .

ولكن أوجداى (Ogdai) توفى عام ١٢٤١م وبدأت جيوشه تنحسر فجأة باتجاه روسيا مرة أخرى حتى تمركزت على طول نهو الفولجا ، وجاءت فترة ساد النزاع بين أبناء وأحفاد جنكيز خان بعضهم بعضا . ثم ما لبث أن جاء قوبلاى خان أحد أحفاد جنكيز خان إلى بكين كملك ، واتخذ مظهر الأباطرة الصينيين ، وتعلم مساعدوه اللغة الصينية واعتنق البوذية وتمت مباشرة الطقوس الصينية فى بلاطه الخاص(١) .

وبعد عام ١٢٥٠م بفترة قليلة تمكن قوبلاى خان من غزو امبراطورية سونج الصينية وأصبح امبراطورا عليها فى عام ١٢٦٠م ، وتمكن من إقامة حكم أسـرة يوان (Yuan) المغولية فى الصين ، وحكم قوبلاى خان كافة أرجاء الصين بالإضافة إلى الأراضى المغولية التى كانت تمتد من روسيا حتى بحر الصين .

ولكن قوبلاى شأنه شأن كافة من غزوا الصين أصبح متأثرا بالحضارة الصينية أكثر من الصينيين أنفسهم وغص بلاطه بالموظفين الصينيين . ومما يجدر ذكره أن الفخامة ومظاهر الأبهة والثروة فى الأسواق والمحلات كان مما أذهل الرحالة الايطالى المعروف ماركو بولو (Marco Polo) الذى زار بلاط قوبلاى خان فى بكين ١٢٧٥م .

أوضاع الصين فيما بعد قوبلاى خان

حينما توفى قوبلاى خان عام ١٢٩١م خلفه أحد أبنائه تيمور خان ولكن يلاحظ أن

---

(1) Platagenet Somerset Ibid. P. 267

الصينيين لم يرحبوا بجنكيز خان أو أحفاده من بعده باعتبارهم دخلاء رغم أنهم اتخذوا كافة المظاهر الصينية ، لذلك ظهرت عناصر مناوئة فى جنوب البلاد ، وقامت ثورة ضد أحفاد قوبلاى خان وتزعم هذه الثورة شو – ين تشانج (Shu yuen Chang) واستولت هذه العناصر على بكين عام ١٣٦٨ وبذلك انتهى عصر الأسرة المغولية فى الصين عام ١٣٦٨ لتظهر أسرة حاكمة صينية جديدة هى أسرة (Meng) بزعامة أول أباطرتها تشيو – اين – تشانج .

حكم أسرة منج : (١٣٦٨ - ١٦٤٤)

ولقد ضربت أسرة منج ستارا عازلا على الصين ، وكان الشعور السائد لديها أن الاتصالات المتزايدة مع الغرب تجعل الصين عرضة لمطامع الطامعين وفى عصر أسرة منج تمكن أحد أباطرتها من غزو منغوليا . ولكن أهم ما ميز هذه الأسرة هو إنجازاتها الحضارية حيث بلغت صناعة الأوانى الخزفية درجات عاليه من الدقة والروعة ، حتى أن الأوانى التى ترجع إلى ذلك العصر تباع بأسعار خيالية فى أسواق الاثار العالمية . وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء حكم أسرة منج بدأت جماعات ممن أطلق عليهم الصينيون صفة البرابرة ذوى الشعر الأحمر « الوفود من أوروبا » والإعتداء على شواطىء الصين واتخذت أفعالهم هذه مظهرين مختلفين : المظهر الأول تمثل فى النشاط التجارى ، أما المظهر الثانى فقد تجسد فى نشاط البعثات التبشيرية وتركزت جهود التجار فى منطقة السواحل الجنوبية حتى أصبحت مدينة « كانتون » مركزا للتبادل المنتظم بين السلع الصينيةمن الحرير والخزف ومواد الترف وبين السلع الأوروبية المتنوعة التى تشمل الفضة وبعض المصنوعات . أما بالنسبة للتوغل الدينى التبشيرى فكان بالاضافة إلى السواحل يمتد إلى داخل الصين وكان اليسوعيون أول من بشر بالمسيحية فى الصين ، وقد توفى اليسوعى الأسبانى المشهور فرانسيس زافييه عام ١٥٥٢م على سواحل الصين بعد أن أدى مهمته التبشيرية فى كل من الهند واليابان .

الصين تحت حكم المانشو (Manshus)

لقد رأينا أن أباطرة أسرة منج عملوا على عزل الصين عن بقية العالم . وبذلك نعمت الصين خلال القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر بدرجة من الاستقرار النسبى . فلم يتحمل الصينيون مثلا ما تحملته شعوب أوروبا من حروب دينية نتيجة ظهور حركات للإصلاح الدينى ، كما لم يتعرضوا لمثل ما تعرضت له أوروبا من مداهمة الأتراك العثمانيين .

لذلك ازدهرت الفنون فى عصر أسرة منج وتم كتابة التاريخ الصينى . وعاش أباطرتها فى بذخ شديد وقصور فخمة لكن ما لبثت الصين أن تعرضت إلى غزوة مغولية جديدة . وكان هؤلاء الغزاة الجدد هم عنصر المانشو (Manshus) ولقد سيطر هؤلاء الغزاة على مساحات شاسعة من شمال الصين . وبحلول عام ١٦٢٨ كانت منشوريا بكاملها قد سقطت فى أيديهم . ولما لم يستطع آخر أباطرة منج الصمود وكان يدعى تشونج - تشانج (Shung - Chang) (١٦٢٧ - ١٦٤٤) انتحر وسيطر المانشو على عرش الصين بادئين نظام أسرة جديدة ظلت تحكم البلاد من حوالى ١٦٦٢ حتى ١٩١١ .

وعلى نحو ما تم مع غزاة الصين القدامى ، ابتلعتهم الصين بحضارتها ، بل أن المانشو انفسهم دعوا العناصر الصينية لمشاركتهم فى الحكم معهم . وكان أول أبرز أباطرة المانشو كانج هسى (Kang - Hsi) (١٦٦٢ - ١٧٢٢) الذى رحب بقدوم رجال الارساليات المسيحيين ولكن كانت تناوئه بعض الجماعات الصينية القوية التى كانت تعارض ورود الأفكار الغربية إلى البلاد . فلما توفى عام ١٧٢٢ خلفه ابنه الذى قلب هذه السياسة رأسا على عقب وقام بطرد رجال الارساليات المسيحية ومنع قدوم أية كتابات من الغرب ، وتقوقعت الصين مرة أخرى فى ظل ستار من العزلة ، فقد كان الصينيون يرتعدون فرقا لما كان يصل إلى أسماعهم من تدخل البريطانيين والفرنسيين فى الهند .

جـ - المسلمون فى الصين

أ - كيف دخل الاسلام الصين

كانت واقعة القادسية (٦٣٦م) قد هددت حياة الامبراطورية الساسانية العتيدة من أعماقها ، ثم كان إنتصار العرب فى نهاوند (٦٤٢م) قد قوض دولة كسرى إلى غير رجعة ، وفر يزدجرد آخر الملوك الساسانين إلى بلاد الصين . وكان ذلك من جهة أخرى نذيرا للإمبراطور الصينى تانج جونج فى عصر أسرة تانج العظيمة برياح الزحف العربى المنطلق من شبه الجزيرة العربية باتجاه منطقة الشرق الأقصى .

ولقد تمثل هذا الزحف الاسلامى فى حملة قتيبة بن مسلم الباهلى إلى آسيا الوسطى وكان قتيبة من رجال الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق ، فقاد قتيبة قوة من العرب إلى خراسان ثم اندفع إلى ما وراء النهر ضد الاتراك ، وتقدم نحو بيكند ، وفتح كلا من مدينة صغد ، ورامتين ، وبخارى ووازدن ، وكش ، وسمرقند . وفتح قتيبة هذه المدن وهو متجه صوب مدينة كاشغر أقرب مدن الصين إلى تلك المناطق . وأسس قتيبة فى مدينة بخارى مسجدا معروفا باسم مسجد قتيبة فى عام ٧١٤م . ولا يزال باقيا حتى يومنا هذا .

ولقد عمد قتيبة إلى إجازة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية لما رأى صعوبة فهم معانيه بلغته الأصلية ، وصار سكان بخارى يفهمون معانى القرآن باللغة الجديدة فهما كاملا . ولقد أفادت هذه الطريقة - التى تعتبر من أحدث أساليب التبليغ - إفادة عظيمة فى نشر الإسلام فى بلاد التتار العليا التى إنتشر الاسلام منها فى الأيام اللاحقة إلى تركستان الصينية ومنها إلى شمال غرب الصين(١) .

على أن قتيبة لما فرغ من تنظيم سمرقند وبخارى زحف بجيوشه نحو خوقند ، ثم توجه نحو الشرق عبر مضيق تيرك حتى دخل مدينة كاشغر فاتحا فى ٩٥ هجرية . ولما كان منهج العرب فى غزواتهم أن يعرضوا على أهل البلاد إما الدخول فى دين الإسلام، أو دفع الجزية ، فقد فعل ذلك قتيبة بن مسلم مع امبراطور الصين يوانج شونج (٧١٣ - ٧٥٥م) .

وفى هذا يقول ابن الأثير ما ملخصه : « ..... فى سنة ٩٦ هـ (٧١٥ م) غزا قتيبة بن مسلم كاشغر وحمل مع الناس عيالهم ليضعهم بسمرقند . فلما عبر النهر ، استعمل رجلا على المعبر ليمنع من يرجع إلا بجواز منه . ومضى إلى فرغانة وأرسل إلى شعب عصام من يسهل الطريق إلى كاشغر وهى أدنى مدن الصين . وبعث جيشا تحت قائد كبير إلى كاشغر وختم أعناق أهلها ، وأوغل حتى قرب الصين فكتب إليه ملك الصين يقول : « إبعث إلى رجلا شريفا يخبرنى عنكم وعن دينكم » .

وعمد قتيبة إلى إنتخاب عشرة من خيرة رجاله أمر لهم بعدة حسنة والبسة من الخز والوشى ، ومن الخيول وقال لهم : « إذا دخلتم عليه . فأعلموه أنى قد حلفت لا انصرف حتى أطأ بلادهم ، واختم ملوكهم ، واجبى خراجهم ، فساروا إليه وعليهم هبيرة بن مشمرج وحضروا عند الامبراطور ثلاث مرات . ولبسوا فى كل مرة ملابس تختلف عن المرة الأخرى . ففى المرة الأولى لبسوا ثيابا بيضاء تحتها الغلائل ، وتطيبوا ولبسوا النعال والأردية . وفى المرة الثانية لبسوا الوشى والعمائم والخز والمطارف . وفى الثالثة شدوا سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر ، وأخذوا السيوف والرماح والقسى وركبوا خيولهم .

وتعجب امبراطورا الصين من هذا وسأل هبيرة عن سر التنوع فى لباسهم فقال : « زينُنا الأول هو لباسنا فى أهلنا ، وفى اليوم الثانى لباسنا أمام امرائنا وفى اليوم الثالث كان زينا أمام عدونا ، فقال الامبراطور « ما أحسن ما دبرتم دهركم » فقولوا لقائدكم ينصرف فإنى قد عرفت قلة أصحابه وإلا لبعثت اليكم من يهلككم . فردوا عليه بالقول : « كيف يكون

---

(١) بدر الدين حسن الصينى : العلاقات بين العرب والصين ص ص ٢٦ - ٢٧ .

قليل الأصحاب من أول خيله فى بلادكم واخرها فى منابت الزيتون ، وأما تخويفكم إيانا بالقتل فإن لنا آجالا اذا حضرت فأكرمها القتل ، ولسنا نكرهه ولا نخافه ، وقد حلف قائدنا ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية » .

رد الامبراطور : « أن نبعث اليه تراب أرضنا فيطؤه وبعض أبنائنا فيختمهم وجزية يرضاها » وبعث إليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن الجزاء . ولقد رضى قتيبة بهدية الامبراطور حيث كان قد بلغه خبر وفاة الوليد بن عبد الملك وبيعة أمراء دمشق لسليمان الذى تولى الخلافة الأموية لفترة وجيزة .

وعلى أية حال كان مقتل قتيبة بن مسلم إيذانا بضعف الاسلام فيما وراء النهر ، وإثارة الخلاف والشقاق بين صفوف المسلمين ، وتوقفت فتوحات المسلمين إلى الشرق الأقصى بسبب مقتل هذا القائد الهمام ، فتخلصت الصين من حملة العرب عسكريا ، ولأنها لم تستطع مقاومة الدين الاسلامى الذى كان ينتشر بسرعة إلى أواسط أسيا فدخل الصين ليستقر فى مناطقها الغربية والشمالية .

بعد ذلك اقتصر النفوذ الاسلامى على مد يد العون إلى أحد أباطرة الصين فى عهد أسرة تانج وهو الامبراطور سوتسونج Su-Tsung فى عام ٧٥٤م . وأتى هذا العون من جانب الخليفة جعفر المنصور لقمع ثورة عارمة فى داخل الصين سميت بثورة آن – لوشان An - Lushan كادت تقوض دعائم دولة تانج وتقضى عليها قضاءا مبرما .

ومن المعلوم أن أبا جعفر المنصور قد تولى الخلافة بعد أخيه السفاح فى عام ١٣٦ هـ (٧٤٥م) وتصادف قيام هذه الثورة فى الصين لولا معونة الخليفة المنصور وإسهام شعب الأواغرة والمسلمين فى قمعها ، وقد يكون من المناسب الاشارة إلى شعب الأواغرة من المسلمين الذين يتركز وجودهم فى غربى الصين .

والأواغرة شعب جديد تفرع عن التتار فى أوائل القرن الثامن الميلادى ، ولقد أسلم رئيسهم بعد قدوم قتيبة إلى تلك المنطقة بزمن قليل . وتحدثنا المؤلفات الفارسية عن قصة إسلام رئيسهم هذا ويدعى أويغور بن قراخان بأنه أسلم سرا هو وأمه ، فغضب أبوه حين علم بذلك وحشد جيشا لمقاتلته ، إلا أن أنصار أويغور – الذين اشتهروا بعد ذلك بالأويغريين – صاروا شعبا قوى الشكيمة كوّن علاقات سياسية مع الصينيين بعد العرب .

على أنه لما تم قمع ثورة آن – لوشان – كما أسلفنا بصفة نهائية عام ٧٥٧م بفضل هؤلاء الأواغرة والعرب خيّرهم الإمبراطور الصينى سوتسونج بين العودة أو الإقامة ، فعاد من عاد وأقام هناك من فضل الاقامة ، وتروى بعض المصادر أن العدد الاجمالى لهذه الحملة كان يتألف من ٢٠ ألف مقاتل .

ولقد أورد الشيخ بيرم التونسي المتوفى عام ١٨٨٩ فى مؤلفه (صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار) « إن أصل المسلمين فى الصين ، وهم ينيفون على الستين مليونا من السكان ومن العساكر المسلمين الذين جلبهم ملك الصين فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور حيث ثارت عليه رعاياه ، فاستنجد بالخليفة على أن يؤدى معلوما اذا أنجده ، فأرسل إليه أربعة آلاف من صناديد المسلمين وقهر بهم رعاياه ، وجازاهم على ذلك بجواز الإقامة فى مملكته ..... الخ »[1] .

٢ - تطور أوضاع المسلمين فى الصين

كان من نتيجة دخول الإسلام إلى الصين سنة ٦٥١ فى عصر أسرة تانج انتشار إقامة المساجد وإدخال اللغتين العربية والفارسية . ووجود مصاهرة بين العرب والمسلمين مع أهل البلاد الأصليين حتى كونوا فى نهاية الأمر نوعا جديدا من النسل لم يكن مألوفا فى الصين .

ومن يبحث عن أصول المسلمين فى شمال الصين وغربها يرى هناك ثلاثة أجناس من المسلمين : جنس فيه الدم العربى ، وجنس آخر يجرى فى عروقه دم الأواغرة ، وجنس ثالث فيه دم المغول . ويلاحظ أن أحسن هذه الأجناس صورة وأطولهم قامة هم الذين ينتمون إلى العرب ، ثم الذين يمتزجون بدم الأواغرة ويتميز هؤلاء بطول القامةوقوة الأعصاب وشموخ الأنف واستطالة الرأس وكثافة اللحية ، وإتساع الجبين ، واتساع العيون وهم أقرب شبها بسكان شمال الهند وجنوب أفغانستان أو بخارى وهم أشد هذه العناصر تمسكا بأحكام الإسلام ، وأكثرهم حبا للغة العربية ويوجد بينهم العلماء الكبار الذين يجيدون فهم الفقه والحديث .

وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام بعد وصوله إلى الصين عام ٦٥١م تعرض لفترات من الصعود والهبوط منذ عصر أسرة تانج التى تولت مقاليد الحكم فى الصين ٦١٧م (بعد النبوة بست سنوات) ، وأخذ ينتشر رويدا رويدا فى عصر أسرة سونج التى انقرضت عام ١٢٧٦م . ثم قوى وازدهر فى عصر أسرة يوان (أو ما يسمى عصر حكم المغول) فى (١٢٧٧ - ١٣٦٧) ، وعصر منج (Ming) فى الفترة (١٣٦٨ - ١٦٤٢) أما فى عصر المانشو (Manchu) (١٦٤٤ - ١٩١١) فقد لحقت بالمسلمين الكوارث وضاقت عليهم الأرض بما رحبت اذ هلك فى هذا العصر عدة ملايين ، ومن تبقى منهم على قيد الحياة لم

(١) بدر الدين الصينى : نفص المصدر السابق ص ٤٠ .

يسمح له بتنفس نسيم الحرية ووضعت أمامهم العراقيل نحو التقدم اقتصاديا وإجتماعيا ودينيا ومعنويا فقد عمد طغاة هذا العصر إلى كبت أنفاسهم وإن كانوا لم يحرموا من التردد على المساجد لأداء شعائر دينهم واستمر حال المسلمين على هذه الحال المظلمة حتى حدثت ثورة ١٩١١م التى أطاحت بحكم المانشو .

أما تاريخ إنشاء المساجد فى الصين فإنه يرجع إلى عام ٧٤٢م وهى السنة التى أسس فيها أول بيت من بيوت الله فى مدينة جانج - آن (عاصمة الصين حينذاك) . ثم تم بناء مسجد آخر فى كانتون ، ثم ثالث فى نانكين وهذه المساجد الثلاثة بنيت فى عصر أسرة تانج.

إلا أن الطفرة التى نود أن ننوه عنها فى تقدم الاسلام كانت على وجه الخصوص فى عصر المغول اذ انتشر الاسلام بسرعة البرق فى ولايات الصين حتى وقف المطلون حيارى فى تعليل هذه الظاهرة ، ويكفى أن نعلم أن بعض المصادر الوثيقة كمؤلف جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله أن ثمانية ولايات من بين اثنتى عشر ولاية من ولايات الصين فى ذلك العهد كان عليها حكام مسلمون وذلك بخلاف وزير المالية الذى كان يسمى شمس الدين الملقب بالسيد الأجل ووزير الحربية على يحيى الأيوغرى .

وظل الاسلام مزدهرا حتى بعد زوال الدولة المغولية من الصين ، ذلك أن كثيرا من زعماء المسلمين قد اشتركوا مع الوطنيين فى الإطاحة بالدولة المغولية ، ولم يتوقف مد الإسلام إلا بعد انتهاء عصر أسرة منج بسبب انعدام العوامل المشجعة التى توفرت فى عصر المغول أو حتى فى عصر منج بسبب نفور حكام المانشو من وجود المسلمين فى الادارات الحكومية واضطهادهم لهم .

لقد أصبح الإسلام فى الصين بعد عصر منج محروما من المؤثرات الخارجية الاسلامية مثل التجارة وزيارة السفراء إلا أن إرادة الله الذى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه شاءت أن يحفظ ما تبقى من المسلمين هناك بسب إزدياد نسلهم نتيجة تحريم الاسلام للمخدرات ، تلك المخدرات التى نشرتها بريطانيا بين أهالى الصين والتى سميت فيما بعد بحرب الأفيون (١٨٤٠ - ١٨٤٢) فلم يدمن المسلمون كغيرهم تعاطى الأفيون الذى تسبب فى ضعف من سواهم من الصينين الذين ضعفت صحتهم واضطربت أعصابهم وصاروا أقل نسلا وانتهم الآفات من حيث لا يشعرون .

ومن الرحالة الذين زاروا الصين وكتبوا عن أحوال سكانها الرحالة الإيطالى ماركو بولو الذى أقام فى الصين فى الفترة من ١٢٧٥ - ١٢٩٩م - وقد دون هذا الرحالة فى مذكراته : « إن غالبية السكان من مناطق الصين الشمالية الغربية من الوثنيين ولكن بعضهم يعتنق الاسلام والبعض الآخر يعتنق المسيحية » .

أما الرحالة العربى ابن بطوطة فقد زار الصين فى الفترة من ١٣١٤ – ١٣٢٥ ميلادية وذكر « إن جميع أهل الصين كفرة ، إنهم يعبدون الأصنام ويحرقون جثث موتاهم كما يفعل الهندوس وأن إمبراطور الصين من التتر وهو من أحفاد جنكيز خان الذى غزا الدول الاسلامية وأشاع فى ربوعها الخراب والدمار ، وتوجد فى كل مقاطعات الصين مدينة يتجمع فيها المسلمون حيث يزاولون أعمالهم العادية ، وللمسلمين فى تلك المدن مدارس ومساجد خاصة بهم ولهم اعتبار مرموق فى نظر إمبراطور الصين . وعندما يفد تاجر منهم على إحدى هذه المدن الاسلامية يترك له الخيار بين الاقامة كضيف على الأهلية أو النزول فى أحد الفنادق « وتبلغ عدد مساجد الصين ما يقرب من ٤٠٠٠ مسجد طبقا لما ذكره الأستاذ برمهول فى كتابه Islam in China(١) وتكاد تتفق غالبية الآراء على أن عدد المسلمين فى الصين تزيد قليلا عن عشرة ملايين نسمة يقطنون فى غالبيتهم المقاطعات الشمالية الغربية والمقاطعات الجنوبية الغربية .

ومن المآثر التى يذكرها الصينيون للمسلمين أنه كثيرا ما كانت المجاعات تجتاح بلاد الصين فيضطر الاباء إلى بيع أبنائهم فى الأسواق فيسارع المسلمون إلى شرائهم وتربيتهم على الإسلام ويعاملون معاملة كريمة . وقد حدث هذا مرارا منذ القرن الثامن عشر . وفى عام ١٩٠٠ عندما لقى المسيحيون الاضطهاد على أيدى حركة (الملاكمين) فى الصين عمد بعض المسيحيين إلى بيع أبنائهم فلم يجدوا من يتقدم لشرائهم غير المسلمين لدوافع إنسانية محضة(٢) .

د - المسيحية فى الصين

لقد تسربت المسيحية إلى الصين منذ تاريخ موغل فى القدم ، ويرجع ذلك إلى أن الكنيسة المسيحية فى منطقة بلاد الرافدين التى كانت تعتنق المذهب النسطورى (Nestorius) الذى انفصل عن روما – كانت تفرض سيطرتها على منطقة اسيا الوسطى . وفى عام ٦٣٥ ميلادية وصل إلى مدينة تشنجانجان (Tchang - Ngan) التى كانت عاصمة امبراطورية أسرة تانج أحد الرهبان الذى قام بتأسيس كنيسة فى بلاد الصين تحت حماية الحاكم الصينى (Tai - t Song) . وأمكن لهذه الكنيسة أن تهيمن مذهبيا على منطقة اسيا الوسطى .

---

(١) حسن جوهر ، وعبد الحميد بيومى ، المصدر السابق ص ص٩٦ ، ٩٧ .

(٢) محمد محمود زيتون : الصين والعرب عبر التاريخ : ص ٥٢ .

وهناك نقوش محفورة على أحد الأحجار فى تشنجانجان هذه مؤرخة ٧٨١ تحكى قصة المجتمع النسطورى الذى أسدى إلى أباطرة أسرة تانج مآثر عديدة . على أن البابا نيقولا الرابع لما علم بأمر وجود المسيحيين فى تلك البقعة بادر بإرسال أحد رهبان الفرنسيسكان يدعى جان مونت كورڤينو (Montecorvion) الذى قام بتأسيس كنيستين آخريين وقام بتعميد ٤٠ عبدا تم شراؤهم لهذا الغرض ثم قام هذا الراهب بعد ذلك بإدخال ما يزيد عن عشرة آلاف من التتر فى العقيدة المسيحية .

وبعد إنقضاء ثلاثة قرون من ذلك التاريخ ، قام مبشرو الجزويت بجهود تبشيرية على يد المبشر المشهور فرانسوا زافييه (Ftancois Xavier) . وقد توفى فرانسوا فى أحد الجزر بالقرب من كانتون دون أن يفلح فى أن يُدخل فى الدين المسيحى من بين الصينيين سوى شخص واحد هو خادمه أنطونيو[1] ولكن فى عام ١٥٨٢ قدم اثنان من المبشرين المسيحيين هما فالجنانى وروجيرى إلى الصين مختفيين فى زى الرهبان البوذيين حاملين بعض الهدايا وتمكنا من بناء كنيسة بعد أن تمكنا من الحصول على مدينة صغيرة هى مدينة تشاو – تشو ثم ما لبثا أن لحق بهما ماتيوريشى (Matteo Ricci) الذى قرر الوصول إلى بكين التى وصلها فى عام ١٥٩٨ حاملا معه مجموعة من الساعات والالات العلمية .

ولقد تمكن ريشى فى عام ١٦٠٠ من الحصول على اذن بالاقامة فى بكين حيث عاش لمدة عشر سنوات وما لبث أن اقتفى أثره عدد آخر من المبشرين الجزويت من الالمان والأسبان. وكان أسلوبهما هو العمل على نشر المسيحية دون مهاجمة الكنفوشية من الامام وتبريرهم لذلك أنه ليس هناك بالضرورة تعارض بين المذهبين حيث قالا أنه يمكن النظر إلى شعائر الاسلاف التى ترتكز عليها الكنفوشية بمثابة نوع من المراسم لا علاقة لها بالعقيدة الدينية ومن ثم يمكن التوفيق بين الكنفوشية والمسيحية .

وفى بداية القرن التاسع عشر استقرت بعض الشركات التجارية فى بعض الموانىء التجارية الصينية فكان ذلك سبيلا لتهيئة وضع أفضل للمبشرين لمباشرة نشاطهم ومن ذلك أنه قدم إلى كانتون أحد المبشرين البروتستانت وهو روبرت موريسون عام ١٨٠٧ وحصل على وظيفة مترجم فى شركة الهندالشرقية وظل فى هذه المدينة لمدة سبعة وعشرين عاما ترجم خلالها إلى اللغة الصينية عددا من الكتب المسيحية ولكنه لم يتمكن من ادخال أكثر من عشرة من الصينيين إلى الديانة المسيحية[2] .

---

(1) De Beauvoir. S. La Longue Marche P. 483 .

(2) De Beauvoir, Ibid, P. 386 .

هـ - التشتت العنصرى وأثره فى اعاقة نهضة الصين الحديثة

سوف نرى من خلال تناولنا بالدراسة لكل من العملاقين الصينى واليابانى ظاهرة تركت أثرا واضحاً فى عرقلة مسيرة الصين نحو النهضة الحديثة ، بخلاف الحال بالنسبة لليابان ، هذه الظاهرة هى ظاهرة تشتت العناصر السكانية بالنسبة للصين . فقد جابهت الصين مشكلة تماسك عناصرها السكانية وخاصة ما عرف فى تاريخها باسم « الاقليات الوطنية » ، اذ كان من بين نحو ٦٠٠ مليون نسمة يمثلون تعداد الصين تنتمى الأغلبية الكبرى إلى عنصر الهان (Han) ولكن كانت هناك مجموعة يبلغ عددها نحو ٣٥ مليون قدموا من موطنهم الأصلى فى المنطقة القاحلة والاكثر صعوبة . وكانوا يعاملون باحتقار من جانب العناصر الصينية الأخرى .

وكان الهان يعتقدون أن هناك ثلاث « كائنات حية » تعيش فى الصين هى : الهان والبرابرة (Barbares) ، والحيوانات . وكان المغول والأجور (Ouighours) والمياو ، واهل التبت فى نظرهم من البرابرة .

هذه الأقليات فى رد فعلها ازاء هذا الكبت الواقع عليهم فى ظل كافة نظم الحكم الصينى شكلت جيوبا للمعارضة والتمرد وكان هنا ٤٤ جيبا من هذه الجيوب تتحدث ١٣ لغة منها ٤ لغات مكتوبة فقط ومن هذه الجيوب المعارضة ١٨ جيبا فى المنطقة الشمالية الغربية من البلاد . وتضم مقاطعة سينكيانج وحدها ١٢ جيبا ، كما تضم المنطقة الشمالية الشرقية من الصين ٢٠ جيبا يحتوى ١٢ مليونا من البشر . اما بقية هذه الجيوب فهى مبعثرة فى طول الصين وعرضها . وبعضهم يقطن فى المناطق التى نشأوا فيها فى حين يقطن البعض فى أماكن كانوا قد نزحوا اليها واختلطوا بعناصر الهان . ومن ناحية أخرى نجد اللهجات المستخدمة بين أهل الشمال تنتمى إلى مجموعة لغات مختلفة هى الالتاى (Altai) كما أن أغلبية هذه الشعوب ظلت تحت نظام قبلى بدائى فى حين أن نظام الرق لم يكن لوقت قريب قد الغى تماما – على الأقل فى أعقاب الحرب العالمية الثانية(1) .

وأبرز المناطق التى تضم هذه الأقليات هى منطقة الشمال الغربى اذ نجد مقاطعة سينكيانج التى يسكنها بالأخص الاوجور والمغول قامت بثورة ضد تشيانج كاى شيك عام ١٩٤٤ واقامت جمهورية مستقلة واسمت نفسها « جمهورية تركستان الشرقية » . ولكن هذه

---

(1) De Beauvoir, Ibid, P. 353, 351

الجمهورية انضمت إلى الصين الشيوعية عام ١٩٥٠ واحتلها الجيش الشيوعى الصينى سلميا . وهذه المقاطعة الواسعة التى تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا تضم نحو ٤٫٧٨٠٫٠٠٠ نسمة كذلك سوف نرى أنه ان على الصين فى مستهل نهضتها أن تسعى إلى إحكام قبضتها على هضبة التبت التى يرجع تاريخها مع الصين إلى القرن التاسع الميلادى حيث كان أحد ملوك التبت قد تزوج من احدى اميرات أسرة تانج الصينية .

هذا بالنسبة للصين ، بعكس التجانس العنصرى فى اليابان بصرف النظر عن عدد السكان حيث سوف نرى أن اليابان قد تشكل فيها بسرعة ملفتة للنظر فى مستهل دخولها فى العصور الحديثة لنهضتها ما نطلق عليه « الأوليچاركية العسكرية والمالية الضيقة » تتجه كلها فى اتجاه واحد وقد ساعد على ذلك بلا شك شدة التجانس بين عناصر الأمة من ناحية وعدم تشتتها من ناحية أخرى .

ثانيا لمحة موجزة عن تاريخ اليابان القديم

أ - الأرض والسكان

يطلق اليابانيون على بلادهم اسم « نيهون » أو « نيبون » أى أصل الشمس ، وتتكون اليابان من مجموعة جزر أربعة رئيسية كبرى هى : هوكايدو ، وشيكوكو ، وكيوشو بالاضافة إلى عدد لا يحصى من الجزر الصغيرة . وأرض اليابان جبلية لا تزيد المساحة الصالحة للزراعة فيها عن ١٦ ٪ من مجموع أراضيها . ويعتبر الفحم هو المعدن الوحيد الذى يتوافر فيها بكثرة نسبية . وتشتد فيها ثورة البراكين ويسقط على اليابان من المطر ما يفوق الحد المألوف اذ ان كميته تبلغ فى معظم الأماكن نحو ستين بوصه أو مائة فى العام . وانهارها قصيرة سريعة الجريان لا تصلح كوسيلة للنقل إلا بقدر محدود .

وترتفع نسبة الشواطىء إلى مساحتها الداخلية حتى انها تصل إلى معدل ميل واحد لكل ٨٫٤ ميلا مربعا من أرض اليابان . وهذا الساحل الطويل كثير التعرجات والمنحنيات يحتضنه فى الشمال تيار بارد وفى الجنوب تيار حار ، لهذا كانت بحار اليابان غنية بمصايد الأسماك التى تقوم بدور هام فى تزويد اليابان بغذائها . وتبلغ مساحة اليابان (الآن) نحو ١٤٢٫٣٠٠ ميل مربع . وهى بذلك تقل قليلا عن مساحة ولاية كاليفورنيا التى تبلغ مساحتها ١٥٥٫٦٥٢ ميلا مربعا ، ولكنها أكبر من الجزر البريطانية التى تبلغ مساحتها ١٢٠٫٥٧٩ ميلا مربعا ويزرع الأرز فى نصف المنطقة الصالحة للزراعة وهو الغذاء الرئيسى لاهلها[1] .

---

(١) تيدمان ، آرثر ، اليابان الحديثة . ترجمة وديع سعيد ومراجعة على رفاعة الانصارى ص١

وينحــدر اليـابانيـون أصـلا من الجنس المغـولى الذى امـتـزجت به سـلالات من الملايا ، والآيينو ، وتعتبر سلالة الآيينو عنصرا ينتمى إلى أصول الجنس القوقـازى وقـد حلـت هـذه السـلالات فى اليـابان وانتشـرت فى ربوعه ولكن لم يبق منها الان سوى بضـعة الوف . وقد امتزجت هذه السلالات الثلاث امتزاجا قويا فى العصور القديمة حتى أصبح سكان اليابان الأن أكثر الشعوب تجانسا من الناحية العنصرية السلالية - بل أن بعض الكتاب يرجعون سبب نهضة اليابان الحديثة فى جانب كبير منها إلى هذه الدرجة غير العادية من التجانس ، كما سنرى فيـمـا بعـد . ومع ذلك فـهناك بعض الأختلافـات فى تكوين اليـابانيين الجسمـانى بعضهم عن البعض ، ولكن الشخص اليابانى العادى شخص قصير القامة ويبلغ معدل طول الرجال منهم خمسة أقدام وخمسة بوصات فى المتوسط ولهم جماجم عريضة فى الأغلب .

ومن الحـقائق الجغرافية التى تركت بصمـاتها على التاريخ اليابانى بكامله هى مشكلة العزلة على نحـو مـا سنشـاهد فى الفصـول القادمـة ، فعلى الرغم من أن اليـابان ترتبط ارتباطا وثيقا بحضارة منطقة الشرق الأقصى ابتداء من ظهورها فى مهدها فى الصين ، فان هذه الحضـارة الصينية الكبرى ظلت بمنأى عن مراكز الحضـارات الكبرى الأخرى ، نظرا لوجود سلسلة الصحـارى الممتدة فى وسط أسيا ، بالاضـافـة إلى العـوامل الطبوغرافية الشـاذة فى منطقة جنوب شرق اسـيـا والادغال الموحشـة بجـزر الملايو . كل ذلك شكل على طول عـدة قرون عـائقـا صـعب الاختـراق للوصـول إلى مناطق التـحـضـر فى كل من الهند والشرق الأوسط أو الحضارات التى كانت مزدهر فى حوض البحر المتوسط .

وكثيرا ما كان يطلق على اليابان بأنها « بريطانيا الأسيوية » ولكن اليابان تحملت عبء موقعها بأكثر مما تحملته الجزر البريطانية من ناحية موقعها الشاذ على هامش احدى القارات ، ففى حين يفصل انجلترا عن بقية القارة الأوروبية ٣١ كيلو مترا فقط فان الطرف الغربى لليابان يبعد نحو ١٧٧ كيلو مترا عن كوريا ، ولكن اذا ما عرفنا أنه ينبغى قطع مسافة تربو على ٨٠٠ كيلو مترا فى المحيط الهادى حتى يتسنى الوصـول إلى شواطىء الصين صـار من اليسير أن نتصـور كيف كان على الملاحين اليابانيين القدماء أن يفكروا كثيرا فى محاولة المغامرة برحلة بحرية تتضمن قدرا كبيرا من المغامرة الخطيرة .

ومن الحقائق المؤكدة أيضا أن حضارة اليابان إن هى إلا احدى روافد الحضارة الصينية الام ، استمدت الهامها منها على النحو الذى اغترفت أوروبا الشمالية حضارتها من حضارات

حوض البحر المتوسط . ويلمس المرء أكثر من وجه من وجوه الشبه بين انتشار الحضارة الصينية عبر جزر اليابان فى الألف الأولى من العصر المسيحى ، وبين انتشار حضارة البحر المتوسط فى أوروبا الشمالية فى نفس العصر . ولكن الأمر يختلف نوعا فى اليابان من أنه كانت هناك عزلة أكثر قوة ، مما سمح بالابقاء على القيم الحضارية اليابانية الأصلية تجاوزت النماذج المستعارة الواردة اليها من الصين .

وهناك بعض المفكرين ممن يروق لهم القول بأن اليابانيين مجرد عنصر مولع بالتقليد . لكن الحقيقة تخالف ذلك . فإن اليابانيين وهم على وعى بانهم مدينون للأنماط الحضارية الأجنبية ، عمدوا إلى مزج هذه الحضارات مزجا فريدا من نوعه لم يسبق له مثيل واخضعوها للظروف اليابانية الوطنية . والدليل على ذلك اللباس التقليدى اليابانى وفن الطبخ اليابانى ، وفنهم المعمارى ، وأسلوب حياتهم اليومية ، مما يجعل المرء يقتنع بأن الشخص اليابانى لا تنقصه القدرة على التجديد والابتكار .

ولا توجد هناك فى أى بلد آخر من بلاد العالم تلك الأغطية المجدولة من القش بكيفية مكثفة مما يجرى استخدامه فى فرش الأرض ، ولا يوجد مثيل لتلك الجدران المتحركة من الورق المقوى ، ولا تلك المساكن الخفيفة ، أو المواقد التى يجرى تغذيتها بالفحم ، ولا شكل المشكاة التى يعرض فيها اليابانيون فنونهم[1] .

وهناك شاهد آخر على القدرة الابتكارية لحضارة اليابان متمثلا فى لغتها . فعلى الرغم من أن اللغة اليابانية تستخدم رموز الفكرة المستخدمة فى اللغة الصينية ، فانها استعارت كلمات عديدة منها ، إلا أنها إحتفظت لنفسها بخاصية لا يمكن المساس بها . فاللغة اليابانية تستخدم أسلوبا فى الكتابة ذا خاصية مركبة لا يمكن مباراتها .

أن كل هذه الدلائل توضح أن اليابانيين كانوا علىَ وعى مبكر جدا بشخصيتهم ، وكانوا يسعون جهد استطاعتهم إلى تأكيد ذاتهم . ولذلك فانه مجرد حلول عصرنا الحاضر الذى اتسم بظهور القوميات على شكل دول ، فان الشعور القومى اليابانى تماسك بسرعة مذهلة ، ذلك أن الخواص العرقية والجغرافية كانت قد أودعت فى اليابان من عصر مبكر كل مبررات التماسك والوحدة ولقد ساعد على تحقيق ذلك ما أشرنا اليه سالفا من عوامل تكريس العزلة ، حتى لقد قيل ان حكام اليابان نادرا ما سلكوا مسلكا موحدا فى علاقاتهم مع العالم الخارجى ، والقى اللوم بالتالى على طبيعة اليابانيين المتكبرة المتأنفة تارة ووجود عقدة

---

(1) Reischaur E. Histoire du Japon et des Japonais p. 21

النقص لديهم تارة أخرى تجاه الاجانب . وحتى يومنا هذا لا يزال الكتاب والمؤرخون يبحثون عن كنه هذا الوضع الشاذ لدى اليابانيين وعزلتهم ، وان كان البعض يعزى تلك التذبذبات والتحولات فى سياستهم الخارجية إلى فترات العزلة ، الأمر الذى يتجلى بصورة أوضح فى صعوبة ادخالهم ضمن توازنات القوى العالمية .

ب - اصول الحكم العسكرى فى اليابان

كان اليابان القدامى يتألفون من وحدات مستقلة من القبائل يحكم كل قبيلة منها زعيم دينى يؤول اليه منصبه بطريق الوراثة . وعند اقتراب القرن الأول بعد الميلاد ، بدأت احدى تلك القبائل فى بسط سيادتها السياسية والدينية على بقية القبائل . ثم ما أن حل القرن السادس حتى اتخذت هذه القبيلة الشمس شعارا لدينها كما اكتسبت هذه القبيلة حق السيطرة على نواحى العلاقات الخارجية لليابان وبالتالى صار لها حق ارسال أى قوات للخارج .

وفى القرن السابع كانت هناك محاولات لاقامة نوع من السلطة المركزية ونظام للحكم البيروقراطى يشمل ملكية الدولة للأرض على غرار ما كان سائدا تحت ظل اسرة تانج فى الصين . ولكن مبدأ الوراثة كما أوضحنا ظل أساس توزيع السلطات والمناصب فى اليابان . وانتشرت فى أنحاء البلاد نوع من الملكيات لا يقع تحت طائلة موظفى الدولة ويخرج عن دائرة هيمنتهم ، وكانت هذه الملكيات من الأراضى الزراعية أما حكرا على كبار نبلاء البلاط الامبراطورى وأما تدخل فى دائرة سيطرتهم ونفوذهم - الأمر الذى ادى إلى ظهور طبقة أخرى يستخدمهم كبار الملاك لرعاية مصالحهم فى كل اقليم . وقد تم ذلك فى غياب حكومة مركزية قوية مما أدى إلى ظهور الحاجة إلى استخدام القوة العسكرية فى تسوية المنازعات على الأراضى . وقد اقتضى هذا الوضع أن يكون المشرفون على ادارة هذه الملكيات الكبيرة على قدر وافر من المهارة فى استخدام الأسلحة . ولقد عمد افراد هذه الطبقة العسكرية الناشئة إلى الدخول فى تحالفات فيما بينهم ضمانا لسلامتهم المشتركة . وهذه التحالفات تطورت بدورها حتى أصبح زعماء الاحلاف هم الحكام الحقيقيون للاقاليم .

وفى تلك الاونة ظهرت بعض الاضطرابات فى العاصمة ، فسارع النبلاء من البلاط الامبراطورى إلى الاستنجاد باتباعهم فى الأقاليم للمساعدة فى فض هذه الاضطرابات . ورويدا رويدا تولى هؤلاء المحاربون اغتصاب السلطات التى كان يمارسها الامبراطور بمفرده . وتناحرت كل فئة لكى يستقر لها حكم اليابان باسره . على أن ابراز من خرجوا منتصرين من هذا النضال هو شخصية شهيرة فى تاريخ اليابان تدعى : « مينا موتو -

يوريتومو » . وفى عام ١١٢٩م أنعم عليه الامبراطور بلقب « سى - تاى - شوجن » ومعناها « القائد الأكبر - قاهر البرابرة » ومنحه الامبراطور حق تعيين خلف له فى هذا المنصب[١] .

ولقد كانت سلطة يوريتومو تقوم على ولاء عدة الاف من المحاربين الذين يتولون ادارة بعض الأراضى الموزعة فى ربوع اليابان . ولكن كانت هناك فى نفس الوقت عدة ملكيات عقارية لا يمت اصحابها باية صلة للقائد الأكبر « الشوجن » فعمد الشوجن إلى الحصول على اذن امبراطورى بتعيين وكيل له فى كل اقطاعية زراعية انيط به مهمة تحصيل جانب من ايجار المزرعة يكون بمثابة ضريبة يتم تخصيصها للانفاق على القوات العسكرية ، وتعيين احد رجال الأمن فى كل اقليم .

وفى عام ١٣٣٣م تمت الاطاحة بهذه « الشوجنيه » التى اقامها يوريتومو بسبب المؤامرات التى حيكت ضده فى البلاط الامبراطورى من ناحية وازدياد السخط بين طبقة المحاربين من ناحية أخرى ، الأمر الذى أسفر عن ظهور فرع جديد من نفس أسرة « مينا موتو - يوريتومو » وهو فرع اشيكاجا وظفر زعيمة بلقب « الشوجن » ولكن هذا الفرع الجديد من أسرة يوريتومو النبيلة لم يكن باسطا سلطانه بدرجة واسعة على البلاد ، فلم يشمل نفوذه مناطق واسعة من اليابان وكانت بقية اليابان مقسمة بين عدد من الزعماء المحليين كانت غالبيتهم من رجال الأمن الذين سبق لهم أن استظلوا بظل شوجنية يوريتومو فى كل اقليم كما اشرنا من قبل .

ولما كان مركز رجل الأمن وراثيا ويمتد سلطانه إلى الاقليم بكامله ، فان الأسرة التى يسعدها الحظ بتولى هذا المنصب تصبح بالتالى فى مركز يضمن لها السيطرة على الاقليم باسره . ولم تكن هذه الملكيات على اية حال منظمة على نفس النسق الذى كانت عليه نظام الاقطاعيات فى أوروبا ، وانما كان على رأس كل اقليم شخص يسمى : « الدايميو » هو بمثابة أمير الاقطاع يكون مسؤولا عن جمع الضرائب من المزارعين ويستخدم هذه الحصيلة فى دفع أجور اتباعه ولذلك كان النظام بيروقراطيا بالأحرى عن كونه اقطاعيا . ولكن رجال الدايميو كانت لهم أراضيهم الخاصة فى قلب الاقليم الذى يتولون حكمه - اى أنهم لم يكونوا من فئة الموظفين .

وفى نهاية القرن الخامس عشر أصبحت الحرب بين هؤلاء الامراء من الأمور المألوفة اذ يحاول كل منهم الظفر بالسيادة الكاملة على اليابان ما استطاع إلى ذلك سبيلا . ولما اشتد الصراع بينهم تم القضاء على كثير من الاسرات وحل محلهم قواد جدد من رجال الدايميو

---

(١) تيدمان ، آرثر ، المصدر السابق ص : ٤

لكنهم كانوا من أسر مغمورة أي ليسوا من طبقة النبلاء . وفي أواخر القرن السادس عشر أمكن لأحد هؤلاء القواد واسمه « اودو – نوبو – ناجا » أن يسير بخطوات واسعة نحو توحيد اليابان ولكنه اغتيل قبل أن يتمكن من تحقيق مآربه واستولى على السلطة شخص يدعى « تويوتو – مي – هيديوشي » وهو من الأسر الفقيرة اذ كان فلاحا . وبدأ حياته كجندى من المشاة . وفي عام ١٥٩٠م أصبح هيديوشي سيدا على اليابان بأسرها لكنه مع ذلك لم يظفر بلقب « الشوجن » لأن التقاليد كانت تقضى بألا يظفر بهذا اللقب العسكرى السامي الا من كان من أسرة ميناموتو .

وعلى اية حال فان مركز الشوجن كان يوفر له مزايا عديدة ومهابة تتمثل في قدر كبير من ثروة اليابان التي كانت في الأساس من حق الامبراطور وكانت له حاشية كبيرة منها أربعة مضحكين وثماني سيدات مثقفات يعملن على تسليته والترفيه عنه وكان إلى جانبه مجلس وزارى استشارى من اثنى عشر عضوا عبارة عن رئيس للوزراء ، وخمسة من الوزراء ، ثم ستة من الشيوخ يكونون مجلسا أصغر[1] .

ولما توفى هيديوشي ١٥٩٨م ورثه نجله الذى كان لا يزال طفلا . ثم أتى من بعد ذلك شوجن من أسرة التوكوجاوا خلف هيديوشي في الحكم . ولقد كان هذا الشوجن الجديد يسيطر بالفعل على أكبر رقعة من أرض اليابان واستطاع القضاء على معارضيه في معركة شهيرة في تاريخ اليابان هي معركة « سيكيجاهارا » في ٢١ أكتوبر ١٦٠٠م . وفي عام ١٦٠٣م عينه الامبراطور « شوجنا » أي حاكما عسكريا أكبر نظرا لأن أسرة التوكوجاوا كانت فرعا من فروع أسرة الميناموتو .

تلك كانت أصول الحكم العسكرى في اليابان الذى امتد فترة طويلة من تاريخها وقبل أن نعرض لسياسه العزلة التي اتبعتها اليابان عن العالم الخارجي فقد يكون من المناسب أن نشير إلى شوجونية التوكوجاوا بوجه الخصوص نظرا لما لعبته من دور في عزلة اليابان حتى أوائل النصف الأول من القرن التاسع عشر .

جـ - شوجنية التوكوجاوا

كانت شوجنية التوكوجاوا تمتلك مساحات واسعة من الأراضي تنتج ٣١٪ من مجموع ما تنتجه اليابان من الأرز بالاضافة إلى أن نحو ١٠٪ من مجموع محصول الأرز كان أيضا

---

(١) ديورانت ول : قصة الحضارة الجزء الخامس من المجلد الأول – الطبعة الثالثة «الشرق الأقصى – اليابان» ص ص ٣٦ – ٣٨ .

فى ايدى أسر تتفرع من أسر التوكوجاوا ، فضلا عن ٣٦٪ من الأراضى كانت ملكا لأصحاب العقارات الذين يدورون فى فلك تلك الأسرة النبيلة والذين استسلموا قبل معركة سيكيجاهارا، كما أوضحنا . على أن سيطرة شوجنية التوكوجاوا لم تقتصر فحسب على الأراضى المزروعة ، بل امتدت إلى مناجم الفضة والذهب وغيرها على ندرتها .

لقد كان الامبراطور فى ذلك الحين هو مصدر جميع السلطات الشرعية ، وكان من المتعذر على رجال الدايميو الاتصال به رغم حكمهم لعدد من الأقاليم نظرا لوقوع الامبراطور تحت رقابة دقيقة من جانب حكام أسرة التوكوجاوا الذين أصبحو بصفة متتالية قمة الجهاز التنفيذى . ولقد كان يتحتم على رجال الدايميو أن يمضوا بضعة أشهر من كل عام فى مدينة « ادو » التى كانت عاصمة أسرة التوكوجاوا وكلما ارادوا العودة إلى اقطاعياتهم كان عليهم أن يتركوا زوجاتهم وأطفالهم فى العاصمة بصفة رهائن . بل لقد بلغ من سطوة الشوجن من أسرة التوكوجاوا أنه لم يكن من المستطاع لأى رجل من رجال الدايميو أن يغادر اقطاعيته ولا أن يعقد قرانه دون أخذ موافقة الشوجن ، كما لم يكن فى امكانه أن يصك نقودا أو يبنى سفنا حربية أو أن ينقل قواته إلى ما وراء نطاق معين إلا فى احوال معينة يوافق عليها الشوجن .

ونجد مظهرا أخر من مظاهر سيطرة الشوجنية يتمثل فى عدم استطاعة أى رجل من رجال الدايميو ان يقيم قصرا فى عاصمة اقطاعيته الا بعد أن يودع تصميم هذا القصر فى ملف خاص بالشوجنية(١) ، وتجدر الاشارة من ناحية أخرى إلى أن حكام التوكوجاوا من خلال سعيهم الحثيث إلى منع أى تغيير يصيب نظام حكمهم ، وما يتمتعون به من مزايا جمة قد انشاوا نظاما متوارثا صارما صارت أعلى طبقة فيه هى طبقة الساموراى (Samourai) وتضم نحو ٦ ٪ من سكان اليابان وإلى هذه الطبقة الرفيعة ينتمى جميع العسكريين من الشوجنية وكان أغلب هؤلاء يقيمون فى (إدو) أو عواصم الدايميو الأخرى على طول البلاد وعرضها .

وكان رجال الساموراى (أى حملة السيوف) يشكلون طبقة مترفعة لا يسمح لها بممارسة الزراعة أو حتى الاشتغال بالتجارة أو العمل فى اية حرفة أخرى ، أى أنهم كانوا يعيشون على الدخل المستمد من منح الأرز التى يقدمها لهم رجال الدايميو (امراء الاقطاع) . وكانت المناصب فى غالبية الاقطاعيات وراثية . اما الجانب من رجال الساموراى الذين لا يشغلون أية مناصب ، فكانوا يعيشون عيشة الكسل فى وقت السلم ، ولهذا عمد حكام التوكوجاوا الى تشجيعهم على التعلم والدراسة ، وبهذه الكيفية اصبحت الطبقة

---

(١) تيدمان آرثر ، المصد السابق ص ص ٦ ، ٧

العسكرية اليابانية بمرور الوقت هى طبقة المثقفين مما انفردت به طبقة العسكرين اليابانيين. فالقاعدة الأساسية فى المجتمع الاقطاعى اليابانى هو أن كل رجل من السادة هو رجل عسكرى وكل رجل عسكرى هو أيضا من السادة النبلاء بخلاف القاعدة المعروفة فى الصين حيث كان يشترط أن يكون الرجل من السادة عالما وليس محاربا . ولكن النقطة الجديرة بالاهتمام هى أن هؤلاء العسكريين اليابانيين من رجال الساموراى فى اليابان - كانوا مع عسكريتهم هذه شغوفين شغفا لا حدود له بالعلم لذات العلم فقد كانوا يسمون العالم الأديب بالرجل « السكران » كناية عن أنه تفوح منه رائحة الكتب أو رائحة العلم(١) . وسنرى فيما بعد أن هذه الطبقة العسكرية المستنيرة حينما تتقلد امر بلادها سوف تدفع بها خطوات جبارة نحو التقدم التكنولوچى السريع .

وبعد طبقتى الساموراى ، ورجال الدايميو يبقى أمامنا من التركيب الطبقى للتقليدى لليابان فى تلك الفترة جموع الشعب الذين ينتمون فى الأغلب إلى طبقة الزراع . وكانت القرية حينذاك تتألف من أصحاب الاملاك والمستأجرين وكانت مساحة الأراضى المستأجرة فى البلاد تتروح ما بين ٢٥٪ إلى أثر من ٥٠٪ ، كما كانت المساحات التى يمتلكها أصحاب الأراضى تختلف اختلافا كبيرا ، فبعض الملاك لم يكن يمتلك أكثر من نحو فدان وربع ، فى حين كان يمتلك البعض الآخر مساحات أكبر نسبيا قد تصل إلى نحو ٨٥ فدانا .

على أن هناك طبقتين اعترف بهما نظام حكم التوكوجاوا هما طبقة الصناع والتجار وهم فى أغلب الأحوال من بين سكان المدن . وقد ارتفع شأن طبقة التجار ارتفاعا هائلا فى ظل حكم التوكوجاوا ولقد ترتب على إنشاء ونمو مركز كبير لعمليتى البيع والشراء فى أوزاكا نتيجة الازدهار التجارى أن أصبح للجالية التجارية على وجه الخصوص - الوان خاصة من الثقافة والفنون والتمثيل الدرامى والطباعة بالخشب فضلا عن مظاهر متعددة من البذخ والترف . وسعت هذه الطبقة التماسا للجاه واستكمالا لتحقيق الذات إلى تزويج بناتهم للرجال النبلاء وخاصة رجال الساموراى ، غير أن أهم ما يرتبط فى الذهن فى هذا المقام بالنسبة لشوجنية التوكوجاوا هو دورهم الواضح فى تكريس سياسة العزلة التى انتهجتها اليابان فى عهدهم .

د - التوكوجاوا وسياسة العزلة

لقد عملت شوجنية التوكوجاوا ما وسعها الجهد على اغلاق حدود اليابان فى وجه جميع الأجانب ولم يستثنوا من ذلك سوى الهولنديين والصينيين على مدار ما يقرب من مائتى سنة

---

(١) ديورانت ، ول : المصدر السابق ص ١٢٧ .

حتى نهاية الخمسينيات فى القرن التاسع عشر[1] ولقد أصدروا مرسوما يقضى بتحريم سفر أى يابانى خارج حدود اليابان وبلغت العقوبة لمن يخالف ذلك حد الاعدام . غير أن الدافع وراء هذا الانغلاق الذى فرضه رجال التوكوجاوا كان فى أغلب الظن بسبب خشيتهم من أن يعمل انتشار المسيحية التى كانت قد وجدت لها بعض الأنصار فى بعض الأوساط اليابانية مثل كيوشو على زعزعة اركان حكمهم التليد .

وعلى الرغم من ذلك فقد ظهرت عوامل كانت سببا فى تقويض دعائم حكمهم اذ لم يكن فى مقدور هذه الشوجنيه أن تصمد فى وجه التطورات الاقتصادية والثقافية المتعاظمة ، فنجد من ناحية أن مساهمة حكام التوكوجاوا فى خلق طبقة كبيرة من التجار ، واتاحة الكثير من المزايا لهذه الفئة على حساب تدهور حال المنتجين الزراعيين كان سببا هاما فى زعزعة اركان هذا الحكم .

ومما زاد الطين بلة وعجَّل بزوال حكمهم ، تلك القروض التى حصلت عليها الشوجنية قسرا من طبقة التجار للتغلب على المصاعب المالية لمواجهة الديون المتراكمة ، الأمر الذى جعل هؤلاء التجار ينتهزون هذا الوضع لصالحهم فاخذوا يعملون على رفع مستوى طبقتهم الاجتماعية عن طريق شراء حق التبنى فى عائلات الساموراى النبيلة ، أو يزوجون بناتهم لابناء هذه الطبقة السامية . وما أن أشرف القرن التاسع عشر على منتصفة حتى كان الفارق الاجتماعى بين هاتين الطبقتين يكاد لا يكون ملموسا .

بيد أن الشوجنية من خلال خوفها من انهيار نظامها ، وما كانت تنعم به من مزايا هائلة عمدت فى عام ١٦٣٠م الى حظر استيراد اية كتب أجنبية يرد فيها أى ذكر للمسيحية من قريب أو بعيد . ولكننا مع ذلك نجد أحد الشوجنية المستنيرين ويدعى « يوشيمون » يعلن فى الفترة الواقعة بين ١٧٠٦م ١٧٤٤م أن اليابان بحاجة ماسة إلى الكتب العلمية لذلك فقد اباح استيراد تلك الكتب . وفى عام ١٧٤١م صدرت الاوامر إلى اثنين من العلماء اليابانيين بدراسة اللغة الهولندية . وقد تهافت رجال الساموراى على تعلمها بَغية الالمام بالفنون الغربية مثل الطب ، والفلك ، والمساحة ونظم التسليح ورسم الخرائط من مصادرها الأصلية .

وفى عام ١٨٠٣م انشأت الشوجنية مكتبا متخصصا لترجمة الكتب العلمية الهولندية وهنا ينبغى أن نشير إلى أن هذه الترجمة كانت بمثابة بوادر الاتصال الحضارى اليابانى بالغرب عن طريق الهولنديين وعلومهم ، قبل ظهور الادميرال بيرى (Perry) الامريكى ، فقد تمت هذه الزيارة من جانب الادميرال الأمريكى فى حين كان جانب كبير من رجال الساموراى قد امتصوا قدرا كبيرا من معارف الغرب مما عمل على ازدياد سخطهم على كل محاولة ترمى إلى منع استمرار دراستهم هذه .

---

(1) The new Cambridge Modern History Vol XII (Second edition). p. 329

هـ - بداية النهاية لفترة العزلة اليابانية

لقد اضحت مسألة عزلة اليابان موضوعا يشغل بال دول الغرب بوجه عام والبحرية منها بوجه خاص ، وذلك منذ حلول اوائل القرن التاسع عشر ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية .

فلقد كانت السفن الأمريكية التى تنقل الفراء بين منطقة شمال غرب المحيط الهادىء وبين الصين تمر متفادية خليج اليابان . فقد كانت هذه السفن تخشى أكثر ما تخشاه من مخاطر الغرق على شواطىء اليابان ، كما كانت تخشى سوء المعاملة التى تلقاها من جانب البحارة اليابانيين خاصة من يخونهم الحظ فيحطوا رحالهم على شواطىء اليابان بعد غرق سفنهم هناك . وتفاقمت هذه المشكلة منذ منتصف القرن التاسع عشر بعد أن انتشر استخدام السفن البخارية على نطاق واسع مما أوجد الحاجة الماسة إلى وجود محطات للتزود بالفحم .

ولقد رأينا أن الشوجنيه اليابانية فى ظل حكم التوكوجاوا قد ظلت على اصرارها ان تبقى اليابان بلدا مغلقا فى وجه الاجانب . ولكنها تأثرت ولاشك بهزيمة الصين فى حربها الأولى مع بريطانيا أثناء حرب الأفيون عام ١٨٤٢ لدرجة أن اليابان قامت بتعديل نظامها الصارم فى مواجهة الاجانب ، فعدلت النظام الذى كان يقضى باطلاق النار على السفن التى ترسو على شواطئها بدون انذار مسبق ، فجعلته أكثر تسامحا بان يجرى السماح للسفن الاجنبية بالتزود فقط بالماء والزاد .

وحقيقة الأمر فإنه كان للامريكيين قصب السبق بالنسبة لمحاولة كسر عزلة اليابان ، كما كان لبريطانيا فضل هذا السبق بالنسبة للصين بقوة السلاح ولقد تمثلت هذه المحاولات الأمريكية حينما شرع الأمريكيون منذ عام ١٨١٥ فى اجراء مباحثات ترمى إلى فتح أبواب اليابان الموصدة فبعث بالكومودور بيدل الى خليج ادو عام ١٨٤٦م لكن جهودة لم تسفر عن شيء ملموس .

لكن مطامع رجال الأعمال الأمريكيين فى التوسع التجارى فى منطقة المحيط الهادى من ناحية ونظر الحكومة الأمريكية الى اعتبارات استراتيجية من ناحية أخرى وأمل بعثات التبشير الأمريكية من ناحية ثالثة فى ممارسة مهامهم التبشيرية فى اليابان - كل ذلك حمل الحكومة الأمريكية على اتخاذ اجراء حاسم فى هذا السبيل مما سنراه تفصيلا فى الفصل الرابع من هذا الباب .

غير أن هناك عناصر أخرى يجدر الاشارة اليها تلقى مزيدا من الضوء على العوامل الأصلية الدافعة إلى كسر هذه العزلة بسهولة ويسر تتعلق بشخصية الشعب اليابانى ومرونته بقدر ما يتعلق الأمر بعوامل ضغط خارجى وداخلى مما سيجيء ذكره بعد قليل .

فمن الحقائق الثابتة أن الشعب الياباني يمثل خصائص أصلية بشكل بارز اذا ما قورنت باى شعب من شعوب منطقة الشرق الأقصى ، سواء كان ذلك على صعيد القواعد الاخلاقية أم المؤسسات السياسية أو المنظمات الاقتصادية . ولقد اسهمت العزلة التى ضربتها اليابان على نفسها فى الحفاظ على هذه الخصائص التى وحّدت الشعب اليابانى منذ الفترة (١٦٣٥ - ١٦٣٩) . وقد تمثلت هذه العزلة الشديدة فى القرار الامبراطورى لعام ١٦٣٥م الذى يحظر مجرد بناء اية سفينة تكون لها القدرة على الملاحة فى أعالى البحار ، وفى القرار الصادر عام ١٦٣٦م والذى يحرم على كل يابانى مغادرة أرض اليابان ، ثم فى القرار الصادر عام ١٦٣٩م الذى لا يجيز للأجانب الدخول إلى الموانىء اليابانية « ولم يكن هناك استثناء من هذه القاعدة سوى السفن الصينية والكورية ، وبعض السفن الهولندية على وجه التحديد والتى يمكن لها مجرد الرسو فى نجازاكى ، ولكن أيضا بشروط صارمة ومحددة بمعنى أنه يسمح فقط لسبعين سفينة صينية واربعة سفن هولندية فى العام[1] » .

على أنه منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، بدأ نظام الشوجنية وخاصة شوجنية التوكوجاوا يعانى من أزمة جعلت نظام العزلة كله يهتز من أساسه ويمكن لنا أن نرجع ذلك إلى عدة عوامل خاصة التركيب الاجتماعى ، والضغوط الداخلية والضغوط الخارجية على النحو التالى :

١ - الأزمة الاجتماعية فى الداخل

لقد نشأت الأزمة الاجتماعية نتيجة تطور الرأسمالية التجارية التى بدأت تهز الطبقات المتميزة فى المجتمع اليابانى أى الطبقة العسكرية النبيلة ورجال الدايميو . ولقد ارتبطت هذه النهضة التجارية بوجود ثلاثة مراكز تجارية هامة فى كل من : اوزاكا التى أصبحت المركز الكبير للتوزيع الذى تنوزع منه البضائع ، ذلك أن الحكومة اليابانية لم تكن راغبة فى اقامة روابط تجارية داخلية مباشرة بين الاقطاعيات بعضها وبعض ، ومن ثم عملت جاهدة على أن يكون لكل رجل من رجال الدايميو - امراء الاقطاع - مستودعا يبيع فيه منتجات اقطاعيته ، وان يتعامل مع وسطاء التجارة فى تلك المدينة . وكان المركز التجارى الثانى متمثلا فى مدينة ايدو ، وهى عاصمة الشوجنية والتى أصبح عدد سكانها ٢ مليون نسمة حوالى عام ١٨٥٠م وكانت بمثابة المركز الادارى ، ويكفى أن نشير إلى انه كان من بين سكانها من ٣٠٠ - ٤٥٠ شخصا ينتمون إلى عائلات الساموراى النبيلة . وعلى ذلك فقد أصبحت هذه المدينة مركزا هاما من مراكز الاستهلاك . ونمت حول هذه الطبقة النبيلة المتميزة من بلاط الشوجنية عدة أسر من التجار والحرفيين .

---

(1) Renouvin; P. les Transformation de la Chine et du Japan du Milieu du xix siécle a 1922; fas. lp. l.

وأخيرا هناك مدينة نجازاكى التى كانت هى الأخرى جزءا من مجال نفوذ الشوجنية ، وصارت الميناء الوحيد الذى تتم فيه المتاجرة مع الاجانب ولكن مع ذلك صار التبادل التجارى صارما ، ثم تحولت نجازاكى لتكون مركزا لتوزيع البضائع سواء منها المستوردة كالمنسوجات القطنية والصوف الوارد من انجلترا بواسطة الهولنديين والسكر من جاوا أو المنتجات المحلية .

وهذه الطبقة التجارية الناشئة التى لعبت دورا هاما فى انفتاح اليابان على العالم الخارجى ، صار من الواضح أنه منذ القرن التاسع عشر بدأ يظهر من بينها عدة فئات من كبار التجار ممثلين فى تجار الارز ، ومقاولى قطاع النقل وتجار العملة . وكان من أثر ظهور هذه الفئات الثرية الجديدة أنها أصبحت أكثر ثراء من رجال الدايميو – امراء الاقطاع – فبدأت تقدم القروض الضخمة إلى رجال الدايميو والساموراى (حملة السيوف) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تولدت لدى رجال الساموراى مشاعر عدم القناعة اذ شعرت هذه الطبقة العسكرية التى طالما نعمت بالمزايا والابهة – انها صارت عاطلة حيث ساد السلام فى اليابان فترة تزيد على نحو مائتى عام متواصلة ، ولم تعد اليابان بحاجة إلى سيوفهم البتارة ووجدت هذه الطبقة نفسها فى وضع مالى صعب ، فلجأ عدد من هؤلاء الساموراى الى تبنى بعض أبناء التجار مقابل حصولهم على مبالغ نقدية.وذلك لاضفاء صفة النبلاء على ابناء هؤلاء التجار – بل ان بعضا من هؤلاء الساموراى وقد راوا الثراء العريض ينهال على طبقة التجار بدأوا فى ولوج ميدان التجارة وصار جانب منهم يتصاهر مع هذه الطبقة الرأسمالية الموسرة .

ب - الضغوط الداخلية والخارجية

فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه اعراض المشكلة الاجتماعية التى اشرنا اليها ظهرت مشكلة السعى لايجاد حل لسياسة الانغلاق والانعزال التى ظلت سائدة منذ ما يزيد على مائتى عام وأصبحت هذه المشكلة أكثر إلحاحا بسبب تأثير المدنية الغربية بجوانبها العلمية والتكنولوجية والتى أصبحت تتغلغل فى أوصال اليابان عن طريق النافذة الضيقة المتمثلة فى نجازاكى كما سبق ذكره والتى بهرت جانبا من المثقفين اليابانيين ، وكذلك تضافرت ضغوط الدول الكبرى الأوروبية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية لايجاد حل لهذه العزلة .

ونعرض الآن للضغوط الداخلية والخارجية كلا على حدة .

١ - الضغوط الداخلية

كان من اثر التوغل العسكرى الأجنبى ودخول بعض المؤلفات الغربية الى اليابان انه فى

عام ١٨٢٠ تقدم احد حكام نجازاكى بطلب لحكومة الشوجنية للترخيص له بتعليم اللغة الهولندية التى يمكن أن يدرسها له بعضَ الوكلاء التجاريين الهولندين المصرح لهم بالاقامة للرسو بصفتهم فى نجازاكى . ورويدا رويدا تم فى القرن التاسع عشر وضع أول نواة لليابانيين الذين تعلموا قراءة اللغة الهولندية ، وسرعان ما قام هؤلاء اليابانيون الرواد بنشر ترجمات للمؤلفات الهولندية التى كانت تتناول على وجه الخصوص الجراحة والتشريح وعلم الفلك والرياضيات والطبيعة ، وعلوم الزراعة ، ومن ثم نلاحظ أنها مؤلفات علمية فى المقام الأول .

وفى خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر شرع نفس هؤلاء اليابانيين فى ترجمة عدة مؤلفات تتعلق بالنواحى الفنية والعسكرية . واخيرا وبعد حلول عام ١٨٤٧م ظهر أول كتاب يابانى مترجم عن تاريخ وجغرافية القارة الأوروبية ، تلك كانت اذن ضغوط داخلية تدفع بمسألة العزلة نحو الحل .

٢ - الضغوط الخارجية

هذه الضغوط الأجنبية تمت قبل حلول عام ١٨٥٤ حيث صارت سياسة العزلة التى اتبعتها اليابان هدفا للمحاولات المتعددة من جانب كل من روسيا وانجلترا وامريكا وحتى من جانب الفرنسيين للحصول على حق المتاجرة فى الموانىء اليابانية . وكانت هناك محاولات انجليزية فى عامى ١٧٩٦ – ١٧٩٧ ، وفى عام ١٨٠٨ ، ثم فى عام ١٨٢٤ . وتعللت هذه السفن البريطانية بدخول بعض الموانىء اليابانية من اجل التزود بالمواد الغذائية . كذلك كانت هناك محاولات لكسر هذه العزلة من جانب الروس خصوصا منذ ١٨٠٥ – ١٨٠٦ .

واتخذت الحكومة اليابانية موقفا متصلبا بادىء الامر واصدرت اوامرها عام ١٨٢٥ باطلاق النار على كل سفينة اجنبية تحاول الاقتراب من شواطئها (فيما عدا بعض السفن الهولندية المخول لها الرسوفى نجازاكى) ، ثم ما لبثت فى عام ١٨٤٢ ان صرحت لبعض الموظفين اليابانيين بتزويد السفن الأجنبية بالمواد الغذائية بحيث تبقى السفن راسية لا ينزل منها أى واحد من ركابها الأجانب[1] . على اننا سوف نرى فيما بعد أن الأمريكيين سوف يكون لهم فضل كسر هذه العزلة بصفة نهائية .

---

(1) Renouvin; P. Ibid. P. 12 .

الفصل الثانى

الاقتحام الأوروبى للمنطقة

اولا : بداية المصالح الأوروبية فى اسيا

قد يكون من المناسب أن نشير قبل تناول عملية الاقتحام الأوروبى التى تمت بشكل مكثف فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر واستهدفت فى الاساس الصين ثم اليابان الى ارهاصات المصالح الاوروبية فى تلك المنطقة اجمالا فى فترة تاريخية اكثر قدما .

لقد كان للرومان تجارة واسعة مع الصين خصوصا فى الحرير ، وكانت مسالك هذه التجارة من خنجان فى غرب الصين الى بحيرة لوب نور ، وحوض نهر تاريم وتنتهى فى انطاكية . كذلك تم جلب دودة القز الى القسطنطينية فى القرن السادس الميلادى ، وبدأ بعد ذلك انتاج الحرير فى أوروبا والشرق الأدنى ، وبذلك تضاءل اعتماد الغرب على صادرات الصين واصبحت السلع الرئيسية التى تستوردها أوروبا من منطقة شرق اسيا هى التوابل وبعض مواد الترف . وصارت اغلبية هذه التجارة فى ايدى العرب ، ثم فى يد من دخل الاسلام من غير العرب بعد القرن الثامن الميلادى . واستمرت السيطرة العربية على الطرق البحرية الى شرق اسيا حتى القرن السادس عشر وظلت الطرق البرية مقفلة فى وجه الأوروبيين حتى غزا المغول اسيا بكاملها من بحار الصين حتى روسيا .

أ - الوجود البرتغالى

ولعله كان للبرتغاليين تحت زعامة هنرى الملاح (١٣٩٤ - ١٤٦٠) قصب السبق فى القيام بمجهودات جدية للبحث عن طريق جديد الى الشرق وان كانت جهود هنرى لم تثمر الا بعد وفاته . ففى عام ١٤٨٦ تمكن البرتغاليون من الدوران حول رأس الرجاء الصالح على نحو ما هو معروف . ثم وصل فاسكوديجاما عام ١٤٩٧ الى مدينة كالكوتا فى الهند . وفى تلك الاونة استطاع كولومبوس الابحار غربا ليصل الى جزر الهند الغربية .

ثم تقدمت البرتغال خطوة فى الهند وجنوب شرق اسيا بجهود الفونسودى إلبوكيرك واسست مراكز تجارية فى جاوا وبعض الاماكن على ساحل مالا بار فى الهند . واستولى إلبوكيرك على ملقا فى شبه جزيرة الملايو عام ١٥١١م وبذلك تمت السيطرة للبرتغاليين على

طريق التجارة بين الهند والصين . وتمكن البرتغاليون من اقامة أول مركز تجارى فى الصين بالقرب من مدينة كانتون فى عام ١٥١٥.

وباشر البرتغاليون تجارتهم بانشاء مصنع فى منطقة « نانجيو » رغم تحريم التجارة رسميا بين الصين والبرتغال . وكان تحدى البرتغاليين للسلطات الصينية سببا فى قيام الصين فى عام ١٥٤٦م بذبح ثمانمائة من الأجانب . ثم لم يصرح للبرتغاليين بعد ذلك بالعودة الى الصين الا بعد دفع بعض التعويضات . وفى عام ١٥٥٧م تم السماح للبرتغاليين باستئجار بعض الاراضى فى ماكاو مكافأة لهم على تخليص الصين من بعض القراصنة الذين كانوا يغيرون على المنطقة(١) .

ب - الوجود الاسبانى

بعد قيام البرتغاليين بالاستيلاء على ملقا بنحو عشرة سنوات قام ماجلان « البرتغالى » برحلته الشهيرة على نفقة اسبانيا للطواف حول امريكا الجنوبية فعبر المحيط الهادى حتى وصل الى جزر الفيلبين . وحقيقة الامر فإن اهتمام الاسبان لم يكن منصبا بالدرجة الأولى على الفيلبين أو حتى على الصين بقدر ما كان منصبا على الفوز بنصيب اوفر من جزر البهار التى ذكر ماجلان انها تابعة لنصف الكرة الاسبانى طبقا للتقسيم الذى رسمه البابا اسكندر السادس لحسم النزاع الاستعمارى بين اسبانيا والبرتغال . وكانت جزر البهار وجزر الفيلبين تقعان فى حقيقة الامر فى دائرة نفوذ البرتغاليين لذلك فقد احبطت المحاولات الاسبانية .

ولقد ظلت اسبانيا تفتقر الى مركز قوى فى المنطقة حتى تم لها السيطرة على مانيلا التى كانت المركز الاساسى لتجارة الفيلبين فى عام ١٥٧١ ولكن البرتغاليين كانوا قد افلحوا فى ابعاد اسبانيا عن الصين واليابان وذلك باحتكارهم التجارة مع هذين البلدين . ومع ذلك فان التجار الاسبان استطاعوا مباشرة تجارتهم مع اهل مانيلا حتى اصبح الدولار الفضى المكسيكى افضل العملات قبولا لدى الصينيين وظل يستعمل للتبادل فى تلك المنطقة حتى أوائل العصور الحديثة .

جـ - الوجود الهولندى

لم تحصل هولندا على استقلالها الا فى أواخر القرن السادس عشر ومع ذلك فقد نالت قسطا من التبادل التجارى مع المنطقة . الا أن النشاط التجارى الهولندى اصبح ملموسا

---

(١) بين ، تشستر المصدر السابق ص ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ .

بعد أن وافقت الحكومة الهولندية فى عام ١٦٠٢م علـى قيام شركة الهند الشرقية الهولندية كشركة حكومية . فتمكنت الشركة من الحصول على قواعد لها فى جزر البهار . وعند حلول عـام ١٦٤١ كـان الهـولنديون يسـيطرون على ملقـا لتشـتد بذلك قبضـتـهم على جـزر الهند الشرقية .

بيد أن البرتغاليين كانوا لهم بالمرصاد مما اجبر الهولنديين على اقامة مصـانعهم على جزر البسكادور البعيدة عن سواحل الصين الشرقية . ولما طردهم الصينيون من هذه الجزر اقاموا مصـانعهم فى جزيرة فرموزا وظلوا بها حتى تمكن الصينيون من اجلائهم منها عام ١٦٢٤م . وكان رد الفعل الهولندى ان قاموا بتقديم المساعدة لعناصر المانشو اثناء صراعهم ضد امبراطورية منج فكافأهم رجال المانشو بالتصريح لهم بالمتاجرة فى آموى . لكن انتظام سـبيل التـجـارة الهـولندية مـع الصين لم يتم الا فى عـام ١٧٢٩م . لكن التـأثيـر الهـولندى فى المجـال العلمى والفنى كـان ملمـوسـا وبالأخص عند اليـابـانيين حـيث عكفـوا على ترجـمـة هذه العلوم بنهم وشغف ليس له نظير كما سنرى عما قليل .

د - الوجود الفرنسي

كان الاسلوب الفرنسى فى التوسع الاستعمارى بوجه عام يتخذ شكل ارسال المبشرين الفرنسيين ليمـهدوا السـبيل أمـام الاسـتـعمـار الفرنسى . ونرى ذلك فى ارسـال فرنسـا عـام ١٦١٠م للمـبشـر اسكندر ردس فى مـهمـة لتقصى احوال الهند الصينية . وقامت مـجموعة اخرى من رجال الجزويت الفرنسيين بتمـهيد الطريق لكى تفرض الحكومة الفرنسية سيطرتها على كمبوديا وانام وسيام وجنوب بورما . ولكن النفوذ الفرنسى كان قد تلاشى من المنطقة نهائيا بحلول عام ١٦٨٨م نظرا لتعصب هؤلاء المبشرين بشكل زائد .

ومن المعلوم انه كانت هناك منافسة بين الفرنسيين والبريطانيين للسيطرة على الهند ولكن فرنسا خسرت فى صراعها مع بريطانيا على الهند ، الامر الذى جعلها تولى وجهها شطر الهند الصينية لعل فى ذلك تعويضا لها عن الهند واتبعت فرنسا اسلوب التدخل فى الصراع الداخلى على العرش ، فـعمـدت الى مـسـاعـدة الملك المخلوع وبذلك امكن لهـا الحـصـول على قواعد فى مملكة أنام .

هـ - المطامع الروسية فى المنطقة

بعـد أن تمكنت مـوسكو من اسـتـعـادة اسـتـقـلالهـا عـام ١٤٨٠م فى عـهـد ايفـان المرعب (١٤٦٢ - ١٥٠٥) . ووقـفـت الدول الأوروبية لتـحـول دون تحـقـيق اطمـاع الروس فى الغـرب

اتجهوا ناحية الشرق فعبروا جبال الاورال وتوغلوا فى سيبيريا [1] وكان المغول فى طريقهم للاضمحلال لذلك امتد النفوذ الروسى الى نهر اوب واستمر امتداده جهة الشرق عبر سيبيريا . وفى حوالى عام ١٦٥٢ بدأ الغزاة القوازق يصطدمون بالقوات الصينية .

وقد بذلت روسيا جهودا فى عام ١٦٥٤م من اجل اقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع الصين لكن هذه الجهود منيت بالفشل لاصرار الصينين على اداء ممثلى الروس مراسم (الكاوتاو) التى تقضى بالسجود ثلاث مرات امام الامبراطور ورفض الممثلين الدبلوماسيين الروس للقيام بهذه المراسم . واتسمت العلاقة بين روسيا والصين بنزاع مستمر على الحدود وقد استمرت حرب الحدود بين الدولتين خمسا وثلاثين عاما لم يعد بعدها السلام بين الجارتين الا فى عام ١٦٨٩ ووقعت روسيا والصين معاهدة « نيرشينسك » التى تضمنت اقرار الحدود وبعض الشروط التجارية الاخرى بين البلدين . وظلت هذه المعاهدة نافذة المفعول حتى عام ١٨٥٨ باستثناء بعض التعديلات [2] .

ولم تلبث ان ثارت المنازعات بين البلدين عام ١٦٥٩ حول نقض شروط المعاهدة ، الامر الذى ادى الى توقف التجارة بين البلدين . وفى عام ١٧٢٠ كان قد تم اجتماع بين ممثلى البلدين أمكن فيه الوصول الى حل مسألة « الكاوتاو » وقد ادى احد ممثلى الامبراطور مراسم الكاوتاو امام سفير القيصر ، فرد السفير الروسى بأداء هذه المراسم امام الحاكم الصينى وبذلك تكون الصين قد اعترفت لأول مرة بدولة أوروبية وابرمت معها شروطا تقبل فيها المساواة .

على أنه قد اعيد النظر فى معاهدة نيرشنسك لعام ١٦٨٩ بمعاهدة جديدة سميت معاهدة كياختا لعام ١٧٢٧ ابرز ما فيها اتاحة الفرصة أمام روسيا لاقامة كنيسة فى بكين وارسال بعض القساوسة لخدمة الروس المقيمين هناك .

و - التوغل الانجليزى

قامت مجموعة من التجار الانجليز فى عام ١٦٠١ بتكوين شركة الهند الشرقية البريطانية . وكان الترخيص الممنوح للشركة يخول لها الحق فى الاتجار مع جزر الهند

---

(١) د . عبد الحميد البطريق ، د . عبد العزيز نوار : التاريخ الأوروبى الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا ، ص ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) بين - تشستر : المصدر السابق ص ٥٠ .

الشرقية التى لا تكون تحت اشراف الاوروبيين ، وظل نشاط هذه الشركة قائما فى منطقة شرق اسيا على مدى ٢٥٨ عاما حتى صارت تسيطر على عدد من السكان يبلغون اضعاف ما فى الجزر البريطانية من انفس بشرية .

ولقد ظل البريطانيون فى شغل شاغل بتجارتهم المربحة مع الهند مما صرفهم عن الاهتمام بالاحتكار البرتغالى للتجارة مع الصين . وظل الحال على هذا المنوال حتى عام ١٦٣٧.

بيد ان تجارة الانجليز المنتظمة نوعا ما لم تبدأ سوى فى عام ١٦٩٩ ، فلما انتظمت التجارة بين الهند والصين ، بدأ البريطانيون فى توجيه اهتمامهم للحد من سيطرة الهولنديين على بوغاز ملقا . وفى عام ١٧٨٢ اصبحت بينانج اهم قاعدة بريطانية متقدمة فى جنوب شرق اسيا . وظل الحال على هذا النحو الى أن استولى البريطانيون على سنغافورة وانشاء قاعدة بريطانية هامة بها بعد عام ١٨١٥ .

تلك كانت الارهاصات الأولى للتغلغل الأوروبى بوجه عام فى المنطقة وسوف نحاول الآن أن نعرض للاقتحام الأوروبى بشكله المكثف وعلى العملاقين الرئيسيين فى المنطقة بوجه خاص لنرى ردود الفعل فى كل منهما والاثار المترتبة على هذا الاقتحام .

ثانيا : حرب الافيون والمعاهدات غير المتكافئة بالنسبة للصين

١ - حكومات المانشو

لقد قام عنصر المانشو بحكم الصين باعتبار انهم حكام صينيون ومع ذلك فقد ظلوا محتفظين بشخصيتهم الأصلية ، ولقد تناوب اباطرة المانشو العرش الصينى ابتداء من عام ١٦٤٤ حين اجتاحت جحافل فرسانهم بكين قادمين من منشوريا وقسموا انفسهم ثمانية مجموعات عسكرية أو من سموهم بحملة الاعلام ، فلاذ آخر اباطرة اسرة منج (Ming) بالفرار من قصره المنيف فى بكين وعلق نفسه من احدى الأشجار التى تطل على ما كان يسمى حينذاك بالمدينة المحرمة وبذلك مارست الاسرة الحاكمة الجديدة منذ عام ١٦٤٤ حكمها على المانشو والصينيين على حد سواء[١] .

ومما يجدر ذكره ان طبقة المانشو الحاكمة كانت تشكل طبقة مترفعة ، فلم يكن يجوز لاى واحد منهم أن يشتغل بالتجارة أو يصبح يوما من الايام من التجار اذ ان ذلك لا يرقى الى المستوى الاجتماعى للمانشو ، كما أن الحياة العسكرية لهم كانت وراثية مضمونة منذ

---

(1) warner, M. the Dragon Empress P. 8.

المولد وتشرف عليهم منذ الولادة مؤسسات « الماندرين » . اما من ناحية العدد فقد كانوا يشكلون نحو خمسة ملايين من بين اربعمائة مليون صيني . وكان المانشو يسيطرون على المراكز الهامة في الصين ، واثناء حكم اسرة تشنج (Ching) منذ عام ١٦٤٤ حتى عام ١٩١٢ بما في ذلك مدة خمسين عاما من حكم الامبراطورة « الوالدة » تزو – هسي (١٨٦١ – ١٩٠٦) كان كل نائب من نواب الامبراطور يحتل مكتبا في احدى المقاطعات الثمانية عشر حينذاك .

ولقد سادت التقاليد الثقافية التي ازدهرت في عهد اسرة منج الصينية خلال حكم اباطرة المانشو كذلك . وكانت مدينة كانتون منذ اقدم العصور من أهم مراكز التجارة في الصين . وفي القرن السابع عشر اصبحت تجارة كانتون حكرا على البرتغاليين دون سواهم . وظل الحال على هذا المنوال حتى ظفر الانجليز بتصريح يخول لهم حق انشاء مصنع في عام ١٦٨٤ هناك . ثم لم يحل عام ١٧٠٠ حتى اقتسم الاسبان والهولنديون والفرنسيون التجارة في ميناء كانتون .

وعمدت حكومة المانشو الى وضع اقليمي كوانج تونج وكوانج سي تحت اشراف حاكم عام اتخذ من مدينة كانتون مقرا له . كما عمدت الى تعيين مندوب امبراطوري للاشراف على العلاقات بين الاجانب ومنع اى اتصال دبلوماسي مباشر مع حكومة بكين .

٢ - نظام الكوهونج Co - Hong

حينما اتسع نطاق التجارة مع الغرب اتساعا لم يكن من اليسير على شخص بمفرده القيام بالاشراف على تنظيمها ، صرح مراقب الجمارك الصيني وكان يطلق عليه اسم « هوبو » لبعض التجار الصينيين مشاركته في الاشراف على هذه التجارة الخارجية وتنظيمها . وقام هؤلاء التجار بتكوين شبه النقابة اطلق عليها اسم « كو – هونج » بهدف تلافي المزايدة على السلع الاجنبية . وقد نص قانون هذه النقابة أو الهيئة على أن الغرض من انشائها هو الاحتفاظ باحتكار التجارة الخارجية في ايديها .

ولقد كان هذا النوع من الاحتكار الصارم الذى احكم تنظيمه من القوة بحيث صار مصدرا للشكاوى المتعددة من الأجانب ، نظرا لانه كان يقف حائلا دون حرية نشاطهم التجارى ، بدرجة كبيرة اذ كان كل تاجر يدخل ضمن اختصاص احد اعضاء هيئة الكوهونج الذى يتولى الاشراف على دفع الرسوم الجمركية من جانب التاجر ثم يتولى هذا العضو بيع البضاعة الاجنبية للتجار المحليين وفي نفس الوقت يتولى امر الاشراف على ما يستورده التاجر الاجنبي من المنتجات الصينية التي يعود بها هذا الاجنبي الى بلاده .

وعلى الرغم من تزايد الاعتراضات التى اثارها التجار الاجانب ضد هذا النظام الاحتكارى الصارم الذى يقيد حريتهم بشكل لم يألفوه ، فقد ظل نظام الكوهونج ساريا بصفة مستمرة حتى حلول عام ١٨٤٢ . وقد بذل الصينيون من جهة اخرى اقصى ما وسعهم الجهد لمنع التجار من الاقامة فى الصين ، بل كان محرما على النساء الاجنبيات ان يطأن ارض الصين . ولم يكن مسموحا كذلك للتجار بالسكنى الا فى الاحياء المحيطة بمتاجرهم حتى يمكن السيطرة على تحركاتهم . وكان يطلب اليهم الرحيل عند تحول الرياح الموسمية الى الجنوب الشرقى[(١)] .

٣ - حرب الافيون

ان تسمية حرب الافيون (Guerre de L'opium) التى اطلقت على الصراع الصينى - الانجليزى فى السنوات من ١٨٤٠ - ١٨٤٢ لم تكن تعكس فى حقيقة الامر سوى الاسباب المباشرة لهذه الاحداث فحسب ، ولكن قبل مسألة الاتجار فى الافيون كانت هناك احداث اخرى اسهمت فى خلق هذا الوضع المتوتر . واهم هذه الاحداث فى واقع الامر هو الرفض المتكرر للانفتاح من جانب الصين ، وعدم التجاوب الصينى مع العروض البريطانية فيما يتعلق بتحرير التجارة من تلك القيود التى رأيناها متمثلة فى اجلى مظاهرها فى نظام الكوهونج من ناحية وكذلك الرفض القاطع من جانب الصين ازاء كل محاولة قامت بها بريطانيا لتبادل التمثيل الدبلوماسى بين البلدين أو التبادل التجارى الحر بينهما .

وفى عام ١٧٩٣ استقبل اللورد ماك كرتينى (Mac Cartney) من جانب الامبراطور لونج ، ولكن ما قدمه اللورد من مقترحات لم يلق قبولا لدى الامبراطور . وفى عام ٨١٩ حاول اللورد امهرست محاولات مضنية لتوثيق العلاقات بين البلدين ولكن حظه لم يكن اوفر من حظ سابقة ، وعلى كل حال فقد تجددت هذه المحاولات فى عام ١٨٣٣ دون جدوى . وكانت هناك واقعة غيرت الاوضاع تمثلت فى الزيادة الرهيبة فى استيراد الأفيون البريطانى من جانب الصين .

وحقيقة الأمر فإن الأفيون كان معروفا فى امبراطورية الصين قبل استيراده بهذه الكميات الهائلة فى القرن التاسع عشر ، ولكن استخدامه حينذاك كان فى الأغراض الطبية . غير أن تعاطى الافيون كمخدر وبصورة مستشرية جعل تحريمه امرا لا مفر منه منذ عام ١٧٢٩م . ولم يصبح الافيون كارثة اجتماعية حقيقية الا منذ اللحظة التى حصلت فيها شركة الهند الشرقية البريطانية من الحكومة البريطانية على حق احتكار بيعه . وعمدت الشركة منذ

---

(١) بين ، تشستر : المصدر السابق ص ص ٥٨ ، ٥٩ .

نهاية القرن الثامن عشر الى اغراق جنوب الصين به عن طريق مدينة كانتون(١) .

ورغم تجدد حظر هذه التجارة (١٧٨٩ - ١٨٠٩) فقد كان يتم تهريبه على نطاق واسع ومنذ عام ١٨٣٣ نشأ هناك وضع متوتر بين التجار البريطانيين والمسؤولين الصينيين بسبب عمليات التهريب . وفى نفس هذه السنة فقدت شركة الهند الشرقية البريطانية احتكار التجارة مع الصين ومعنى ذلك أن الشركة فقدت دور التمثيل الرسمى للتجارة والمصالح البريطانية فى كانتون وحل محلها فى هذا الشأن ممثل التاج البريطانى مباشرة . وقد ترتب على هذا الوضع الجديد ضرورة عرض كافة المنازعات على الحكومة البريطانية رأساً . لذلك فان من تقلدوا هذا المنصب على التوالى وهم : اللورد نابيير (Napier) ثم تشارلز اليوت (Charles Eliot) قاموا من خلال رعايتهم للمصالح البريطانية بتجديد مطالبتهم بحرية التجارة فى الفترة الواقعة بين (١٧٩٣ - ١٨١٩) .

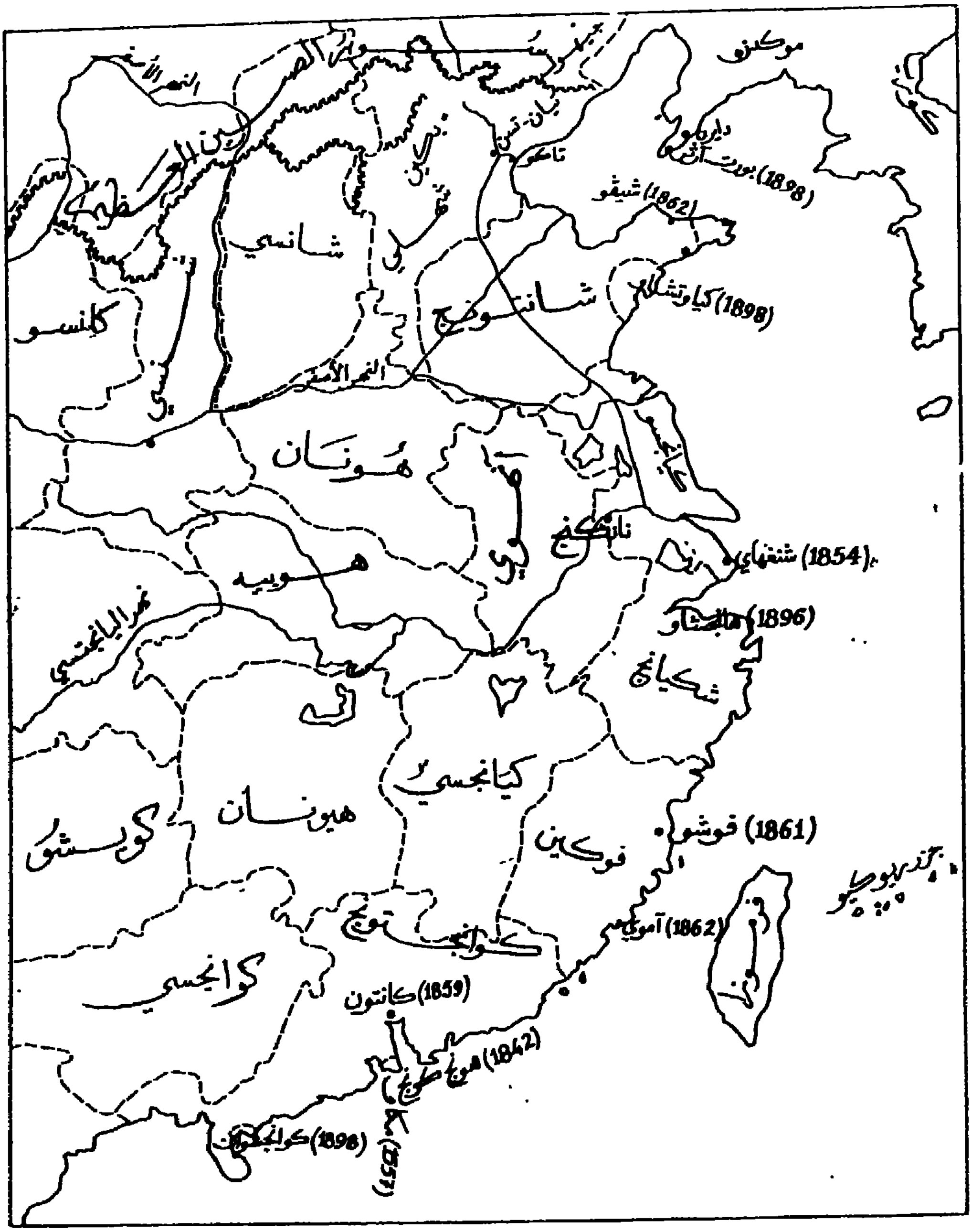
وهذا الموقف المتأزم بين البلدين ، بالاضافة الى رفض البريطانيين الامتثال للتشريعات الصينية ساعد على خلق وضع متوتر للغاية . لذلك فان اللجوء الى الحل العسكرى ابتداء من ١٨٣٥ آخذ يخامر اذهان المسؤولين البريطانيين . ووقعت اخيرا الحادثة التى اشعلت فتيل الحرب فى عام ١٨٣٩ عند قدوم المندوب الامبراطورى الصينى « لين » لمصادرة الافيون .

فقد اشار بعض المسؤولين الصينيين باقرار تجارة الافيون والسماح بتداوله لكى تحصل الحكومة على ايرادتها منه ، فى حين اشار البعض الاخر بالقضاء على تجارته قضاء مبرما لاعتبارات اخلاقية ، وقد تغلب اصحاب الرأى الثانى فقدم « لين - تسى - هسو » الى مدينة كانتون فى عام ١٨٣٩ مخولا بسلطات استثنائية واسعة لوقف تجارة الافيون بعدما كان قد احرزه من نجاح فى وقف هذه التجارة فى انحاء اخرى من البلاد . وقام « لين » باصدار اوامره الى جميع الاجانب بتسليم ما فى حوزتهم من الافيون وتوقيع تعهدات بعدم الاشتراك فى هذه التجارة والا تعرض من يخالف ذلك الى عقوبة الاعدام ، وقد تمكن لين من إرغام الاجانب على تسليم كميات من الأفيون بلغت قيمتها ستة ملايين دولار . فقام على الفور باعدامها كلها مما اثار دهشة الاجانب ازاء هذا العمل الذى اعتبروه استفزازيا من وجهة نظرهم .

وبعد أن تسلم لين هذه الكميات من الأفيون سحب قواته ، واعلن إبطال هذه التجارة حتى يتم توقيع التعهدات المطلوبة . وقد اذعن الاجانب جميعهم لهذا الاجراء فيما عدا الانجليز الذين اصر القائم على رعاية شئون تجارتهم « الكابتن إليوت » على عدم الخضوع لامر

---

(1) Wang P.N. L'Asie Orientale de 1840 á nos jours op. cit. P. 35-36



(« موانىء المعاهدات » وتواريخ فتحها للملاحة)

الإبطال وامر التجار البريطانيين بمغادرة مدينة كانتون . وظلت السلع البريطانية لفترة من الزمن يجرى نقلها الى كانتون على سفن أمريكية ، وسفن اخرى غير بريطانية ، ومع ذلك فقد اشترك بعض البحارة البريطانيين يوم ٧ يوليو ١٨٣٩ فى احداث شغب اسفرت عن مقتل احد الصينيين . فبعث ذلك على احياء تلك المشكلة القديمة من جديد وهى مشكلة الاختصاص القضائى .

ورفض « اليوت » طلب تسليم عدد من البحارة الانجليز وقام لين باصدار اوامره بمنع توريد المواد الغذائية الى هونج كونج ومكاو ردا على هذا التحدى .

وبعد انقضاد عدة اسابيع من المفاوضات تم تبادل طلاق النار فى ٣ نوفمبر ١٨٣٩ بين السفن الصينية والسفن الحربية البريطانية وهكذا بدأ الجانب العملى من حرب الافيون .

عرض البريطانيون شروطهم على النحو الاتى

١ – ان تدفع الصين قيمة الافيون الذى تم اعدامه .

٢ – معاملة الموظفين البريطانيين معاملة لائقة تتفق مع احكام القانون الدولى حسب مفهوم الدول الغربية له .

٣ – تنازل الصين عن احدى الجزر التى تكون على مقربة من سواحلها ضمانا لمزيد من الأمن لتجارة البريطانيين ولتجارهم .

على أن الصين حينما رفضت الشروط قام البريطانيون بمحاصرة مدينة كانتون كوسيلة للارهاب . ولما لم تفلح هذه الطريقة قاموا بقصف المدينة بالقنابل فى يناير ١٨٤١ . فعرض الموظفون فى كانتون شروطا من جانبهم لم تلق قبولا من البريطانيين . وفى مايو ١٨٤١ دفعت بريطانيا ستة ملايين من الدولارات تعويضاً للصين عما اصاب مدينة كانتون من الدمار . غير أنه لما تلقى البريطانيون مزيدا من الامدادات العسكرية بقيادة السير هنرى بوتنجر قاموا بمهاجمة مدينة نانكنج فى الشمال . ولم يبد الصينيون مقاومة جدية وبادرت الحكومة بالتسليم ، وفى ٢٩ اغسطس ١٨٤٢ تم توقيع أول معاهدة من سلسلة المعاهدات التى اشتهرت فى تاريخ الصين باسم المعاهدات غير المتكافئة وهى معاهدة نانكنج (Nanking) التى تسببت فى ضياع الكثير من سيادة الصين .

٤ - معاهدة نانكنج ١٨٤٢

تم بمقتضى هذه المعاهدة « غير المتكافئة » الأولى فى تاريخ الصين فتح موانىء كل من كانتون (Canton) ، وآموى ، وفوشو (Foo'chow) وننج – بو (Ningpo)وشنغهاى للتجارة الخارجية ، وأصبح من الممكن تعيين قناصل بريطانيين فى هذه الموانىء كما أصبح

فى مقدور التجار البريطانيين استئجار الأراضى للاقامة وللاعمال التجارية . وتنازلت الصين لبريطانيا عن جزيرة هونج كونج نهائيا . كما تم الغاء نظام « الكوهونج » الذى أشرنا الى أنه كان يضع قيدا ثقيلا على حرية التجارة . واصبح التجار البريطانيون احرارا فى الاتجار مع من يشاؤن من التجار الصينيين .

كذلك تم بمقتضى هذه المعاهدة دفع تعويض قدره ٢١ مليون دولار منها ستة ملايين ثمناً للافيون الذى صادرته الصين ، وثلاثة ملايين أخرى سدادا للديون التى على هيئة الكوهونج ، اما الباقى فنظير تغطية نفقات الحرب التى تكلفتها بريطانيا .

وفى العام التالى ، وفى ملحق معاهدة بوج (Bogue) منحت الصين للبريطانيين المقيمين فيها حق امتداد القوانين (Exterritorialité) فى القضايا الجنائية ، كما اضيف الى المعاهدة فقرة تكسب بريطانيا حق الدولة الأولى بالرعاية – الأمر الذى حقق لبريطانيا ميزة الحصول على امتيازات اضافية قد تمنحها الصين مستقبلا للدول الاخرى . كذلك طلبت عدة دول أخرى منها الولايات المتحدة وفرنسا ان تطبق الامتيازات التى رتبتها هذه المعاهدة على تجارتها مع الصين وعلى رعاياها المقيمين بها واجيبت هذه الدول الى طلبها . ومما يجدر ذكره أن هذه المعاهدة لم تعرض بصورة مباشرة الى الأفيون اللهم الا ما تعلق بالتعويض عما تم مصادرته من الأفيون[1] .

(١) ديورانت ، ول : المصدر السابق ص ٢٩١ .

الفصل الثالث

ردود الفعل بالنسبة للصين

١ - التأثيرات الاولية للتوغل الغربى

ان تعدد الاتصالات وبدء الاحتكاك بين الصين والعالم الغربى ، قد تم كما رأينا بقوة السلاح البريطانى عقب هزيمة الصين عام ١٨٤٠ . وقد كرست هذه الاتصالات سلسلة من المعاهدات غير المتكافئة بدءا بمعاهدة نانكنج . وقد نتج عن هذه الاتصالات اثار هامة منها تزايد العواصم الحضرية وزيادة عدد التجار وظهور فئة هامة من بينهم هى فئة الكومبرادور (Compradors) اى من الصينيين الذين صاروا يعملون كوسطاء للتجار الأوروبيين واهل البلاد . وقد ادى ذلك بدوره الى تركز الأرض المرغوبة فى مناطق محدودة وزيادة اثمانها زيادة مفاجئة مما نجم عنه الشكاوى المتزايدة من صغار الملاك وانتشار موجة من التذمر – الأمر الذى تمخض عن ظهور « فتنة » التايبنج (tai - Ping) .

٢ - فتنة التايبنج ١٨٥٦

يرى البعض ان ثورة تايبنج ليست ثورة بالمعنى المفهوم للثورات حين تتمخض عن نتائج معينة ، بل يعتبرونها مجرد مقدمة للثورة الفعلية[1] . ومن ثم فهى فى نظرهم عبارة عن قلاقل واضطرابات أو « فتنة » نفث بها الشعب الصينى عن نفسه وهى بهذا التعبير احدى النتائج العملية غير المباشرة لعملية احتكاك الصينيين بالاجانب . وهى فى رأى البعض الاخر ظاهرة اجتماعية معقدة تعبر عن اقلية مضطهدة وفتنة ظهرت بين طبقة الزراع ضد الجهاز الحكومى الفاسد . بيد ان الأمر المرجح هو أن سببها الاساسى روح السخط التى تفشت بين طبقة الزراع حيث نجد على سبيل المثال ان بعض المناطق المجاورة لكانتون قد عمتها الاضطرابات بسبب ادخال غزل القطن المستورد بدلا من الغزل المحلى مما حرم نساء هذه المناطق من مورد هام لكسب العيش .

ولقد عاصرت هذه الفتنة التى انطلقت فى الخمسينيات واستمرت حتى حوالى منتصف الستينيات من القرن التاسع عشر – مستهل حكم الامبراطورة تزو – هسى (Tzu - Hsi) من اسرة المانشو الحاكمة . ورغم ان الشعب الصينى ابعدته مشاكله عن أن يدرك تماما

---

(1) Wang, P.N. Op. Cit. P. 47

ابعاد معاهداته غير المتكافئة مع الأجانب الا أنه كان يشعر بثقل وطأتها عليه – الأمر الذى فتح عينيه على القائد الروحى لهذه الفتنة[1] .

وكان قائد هذه الفتنة يعمل مدرسا فى إحدى مدارس القرى ويدعى هونج هسيو تشوان (Hung Hsiu Chuan) وكان قد فشل فى الاختبارات التى جرت العادة على عقدها للإنخراط فى سلك الخدمة المدنية ، وفى عام ١٨٣٣ انتابه المرض ورأى فيما يرى النائم عدة رؤى لم يجد لها تفسيرا إلا فى تعليمات المسيحية التى أبلغت اليه – حسب زعمه – والتى استنتج منها أنه الأخ الأصغر للمسيح (عليه السلام) وإنه إنما أرسل بوحى مسيحى جديد لهداية ذلك العالم الضال . وبعد أن لقيت دعوته بعض الأنصار ، أعلنت سلطات كوانجسى أن الثائر هونج شخص خارج على القانون . فمضى هونج فى ١٨٥٧ فى تزعم ثورة ضخمة على حكومة المانشو ، وزحف بأتباعه الذين لم يتجاوز عددهم بضعة آلاف نحو الشمال فى إتجاه نهر اليانجتسى ، واخفقت جيوش المانشو فى صده هو واتباعه ، فاتجهت قواته إلى مدينة نانكنج حيث قامت بذبح ما يقرب من عشرين ألفا من المانشو واتخذت نانكنج عاصمة لها[2] .

ولقد حددت فتنة تايبنج هدفها الأول وهو إنشاء حكومة دينية شبه شيوعية لتحقيق الأغراض التالية :

أ – القضاء على عناصر المانشو ، وإقامة أسرة حاكمة وطنية يرأسها هونج .

ب – تنفيذ مبدأ الإخاء الإنسانى ، وذلك بإعادة توزيع الثروة ، وتقسيم الأرض بالتساوى ، وقد تجلى ذلك فى التدريب العسكرى الصارم الذى اخذت به جيوشها حتى أصبحت على قلتها تفوق القوات الصينية المعارضة .

ويلاحظ أن ديانة فتنة التايبنج كانت فى أساسها مسيحية على المذهب البروتستانتى مع اختلاطها بكثير من الطقوس الدينية مثل الكنفوشية والبوذية والتاوية ، ومع ذلك فلم يكن من بين الملايين من ثوار تايبنج من يفهم حقيقة تعاليم الديانة المسيحية سوى هونج وعدد قليل من أتباعه ، ولهذا كثرت الأخطاء المذهبية ، الأمر الذى جعل الاقتناع بما دعا إليه هونج يتسم بالسطحية .

وتمكنت قوات الثورة من غزو إقليم هونان وانهوى ، وكيانجسى ، وتبادلت القوتان الاستيلاء على بعض المدن أكثر من ست مرات فى مدى ثلاث سنوات مما سبب لهذه المدن

(1) Warner, M. Op. cit P. 20 - 46 .

(٢) بين ، تشستر : المصدر السابق ص ٦٨ .

التدمير والخراب ، وقد وصلت قوة الثورة أقصى عنفوان لها فى يونيو ١٨٥٦ حينما تمكنت من طرد قوات المانشو من منطقة نانكنج حتى أنه لو كانت هناك زعامة موحدة قوية لدى الثوار لتمكنوا من القضاء على امبراطورية المانشو .

ثم دارت الدائرة على الثوار وأوشكت قوتهم على الإنهيار لولا نشوب الحرب التى عرفت باسم حرب آرو (Arrow) التى وفرت لثوار تايبنج الفرصة لإلتقاط الأنفاس ، ثم ما لبثت أن ظهرت فتنة جديدة من بين صفوف قوات تايبنج جددت الثورة على حكومة المانشو .

٣ - حرب آرو (Arrow)

لقد عم الصينيين شعور غامر بأن المعاهدات التى تم إبرامها مع الاجانب فى الفترة الواقعة من ١٨٤٢ – ١٨٤٧ منحت الاجانب من الامتيازات أكثر مما ينبغى وظلت الصين تحاول المماطلة ما استطاعت الى ذلك سبيلا فى تنفيذ الالتزامات التى أوجبتها المعاهدات ، فى حين لم يكف الاجانب عن طلب المزيد من هذه الامتيازات ، وتركزت الاحتكاكات والحركات المعادية للأجانب فى كانتون على وجه الخصوص .

وتجمعت المظالم بين الجانبين ولم يبق إلا تلك الشرارة التى تضرم نار النزاع المسلح ، وفى عام ١٨٥٣ افتتح أحد المبشرين الفرنسيين الكاثوليك ويدعى شابدلين (Chapdelaine) دارا للتبشير فى إقليم كوانجسى خارج حدود الميناء الذى نصت عليه المعاهدات وبعد إنقضاء ثلاثة أعوام من التبشير تم القبض عليه وعلى اتباعه وتم اعدامهم باعتبارهم ثوارا قاموا بانتهاك حرمة القانون مما اثار المشاعر الفرنسية .

ولقد كان الحادث الذى دفع بريطانيا فى حقيقة الأمر إلى القيام بعمل عسكرى ضد الصين هو تفتيش السفينة البريطانية « لوركا – آرو » . وتتلخص هذه الواقعة فى أن التقاليد كانت تقضى بالسماح للسفن الصينية فى تلك الآونة بأن يجرى تسجيلها ضمن السجلات البحرية البريطانية . فقد كان القراصنة يحترمون العلم الأجنبى مما جعل أصحاب السفن الصينية يسعون إلى هذا التسجيل حماية لنشاطهم البحرى .

وفى عام ١٨٥٦ أمر الحاكم الصينى « يبه » بعض المسؤولون بتفتيش السفينة البريطانية « آرو » التى ترفع العلم البريطانى بدعوى انها تأوى أحد القراصنة ورأت بريطانيا فى ذلك إهانة لعلمها خاصة بعد أن تم القاء القبض على البحارة الصينيين المستظلين بظل العلم البريطانى فى السجن . ولما طالبت بريطانيا بإطلاق سراحهم ، وتقديم اعتذار عما حدث قوبل هذا الطلب بالاهمال من جانب المسؤولين الصينيين . لذلك عمدت القوات البحرية البريطانية إلى الحصول على موافقة رسمية من لندن بإتخاذ تدابير عسكرية حلا لهذا الوضع واستولت

ات البريطانية على الحصون التى تحمى كانتون ، وقصفت مقر الحاكم « بيه » بالقنابل . الرغم من ذلك لم يقدم الصينيون الاعتذار المطلوب .

وتجددت المعارك فى ٢٥ ديسمبر ١٨٥٧ . حين قام البريطانيون بقصف مدينة كانتون بالقنابل واستولوا عليها ، كما تم القاء القبض على بيه أثناء محاولته الهرب ، ومات أسيرا بالهند . ثم نقل البريطانيون والفرنسيون ميدان القتال إلى أقرب الموانىء لمدينة بكين ، وسقطت حصون تاكو التى كانت تعتبر من وجهة نظر الصينيين مراكز دفاع منيعة أمام قصف المدفعية الغربية وبادر الصينيون إلى طلب الصلح ، فوقعوا معاهدة جديدة من المعاهدات غير المتكافئة وهى معاهدة تيان – تسن .

٤ - معاهدة تيان - تسن ١٨٥٨

وقعت الصين هذه المعاهدة كما رأينا عقب هزيمتها على يد القوات العسكرية المشتركة للبريطانيين والفرنسيين ، وهى إمتداد للمعاهدات غير المتكافئة التى سنرى إنها سوف تدفع الصين نحو الثورة ، وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة وروسيا لم تشاركا فى معركة آرو فقد بادرتا بإرسال مندوبيهما للإشتراك فى جنى ثمار هذا النصر العسكرى .

وبموجب هذه المعاهدة التى شاركت فى توقيعها غالبية دول الغرب – طبقا للفقرات التى تنص على حق الدولة الأولى بالرعاية تضمنت المعاهدة ما يلى :

١ – اكتسبت الدول الموقعة عليها حق استقبال سفرائها فى بكين على أساس المساواة الدولية دون أداء مراسم « الكاوتاو » .

٢ – يتم الترخيص للأجانب بالاتجار فى عدة موانىء جديدة حددتها المعاهدات بما فيها عدة موان فى أعالى نهر اليانجستى بالإضافة للإتجار فى المناطق الداخلية .

٣ – إعادة الاعتراف من جديد بحق امتداد القوانين الاجنبية على الأراضى الصينية مع توسيع نطاق تطبيقه .

٤ – اقرار مبدأ التسامح الدينى مع المسيحيين .

٥ – تم وضع شروط محددة لإعادة النظر فى هذه المعاهدة مستقبلا .

٦ – إقرار مشروعية تجارة الأفيون[١] .

٥ - اتفاقيات بكين ١٨٦٠

ما لبث الصينيون أن عادوا إلى التحلل مرة أخرى من تنفيذ الالتزامات المترتبة على هذه المعاهدات المجحفة ، وعملوا على عرقلة التصديق الرسمى على نصوصها من جانب حكـــومة

---

(١) بين ، تشستر : نفس المصدر ص ٧٣ ، ٧٤ .

بكين . وتجلت نياتهم واضحة بعد أن تسنى لهم إحكام تحصينات مصب نهر « بى – هو » ، فجددت القوات الانجليزية – الفرنسية المشتركة الهجوم . وحاولت قواتهم الاتجاه شطر أعالى النهر فتصدى لهم الصينيون . وفى العام التالى أرسل الفرنسيون والبريطانيون حملة مشتركة مكونة من ٢٠٫٠٠٠ جندى استولت على الحصون ، واتجهت شمالا صوب تيان – تسن وانتهى الأمر إلى قيام الفرنسيين والبريطانيين بتدمير قصر الامبراطور فى بكين . وفر الامبراطور هاريا تاركا أخاه « كوانج » ، لكى يتولى مواجهة الأجانب .

وقد تمكن كوانج من التفاهم مع الأجانب وعقد سلسلة جديدة من الاتفاقيات غير المتكافئة عرفت باسم اتفاقيات بكين كان أهم ما تضمنته ما يلى :

١ – ضمان حق الاقامة للسفراء الاجانب فى بكين .

٢ – تم ضم كولون إلى القاعدة البريطانية فى هونج كونج .

٣ – أصبحت مدينة تيان تسن ميناء مفتوحا كبقية الموانىء التى شملتها المعاهدة .

٤ – اقر من جديد شرعية الاتجار فى « الكولى » أى العمال الصينيين .

٥ – أعيدت إلى الكاثوليك كافة ممتلكاتهم التى كانت قد صودرت فى عام ١٨٢٤ .

٦ - فترة الاضمحلال الصينى (١٨٦٠ - ١٨٩٤)

عقب الهزائم المتوالية التى منيت بها الصين على يد البريطانيين ، والبريطانيين ، الفرنسيين معا من ناحية وبتأثير المعاهدات غير المتكافئة والمهينة فى شروطها وخاصة فى الفترة من ١٨٥٨ – ١٨٦٠ بتأثير معاهدة نانكنج عام ١٨٤٢ ثم معاهدة تيان – تسن ١٨٥٨ ، وأخيرا اتفاقيات بكين لعام ١٨٦٠ من ناحية أخرى – أصاب أسرة المانشو كثير من الضعف والوهن وانكسرت شوكتهم .

وفى أثناء السنوات التالية منيت البلاد هى الأخرى بثورات داخلية متفرقة إلى جانب أعمال السطو والنهب بل ان الكوارث الطبيعية لم ترحم الصين متمثلة فى الفيضانات المدمرة والأوبئة الفتاكة ، فضلا على أن الصين فقدت الدول الخاضعة لسيادتها مثل بورما والهند الصينية لتنازلها عن الأولى لبريطانيا وعن الثانية لفرنسا ، وضعف سلطان الصين على إقليمى سينكيانج ومنغوليا الخارجية .

ولقد كان من نتيجة ثورة تايبنج ان هلك بسببها نحو عشرين مليونا من أهل الصين سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، وساد الدمار والتخريب تسع مقاطعات كاملة ، فنضبت خزائن أسرة المانشو الحاكمة بسبب النفقات الطائلة التى تكبدتها فى القضاء على الثورة ، وكذا قامت من خلال هذه الفترة الزمنية – التى تعارف المؤرخون على إنها فترة الاضمحلال

الصينى والتى امتدت ٣٤ عاما تقريبا - ثورة يونان واستمرت فى أوساط المسلمين الصينين من أهل يونان من ١٨٦٠ - ١٨٧٣ . وهؤلاء المسلمون من أهل يونان يعتقد أنهم سلالة جيش إسلامى كان قد أرسله أحد الخلفاء المسلمين لمساعدة الصينيين فى حروبهم فى القرن التاسع ، وقيل أن هذه القوة الاسلامية تمردت واستقر بها المقام فى إقليم يونان ، ثم أصبحت صينية عن طريق الامتزاج بالصينين .

وفى عام ١٨٦٠ قامت هذه القوة بثورة يرجع سببها فى الغالب إلى نزاع اقتصادى حول الاشراف على موارد يونان المعدنية الهائلة ، ولكن حرص الحكام الصينيين على ارتكاب مذبحة بين المسلمين تسبب فى إنتشار الثورة على نطاق واسع ، واستمرت ثلاث عشرة سنة كاملة تحت قيادة السلطان « سليمان » « توون هسيو » . ولقد ساعد على اخماد هذه الثورة الاسلامية جماعات أخرى من المسلمين قدمت خدماتها طواعية للمانشو لمحاربة إخوانهم فى الدين ، فقامت القوات المشتركة الامبراطورية والاسلامية بمحاصرة اقليم « تالى - فو » عاصمة الثوار فى عام ١٨٧٣ واستولت عليها . ولما تحقق لهم النصر اعملت القوات الامبراطورية السيف فى رقاب المسلمين وكانت مذبحة بشعة راح ضحيتها آلاف مؤلفة من المسلمين(١) .

وأما بالنسبة لنكبات الطبيعة التى أبت إلا أن تأخذ قسطها من الشعب الصينى فى تلك الفترة فيكفى للتدليل على قسوتها ان نذكر أن القحط والمجاعة والوباء فى عامى ١٨٧٧ - ١٨٧٨ قضت على نحو عشرة ملايين صينى فى وادى النهر الأصفر ، كما أن الأمطار التى كان يعز سقوطها فى الشمال هطلت بغزارة جبارة فتسببت فى تدمير عدة مقاطعات بكاملها . وفى العام ١٨٨٦ شمل الفيضان المناطق الشمالية وحول النهر - الذى اطلق عليه اسم نهر « احزان الصينيين » مصبه بعيدا عن شمال اقليم شانتونج بنحو مائة ميل إلى كيانجسو ، وترتب على ذلك ان الآلوف التى تمكنت من الهرب من الموت غرقا بفعل الفيضانات ادركها الموت جوعا نتيجة تحول مجرى النهر عنهم .

٧ - أزمة العلاقات الدبلوماسية بين الصين والعالم الخارجى

نود الاشارة قرب ختام هذا الفصل إلى ظاهرتين وقفتا عقبة كأداء فى سبيل انفتاح الصين على العالم الخارجى وهما مراسم « الكاوتاو » ، ومسألة الاختصاص القضائى بمعنى مدى امتداد قوانين الدول الأجنبية وتطبيقها على المنازعات التى تتم فى أراضى الصين والمفترض أن تخضع للتشريعات الصينية .

---

(١) بين ، تشستر : نفس المصدر ص ٧٩ .

أ - مراسم الكاو - تاو

مراسم الكاوتاو ظاهرة حيرت الاجانب ، وهى المثول أمام الامبراطور الصينى بكيفية خاصة ، وسبب هذه المشكلة رفض المسئولين الصينيين الاعتراف بالدول الغربية على أنهم انداد لدولة الصين ، فلقد ظلت الصين على مدار آلاف السنين مملكة مركزية تحتفظ بعلاقات دبلوماسية بكيفية ما مع دول كلها تابعة لها ، أو دول تدفع لها الجزية . ورغم ما منيت به الصين من هزائم وما حل بها من كوارث ، وما عقدته من معاهدات مهينة غير متكافئة فى السنوات من ١٨٤٢ - ١٨٦٠ ، فقد رفض الصينيون مثل هذا الاعتراف ، ولقد تمثل ذلك بصورة حية فيما أطلق عليه بمشكلة « الكاو - تاو » أى السجود أمام الامبراطور لدى المثول أمامه .

وسببت هذه المشكلة قدرا كبيرا من القلق للدبلوماسية الغربية منذ أول لقاء فقد أصرت الصين على ن يؤدى الدبلوماسيون الغربيون مراسم الكاوتاو تأكيدا لتفوقها على حكوماتهم وتقضى هذه المراسم بأن يسجد الممثل الأجنبى ثلاث مرات أمام الامبراطور. ولما كانت نظم الحكم فى البلاد الأوروبية تعترف بالمساواة بين جمع الدول تطبيقا لأحكام القانون الدولى العام بصرف النظر عن حجم الدولة ، فقد كان من الطبيعى أن ترفض دول مثل فرنسا أو بريطانيا السماح لممثلها بالسجود ثلاث مرات أمام الامبراطور .

على إنه ابتداء من عام ١٨٧٣ أصبح المسؤولون الصينيون فى هذا المجال يتجنبون قبول طلبات المثول بين يدى الامبراطور بالنسبة لممثلى الدول الغربية متعللين بأن الامبراطور تونج شيه لم يبلغ بعد سن الرشد . فلما بلغ سن الرشد صار هناك تحول فى مسألة المثول بأن يكون بالركوع ثلاث مرات بدلا من السجود . وعلى أية حال فإنه لم يتم التصريح للمبعوثين الدبلوماسيين الأجانب بالمثول بين يدى الإمبراطور كوانج هسو حتى عام ١٨٩١ م لأنه كان لا يزال قاصرا ، ولم يمنح تصريح رسمى للمثول بين يدى الامبراطور إلا فى عام ١٨٩٣[1] .

ب - الاختصاص القضائى

لقد كان المظهر الذى يجعل من الصين شبه مستعمرة يتجسد فيما سمى بحق امتداد القوانين (Exterri torialité) بالنسبة للقناصل الاجانب حين يقومون بالفصل فى المنازعات بين رعايهم المقيمين فى الصين ونجد بريطانيا على سبيل المثال قد زودت قناصلها فى الصين بسجون خاصة وشرطة مخصصة لهم . ولكن الولايات المتحدة فشلت فى تعزيز مركز

(١) بين ، تسيتر : نفس المصدر ص ٨٤ .

ممثليها القنصليين فى هذا المجال ، وعرف بوجه عام عن القضاء الأمريكى فى الصين سوء السمعة طيلة الجزء الأكبر من القرن التاسع عشر .

وفى عام ١٨٦٤ تم إنشاء محاكم مختلطة فى شنغهاى من أجل النظر فى القضايا التى تشمل عناصر أجنبية وعناصر وطنية ، فكان يجلس نائب عن الحاكم الصينى إلى جانب القاضى الأجنبى فى الأحياء التى كانت تتسم بصفة « الدولية » لتحرى العدالة فى القضايا التى يكون أحد أطرافها من أهل الصين . ولقد نصت اتفاقية « شيفو » لعام ١٨٧٦ على أن يطبق عند نظر هذه القضايا القانون الذى يمثله القاضى المنوط به اصدار الحكم فى القضية، وكانت جنسية المدعى عليه فى هذه الحالة هى التى تحدد أى القوانين يكون واجب التطبيق .

٨ - المفاوضات بين الصين والدول الغربية

بدأت الصين من جانبهاحركة استكشاف لذاتها وكأنها بدأت تفيق من غفوتها لتنظر ماذا أصابها وتتلمس طريقها لتبحث عن مخرج مما ألم بها على يد الغرب ، لذلك بادر المسئولون الصينيون عام ١٨٦٦ بتشكيل لجنة تحقيق بهدف الحصول على معلومات عن هذه الدول الغربية التى كانت فى عرفها يوما من الأيام « جماعات من البرابرة » وقامت اللجنة بوضع تقريرها عن أوجه الخلاف الاساسية بين أوروبا وبين الصين ، ولكنها مع ذلك اغفلت أوجه الخلاف فى المجال السياسى إلى حد كبير .

لذلك انتهزت وزارة الخارجية الصينية فرصة انتهاء خدمة أنسون بيرلنجيم (Anson Burlingame) كمبعوث للولايات المتحدة لدى الصين فى عام ١٨٦٧ وعينته على رأس بعثة أوفدتها إلى الدول الغربية لتخفيف الضغط الذى كان متوقعا أن تقوم به الدول على الصين عند إعادة النظر فى بعض المعاهدات ولما كان بيرلنجيم متحمسا لمهمته هذه فقد أعلن ترويجا لها أن الصين على إستعداد لإعتناق المسيحية وانتهز هذا المبعوث الأمريكى الفرصة لإبرام معاهدة سميت باسمه فى عام ١٨٦٨ .

٩ - معاهدة بيرلنجيم ١٨٦٨

كانت المعاهدة بداية التقارب الصينى - الأمريكى ، وقد قام بيرلنجيم بابرامها فى واشنطن عام ١٨٦٨ ، وكانت أهم ما نصت عليه بنوداً أربعة أساسية كما يلى :

١ - تشجيع هجرة الصينيين إلى الولايات المتحدة .

٢ - حرية الالتحاق بمدارس كلا البلدين .

٣ - تطبيق مبدأ المعاملة بالمثل بالنسبة للإقامة والسياحة فى كلا البلدين .

٤ – تحرير الصين من التدخل الاجنبى فى تطوير شئونها الداخلية .

وحقيقة الأمر أن الصين أبدت معارضتها لهذه الشروط فيما عدا البند الأخير ، ثم عادت فى نهاية الأمر فصدقت على المعاهدة . على أن هذه المعاهدة آتت اكلها فى تخفيف الضغط الأجنبى الأوروبى على الصين اذ اجلت بريطانيا المطالبة بإعادة النظر فى المعاهدات خمس سنوات وحذت حذوها بقية الدول الأوروبية . ونشير فى هذا المقام أن الولايات المتحدة دأبت منذ ذلك الحين على إتخاذ مركز الزعامة الدبلوماسية للهيئات السياسية الاجنبية المعتمدة لدى الصين ، حتى عندما كانت تجتاحها الحروب الأهلية . وقد انتهج الدبلوماسيون الاجانب اتباع سياسة وارشادات انسون بير لنجيم مبعوث الولايات المتحدة لدى الصين فى الفترة ما بين ١٨٦١ – ١٨٦٢ وكانت الزعامة الدبلوماسية تتركز على نقطتين أساسيتين وافق عليها كل المبعوثين الأوروبيين وهما :

أ – اتخاذ اجراء دبلوماسى موحد بهدف الزام الصين بمراعاة نصوص المعاهدات تجنبا لسياسة استخدام السفن الحربية للتظاهر بالقوة .

ب – الاحتفاظ بحالة من الاستقرار الدبلوماسى عن طريق تكريس الوحدة الصينية بما يقلل إحتمال قيام أية دولة بعمل انفرادى استغلالاً لحالة الضعف الصينى .

١٠ – هجرة الصينيين إلى الولايات المتحدة

كانت هناك تشريعات صينية تقضى بتحريم الهجرة إلى خارج الصين . ولكن بعد حلول عام ١٨٥٠ تزايدت هجرة الصينيين زيادة كبيرة . وعلى كل حال فقد زود العمال الصينيون مناجم الذهب فى كل من استراليا وكاليفورنيا كما زودوا انشاء السكك الحديدية فى غرب الولايات المتحدة باعداد وفيرة من اليد العاملة الرخيصة لاسيما بعد أن بدأت دول أمريكا اللاتينية بالاستعاضة بالعمال الصينيين عن الرقيق الاسود المستجلب من أفريقيا خلال القرن السادس عشر ، فى ظل صدور التشريعات الدولية فى أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر وتزعم بريطانيا لهذه الحركة .

وقد سادت تجارة « الكولى » أى الاتجار فى الطاقة البشرية الصينية فى أنحاء شتى من العالم ، وكان نائب الامبراطور الصينى فى كانتون قد وافق فى عام ١٨٩٥ على الاتجار فى الكولى بشرط تنظيم هذه التجارة الآدمية . بل أن الحكومات الأوروبية – فيما عدا البرتغال – اتفقت مع المسئولين الصينيين على إنشاء مراكز للإتجار فى كل من كانتون وسواتو وأصبحت هاتان المنطقتان بمثابة مستودع للطاقة البشرية الصينية .

وقد عمدت كل من بريطانيا وفرنسا فى عام ١٨٦٦ إلى الاتفاق مع حكومة الصين لإبرام اتفاقية خاصة بهجرة اليد العاملة الصينية تضمنت البنود التالية :

١ - الغاء تحريم الهجرة الصينية إلى الخارج .

٢ - الحكم باعدام كل من يثبت فى حقه خطف أشخاص .

٣ - التصريح بالهجرة فقط من الموانىء التى يمكن منها القيام باشراف مشترك . ولقد وافقت كل من الولايات المتحدة وروسيا وبروسيا بعد ذلك على بنود هذه الاتفاقية .

أما بالنسبة لهجرة الصينين للولايات المتحدة فإن معاهدة بيرلنجيم لعام ١٨٦٨ تضمنت فيما تضمنته تشجيع هجرة « الكولى » إلى الولايات المتحدة ولكننا نرى فى عام ١٨٧٥ إن حوادث الشغب تسببت فى مقتل الموظف القنصلى البريطانى « مارجرى » - الأمر الذى أدى إلى إشتداد الروح العدائية ضد الصينيين من ناحية كما أدى تزايد هجرة أعداد من الصينيين إلى الولايات المتحدة إلى شيوع البطالة بين العمال الامريكيين على الساحل الغربى للولايات المتحدة وكانت نتيجة هذين العاملين تزايد نقمة الأمريكيين على الصينيين فى عام ١٨٧٧ .

فى ظل هذه النقمة الامريكية على الصينيين وعلى هجرتهم إلى الولايات المتحدة تم ابرام عدد من الاتفاقيات فى هذا المجال كان أهمها معاهدة ١٨٨٠ بين الصين والولايات المتحدة تضمنت البنود الرئيسية التالية :

١ - منح الولايات المتحدة الحرية فى تحديد أو وقف هجرة العمال الصينيين اليها .

٢ - منع السفن الصينية والمواطنين الامريكيين من الاتجار بالأفيون .

٣ - توسيع نطاق المعاملة على أساس مبدأ « الدولة الأولى بالرعاية » بالنسبة للولايات المتحدة .

٤ - موافقة الصين على النظر فى الاقتراحات الخاصة بتوسيع التبادل التجارى بين البلدين .

ولقد وافق الكونجرس الامريكى فى عام ١٨٨٢ على مشروع قانون جديد بوقف هجرة الصينيين إلى الولايات المتحدة لمدة عشر سنوات ، ثم تلا ذلك عدة تعديلات فى عامى ١٨٨٤ ، ١٨٩٢ تعزز استبعاد الصينيين من الهجرة إلى الولايات المتحدة ثم أعقب ذلك عقد معاهدة فى عام ١٨٩٤ بين الولايات المتحدة والصين تحرم هجرة الصينيين إلى الولايات المتحدة لمدة عشر سنوات إضافية .

١١ - الدبلوماسية الروسية ازاء الصين

كنا قد أشرنا عند الحديث عن فترة الاضمحلال الصينى (١٨٦٠ - ١٨٩٣) إلى أنه منذ عام ١٨٦٦ اجتاحت الصين ثورة إسلامية عارمة سميت بثورة سينكيانج وذلك حينما

أسس رجال القبائل فى إقليم ايلى (Ili) بشمال مقاطعة سينكيانج دولة إسلامية مستقلة فى شمال غرب الصين ، ولما بلغت هذه الثورة درجة من العنف فى عام ١٨٧١ تحركت روسيا إلى مجاهل اقليم سينكيانج فى إقليم ايلى (نسبة إلى نهر ايلى) لقمع هذه الثورة ومنع الثوار من إعلان دولة اسلامية مستقلة فى ذلك الاقليم[1] . وعلى الرغم من أن الصينيين كانوا على يقين من إنه بمجرد إعادة النظام واستتباب الأمن فى هذا الاقليم ، فإن الروس سوف يرحلون عنه إلا أن الروس تشبثوا بالاقليم ولم يرحلوا عنه .

وعلى الفور قام « تشونج – هو » (Chung - hou) بالذهاب إلى سانت بطرسبرج للتفاوض على موضوع عقد معاهدة (ليداريا) أرادت روسيا النص فيها على تنازل الصين عن إقليم ايلى لروسيا ومنحها تعويضا كبيرا وامتيازات واسعة إلا أن حكومة بيكين رفضت المعاهدة وحكمت على مبعوثها تشونج – هو بالإعدام .

ولما كانت كلتا الدولتين غير راغبتين فى نشوب حرب بينهما فقد عقدتا معاهدة بطرسبرج فى عام ١٨٨٢ التى اسفرت عن البنود التالية :

أ – إعادة كل اقليم ايلى فيما عدا منطقة منه إلى الصين .

ب – قيام الصين بدفع نفقات الاحتلال الروسى للإقليم .

جـ – تمنح روسيا حقوقا تجارية جديدة ، كما تتخذ الترتيبات لإنشاء قنصليات فى كل من منغوليا والتركستان[2] .

(1) Warner, M. Op. cit. P 132

(٢) بين ، تشستر : المصدر السابق ص ٩٠ .

الفصل الرابع

الاقتحام الغربى وردود الفعل بالنسبة لليابان

إنتهينا من الفصل الأول إلى أن شوجنية التوكوجاوا وقد فرضت العزلة على اليابان خوفا من انتشار المؤثرات الخارجية وأهمها المسيحية ، وأشرنا إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت السباقة إلى محاولة كسر عزلة اليابان لإعتبارات اقتصادية وأخرى استراتيجية وسنجد أنفسنا فى هذا الفصل ندمج كلا من الاقتحام الغربى - أى الأمريكى فى هذه الحالة - مع رد الفعل اليابانى فى فصل واحد حيث كانت اليابان سواء فى عملية الاقتحام أو رد الفعل طيعة متفهمة بل ساعية إلى هذا الانفتاح لإختلاف النظرة عن الصين ، فحين كانت الصين تتوجس خيفة من هؤلاء البرابرة كانت اليابان تدرك إدراكاً واعياً أنها بحاجة إلى ما فى يد هؤلاء البرابرة من تقدم فنى لتقدمها من ناحية ولا مكان محاربتهم بنفس سلاحهم من ناحية أخرى .

ويرى البعض أن موقف الصين جعلها أكثر استعصاء وأكثر رفضا للتأقلم مع الغرب فقد ظلت الصين على مدى قرون عديدة أكبر دولة فى العالم تخضع لحكومة مركزية وفى سياق علاقتها الخارجية كانت مسيطرة فى شرق آسيا بدرجة كبيرة حتى كانت تنظر إلى جيرانها ليس كأنداد وإنما مجرد أتباع لها ، وهذا الميراث فى حد ذاته عمل على تعقيد عملية تأقلمها وإنفتاحها أو تجاوبها مع التوسع فى العالم الغربى[1] .

وقد ادمجنا فى هذا الفصل الاقتحام الأوروبى لليابان ممثلا فى بعثة بيرى مع رد الفعل اليابانى بالنسبة لها .

١ - بعثة بيرى (Perry) ١٨٥٣

فى يوم ٨ يوليو ١٨٥٣ وصل إلى خليج إدو أسطول من البوارج الأمريكية بقيادة الكومودور بيرى . ونزل الكومودور فى حراسة مهيبة وسلم خطابا من الرئيس الأمريكى فيلمور يتضمن المطالبة بامتيازات تجارية ، وإنشاء محطات لتزويد السفن الامريكية بالفحم ، وحماية المواطنين الأمريكيين الذين تصاب سفنهم بالغرق . ثم غادر بيرى ومعه بوارجه على أمل العودة فى الربيع التالى بقوة أكبر حجما ليتلقى رد المسؤولين اليابانيين على هذه المطالب الأمريكية .

(1) The New Camridge Modern History. Op. cit. P. 332

ولقد كان رد الحكومة اليابانية على استعراض القوة الامريكية أن قاموا بترجمة محتويات خطاب الرئيس الأمريكي وطرحه للبحث على رجال الدايميولكي يقوموا باسداء المشورة بشأنه . فكانت النتيجة : ٢٥ رد من الردود التى تلقتها الحكومة اليابانية يؤيد فتح أبواب اليابان للتجارة الاجنبية . فى حين كان ١٩ من هذه الردود لا يستسيغ فكرة التجارة الاجنبية . وكانت هذه الردود التسعة عشرة الأخيرة توصى مع ذلك بتجنب الدخول فى حرب مع الأجانب أما الردود التى كانت ترفض طلبات بيرى رفضا قاطعا فكان عددها ١٥ .

وعلى الرغم من أن هذه الردود التى تلقتها الحكومة من رجال الدايميو كانت فى جملتها لا تمثل سوى نسبة ٢٥٪ فقط من جملة الردود المتوقعة ، فإن الحكومة اليابانية اتخذتها بمثابة مؤشر بالقرار النهائى الذى ينبغى التوصل إليه وهو المقاومة بكل الوسائل الممكنة ولكن مع تجنب الدخول فى حرب مع الامريكيين . وعندما عاد بيرى للمرة الثانية فى فبراير ١٨٥٤ طلب موافاته بالرد الحاسم بأحد أمرين : إما عقد معاهدة بهذا الخصوص ، وإما الحرب بين الطرفين . ولم يجد اليابانيون أمامهم من خيار سوى الرضوخ للمطالب الأمريكية فوقعوا مع الأمريكيين معاهدة شهيرة فى التاريخ اليابانى هى معاهدة كانا جاوا ١٨٥٤ .

٢ - معاهدة كانا جاوا (Kanagawa) ١٨٥٤

تمثل هذه المعاهدة علامة بارزة على طريق انفتاح اليابان نحو الغرب وبخاصة الولايات لتحدة الامريكية . ففى ٣١ مارس ١٨٥٤ وقعت اليابان هذه المعاهدة التى تعتبر بحق أول معاهدة لها مع الدول الغربية[1] . وكانت مع ذلك معاهدة هشة البنيان اذ اقتصرت على معالجة بعض المشكلات الصغيرة الخاصة بأحوال غرق السفن وتزويد السفن الامريكية فى الميناثين اليابانيين المفتوحين للتجارة فى هاكودات وشيمودا ، وتعيين قنصل أمريكى يكون مقره فى شيمودا . ويقال أن الكومودور بيرى كان يحمل بعض الهدايا المناسبة وبعض الآلات والأسلحة والعطور لم تخرج من أغلفتها وظلت ملقاة فى أحد جوانب القصر . كذلك نصت المعاهدة على تمتع الولايات المتحدة بحق الدولة الأولى بالرعاية . ويلاحظ أن الشوجنية قامت بتوقيع معاهدات مماثلة مع كل من بريطانيا فى ١٤ أكتوبر ١٨٥٤ ومع روسيا فى ٧ فبراير ١٨٥٥ ثم أعقبتهم هولندا ثم فرنسا فى الحصول على مثل هذه المعاهدة .

على أن أهم ما يعنينا هنا هو أن شبان الساموراى قد تذوقوا الجرعة الأولى من عضارة الغربية واشتد تعطشهم إلى المعارف الغربية ، وكانوا يتسللون فى جنح الليل إلى

---

(1) Grousset, R. La face de l'Asie p. 861 .

السفن الامريكية الراسية قرب الشواطىء اليابانية ويلحون فى الرجاء على ربابنتها أن يأخذوهم معهم إلى أمريكا لكى يطلعوا على مزيد من المدنية التى استهوت البابهم بما كان يستتبعه ذلك من المجازفة بأرواحهم(1) .

على كل فقد نجح تونسد هاريس أول قنصل أمريكى فى شيمودا فى عقد ميثاق فى يونيو ١٨٥٦ يخول للرعايا الامريكيين حق الاقامة فى شيمودا وهاكودات وحق التجارة فى نجازاكى وحق التنقل بحرية فى ربوع اليابان .

٣ - سقوط الشوجنية

رأينا أن اليابان قد قامت بعقد معاهدات مع الولايات المتحدة ومع الدول الغربية الأخرى . وكان عقد هذه المعاهدات نذيرا بقيام حركة مناهضة للشوجنية تحمل شعور الكراهية نحو الآجانب ووقعت عدة اعتداءات على بعض الاجانب من بعض رجال الساموراى من الذين كانوا يكرهون الاجانب حتى أنه تم إحراق المفوضية البريطانية مرتين فى عام ١٨٦٢ . وفى العام التالى تم إحراق المفوضية الامريكية . ثم أصدر الامبراطور أمرا امبراطوريا فى ٢٥ يونيو ١٨٦٣ يقضى بطرد الاجانب من البلاد .

وكان رد الفعل الغربى عنيفا ازاء هذا الشعور المعادى للأجانب ، ففى أغسطس ١٨٦٣ دخلت وحدات حربية بريطانية إلى خليج كاجوشيما ، وقصفت المدينة بالقنابل ثم قام أسطول متحالف فى شهر سبتمبر ١٨٦٣ بتدمير قلاع شوشو وابادتها عن آخرها ونتيجة لذلك أخذ مركز الشوجنية يضعف رويدا رويدا وأخذت الثقة فيهم تهتز إلى أن مات الشوجن فى أغسطس ١٨٦٦ ولم يكن قد أنجب ولدا يرثه ، لذلك خلفه « شوجن » آخر من أسرة ميتو - أحد فروع التوكوجاوا المناصرين للإمبراطور .

بيد أن هذا الشوجن الجديد الفى نفسه غارقا فى خضم من المشكلات المعقدة ، بعضها ذا طابع مالى والبعض الآخر فى مجال العلاقات الخارجية بالاضافة إلى حدوث اضطرابات داخلية ، وصارت سلطة هذا الشوجن تضعف شيئا فشيئا فى مواجهة البلاط من ناحية ، وأعضاء الدايميو من ناحية أخرى فقدم استقالته فى ٩ نوفمبر ١٨٦٧ من منصب الشوجنية إلى الامبراطور الشاب ميجى* الذى كان قد ارتقى العرش فى ٣ فبراير ١٨٦٧ ، وكان هذا

---

(١) لقد قيل إنه عندما تبين أن المعاهدة أصبحت على وشك التوقيع ، أخذت العلاقات بين أعضاء بعثة بيرى والمفاوضين اليابانيين تزداد توثقا . وأقبل اليابانيون على زيارة السفن الامريكية وأخذوا يتفحصون وبإهتمام كل قطعة وآلة فيها ، ودعوا إلى مآدب العشاء . وحدث فى إحدى المناسبات أن أقيم للضيوف اليابانيين عرض أمريكى كنوع من المجاملة قابلوه بعرض نوع من المصارعة اليابانية المسماة « السومو » وتم تبادل الهدايا بين الطرفين . وقيل أن الهدايا التى أعجبت اليابانيين أكثر من غيرها وحيرت عقولهم كانت النموذج المصغر لخط حديدى وموظفيه والقطارات الصغيرة وهى تجرى على القضبان بسرعة ٢٠ ميلا فى الساعة .

يمثل بحق بدء عصر النهضة – نهضة عهد الميجى المشهورة فى تاريخ اليابان الحديث[1] .

وفى بداية عام ١٨٦٨ يكون حكام التوكوجاوا قد فقدوا اهميتهم نهائيا وآل سلطانهم رسميا إلى الامبراطور ، وذلك بالغاء نظام الشوجنية العسكرى من أساسه فى ٣ يناير ١٨٦٩ وتشكلت حكومة مؤقتة لحكم البلاد ، وهنا نلاحظ أن القوى الأوروبية قد أغمضت عينيها بالنسبة لمسيرة الاحداث إذ أن ذلك كان يسير على هواها ، ذلك أن الاطاحة بشوجنية التوكو – جاوا يمثل فرصة لإنفتاح اليابان نحو الغرب – هذا فيما عدا فرنسا التى كانت تفكر لبعض الوقت فى مساعدة نظام الشوجنية والابقاء عليه . وبذلك يكون ما تم هو بمثابة ثورة سلمية على الشوجنية . بقى اذن أن يصدر بذلك إعلان إمبراطورى ليضفى عليه الصفة الشرعية وقد صدر بالفعل ذلك الاعلان أو العهد الامبراطورى .

٤ - العهد الامبراطورى لعام ١٨٦٨

لقد كان عمر الامبراطور ميجى الذى أعلن القسم أو العهد الامبراطورى عام ١٨٦٨ أربعة عشرة عاما ويتضمن هذا العهد خمسة مواد مختصرة هى :

١ – « أن يجرى دعوة « جمعية عامة » كبيرة العدد للإجتماع وأن تتخذ كافة الأمور عن طريق المناقشة الجماهيرية العامة » .

ولربما بدا من ظاهر نص هذه المادة الأولى إنها خطوة نحو الديمقراطية ، ولكن هذا لم يكن المقصود فى حقيقة الأمر إنما كان بمثابة محاولة ذكية لحشد الدعم لنظام الحكم الجديد – ذلك أن مخططى السياسة فى ذلك كانوا يأتون من مقاطعات محددة بعينها وهذا النص اذن يوحى لبقية زعماء المقاطعات أنهم سوف يشاركون فى السياسة القومية اليابانية ، والدليل على ذلك أنه لما اشتد عود النظام تم طرح هذه الافكار ظهريا[2] .

٢ – « أن يكون لهؤلاء الذين هم فى مستوى أعلى ، وأولئك الذين هم فى مستوى أدنى (يقصد الحكام والمحكومين) نفس الحق فى ربداء الرأى وأن تدار الحكومة فى قوة وحسم » .

---

* ولد الميكادو (الامبراطور) موتسو – هيتو (Moutso - Hito) الذى بدأ عهد الميجى فى ٣ نوفمبر ١٨٥٢ بعد وفاة والده كومى – تينو ورغم أنه ولد تحت اسم موتسو – هيتو فلم يجر استخدام هذا الاسم مطلقا فى اليابان . وكان يطلق عليه اسم الامبراطور مثلما كان يطلق اسم القيصر بالنسبة لأباطرة روما . وكان هذا الامبراطور الشاب متقتحا ذكيا نشيطا . ومن هنا أتى نعته . ونعت عهده بالميجى (أى الحكم المستنير) وكان يتمتع منذ نعومة أظفاره بقدرات ادارية وتنظيمية فائقة .

(١) تيدمان ، أرثر : اليابان الحديثة : ترجمة وديع سعيد ومراجعة رفاعه الانصارى ص ص ١٦ ، ١٧ .

(2) Morton, W. S. Japan, Its History and culture P. 150 - 151 .

٣ - « إن عامة الشعب لا يقلون عن المسئولين المدنيين أو العسكريين ، ومن ثم يسمح لكل منهم بأن يحقق أمانيه حتى لا يكون هناك شعور بعدم القناعة » . وهذه المادة أكثر تحديدا من سابقتها وتحمل فى طياتها وعداً واضحا بأن يجرى رفع الحواجز الاقطاعية وأن يجرى فتح كافة المجالات لمن يمتلكون الموهبة .

٤ - « يجب التخلى عن كافة التقاليد والعادات الغريبة التى كانت سائدة وأن تتم وفقا لمبادئ العدالة والمساواة حسب الفطرة » . ويفهم من هذه المادة أن هذه « العادات الغريبة » المترسبة من الماضى « حكم شوجنية التوكوجاوا » وما صدر عنها من أعمال والمقصود « بالفطرة » ربما الاشارة إلى ديانتى الكنفوشية والتاوية .

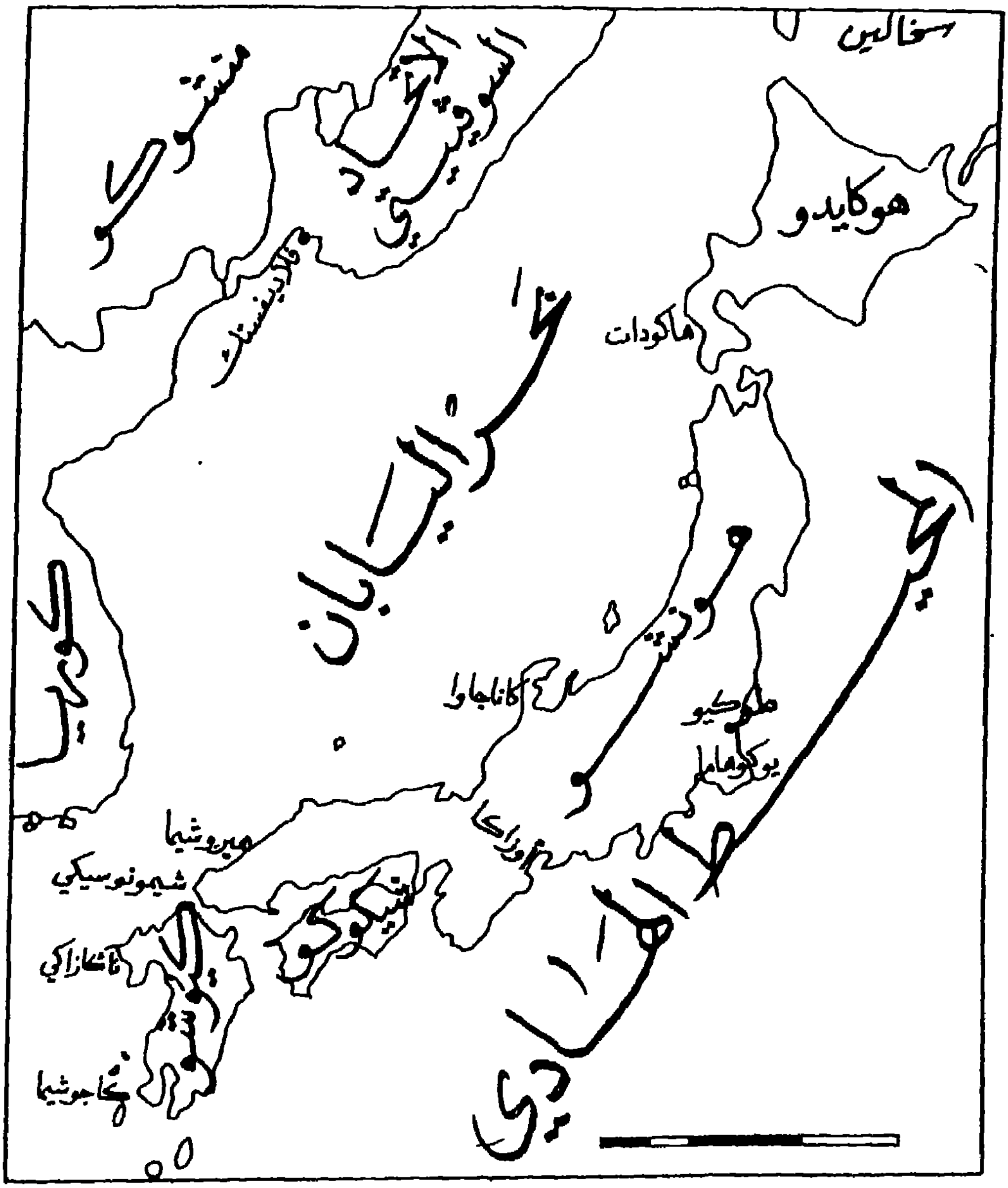
٥ - « إنه سوف يجرى العمل على جمع المعارف من شتى أنحاء العالم أجمع ، وعلى هذا النحو سوف تترسخ الامبراطورية على أسس متينة[1] » . وهذه المادة الخامسة الاخيرة تمثل صدعا مقصودا بين الحاضر والماضى . فقد صار « التحديث » هدفا رسميا محسوبا ورئيسيا ، كل ذلك فى ظل « الحكم الامبراطورى » . إرث الماضى التليد ولكن بالنسبة للمستقبل يجب تعزيز هذا الارث بالمعرفة التى تستجلب من كافة أرجاء العالم « أى الاصول الشرقية مع العلم الغربى » .

ولذلك قيل بحق أن القومية اليابانية القديمة بتحالفها مع التطبيق العلمى الحديث هو سر نهضة اليابان السريعة والمذهلة[2] . أى أن اليابانيين فى ظل نهضة الميجى لم يقصدوا التضحية بروح اليابان القديمة (Yamato - Domoshi) أى روح الأمة أو أن ينالوا من الهيكل الأساسى لمجتمعهم وتقاليدهم فى ظل الامبراطور الذى تم إطلاق هذه الشعارات والمبادىء من خلاله بل وبارادته .

ولقد انبرت والحالة هذه ، أعداد من رجال الحكم والطلاب إلى الخارج فى بعثات جادة لكى تجلب لليابان المعلومات والبيانات التى يمكن أن ترتكز عليها الاصلاحات المنشودة منذ عام ١٨٦٨ ولعل أكبر وأهم هذه البعثات التى ذهبت إلى الخارج هى بعثة ايواكورا (Iwakura) التى غادرت البعثة اليابان عام ١٨٧١ وقضت سنتين كاملتين فى الولايات المتحدة وأوروبا . ولقد تألفت هذه من ثمانية وأربعين عضوا ومعهم أربع وخمسون طالبا وضمت بالاضافة إلى رئيسها أيواكورا شخصيات حكومية هامة مثل أوكوبو (Okubo) وكيدو (Kido) وايتو (Ito) الذى صار من أبرز قادة اليابان فيما بعد . ولقد نجحت هذه البعثة نجاحا باهرا فى جمع المعلومات المعقدة وإن كانت قد فشلت تماما فى تحقيق الشق الثانى من مهمتها وهو حث الغرب على الغاء المعاهدات غير المتكافئة مع اليابان التى تسبب فى ابرامها نظام حكم شوجنية التوكوجاوا .

---

(1) Wang, N. Op. cit P, 71 - 27 .
(1) Morton, W. S. Op. cit. P. 151 .



(الجزر اليابانية)

الفصل الخامس

نهضة اليابان الحديثة

أولا : بداية حكم الميجى وتكوين شكل الدولة

فى أول يناير ١٨٦٨ قام الامبراطور الشاب ميجى بإبلاغ آخر « الشوجن » توكوجاوا الخامس عشر بأنه قد تم إقامة حكم امبراطورى مباشر وأمره فى الوقت نفسه بتسليم ممتلكاته ، وأحدث ذلك ثورة فى أوساط شوجنية التوكوجاوا ما لبثت أن تم تهدئتها وساد الهدوء فى أواخر عام ١٨٦٨ إذ تمكنت حكومة جديدة من تحويل الاهتمامات إلى إنشاء حكومة مركزية قوية فى اليابان وبذلك يكون قد تم وضع حد للحكم العسكرى لأسرة توكوجاوا وإنتهاء السلطات التى كانت تتمتع بها منذ أواخر القرن الثالث عشر .

١ - تغيير البنيان الإدارى للدولة

شهدت السنوات القلائل الأولى فى عهد الحكومة الجديدة . وبعد إنتهاء حكم الشوجنية – إلى غير رجعة – عدة تغيرات أساسية وهامة فى البنيان الادارى لليابان كانت كبيرة الأثر فى تهيئة الدولة لتلقى المزيد من قوة الدفع على أسس إدارية واضحة وسليمة أى أنها هيأت الأمة لكى تكون على عتبة نهضة بدون عوائق أو عراقيل . فجرى تقسيم المناصب الكبرى بين رجال البلاط ورجال الدايميو بينما تم شغل المناصب الصغرى ذات المسئولية التنفيذية والمسئولة عن التصرف الفعلى إلى طائفة طموحه متوثبة مستنيرة من شبان الساموراى من ذوى الكفاءة والولاء تجاه الحضارة الغربية . ومن الغريب أن هؤلاء الشبان البارزين آتوا من مقاطعات « توزاما » الأربع التى قامت بدور هام فى اسقاط شوجنية التوكوجاوا وهى مقاطعات : « ساتسوما (Satsuma) وشوشو (Shoushu) ودوزا (Dosa) وهيزن (Hisen) وكانوا بمثابة الزعماء الحقيقيين الذين وصلوا حثيثا حثيثا إلى المناصب العليا عام ١٨٧٠ .

وكنا قد أشرنا إلى إنه فى ٦ ابريل ١٨٦٨ قد انعقد اجتماع امبراطورى هام ضم نبلاء البلاط ورجال الدايميو والساموراى أدى فيه الامبراطور ميجى يمين الولاء لميثاق الأمة ، وأعلن العهد الامبراطورى ذى النقاط الخمسة وكان لهذا الميثاق مظهران : أما المظهر الأول فهو وضوح النية بأن الحكومة الجديدة سوف تتجه إلى تنفيذ برامج لصبغ اليابان بصبغة غربية بحته من ناحية أسلوب النهضة ، وأنها من ناحية أخرى سوف لا تتسامح بالتالى مع اية حركة مناهضة للأجانب . أما المظهر الثانى فهو أن هذا العهد تضمن الوعد بإقامة جمعية

وطنية لمناقشة أمور الأمة أى بالاسلوب الديمقراطى . وسرعان ما تألفت جمعية تضم ممثلى المقاطعات ولكنها ما لبثت أن ألغيت فى عام ١٨٧٣ لعدم كفايتها فى تحقيق طموحات الشعب اليابانى من ناحية ، ولأن هذا الأمر لم يكن يشغل فى حقيقة الأمر بال القائمين على الحكم من ناحية أخرى بمثل ما كان يشغلهم التقدم العلمى والتكنولوچى .

٢ - *الغاء إقطاعيات الدايميو*

ابتدأت الثورة السلمية الوليدة وانطلقت الحكومة المركزية المتوثبة الجديدة عام ١٨٦٨ ولم يكن لديها من إمكانات سوى تلك التى آلت إليها من التوكوجاوا ، ولذلك اتجهت ببصرها إلى نشر سلطانها حتى يشمل أملاك الدايميو لتوفير القدرات المادية اللازمة لنظام الحكم الجديد وهكذا قامت الحكومة بحمل كل من مقاطعات ساتسوما ، وشوشو ، وبوزا ، وهيزن على تسليم سجلات بالأراضى التى تحت حوزتهم . وفى شهر يوليو ١٨٦٨ صدرت الأوامر إلى جميع رجال الدايميو الذين لم يسلموا هذه السجلات بتسليمها فى الحال .

وحتى تعمل الحكومة على تيسير ذلك تم إبقاء رجال الدايميو فى أماكنهم ، ولكن بصفة حكام وليس بصفة ملاك إقطاعيين على أن يجرى منحهم مرتبات تعادل نصف ما كانت تغله ممتلكاتهم السابقة . كما تم منح رجال الساموراى من اتباعهم معاشات معقولة . ثم حصلت الحكومة المركزية على مساهمة عسكرية من مقاطعة ساتسوما وغيرما من المقاطعات . وعندما شعرت الحكومة الجديدة بقوتها مضت فى نفس العام فى إلغاء كافة الاقطاعيات الغاء تاما لكى تحل محلها أقسام إدارية جعلت على رأس كل منها موظف حكومى تعينه الحكومة المركزية . وأكثر من هذا فقد صدرت الأوامر إلى رجال الدايميو وعائلاتهم بالإقامة بعض الوقت فى مدينة إدو التى أصبحت عاصمة مركزية للبلاد تم إعادة تسميتها بإسم طوكيو .

٣ - الاصلاحات الأولى لحكومة الميجى

أ - *من الوجهة الاجتماعية*

وجهت الحكومة جهودها شطر النواحى الاجتماعية فقضت على القيود الاجتماعية التى كانت سائدة والتى خلفتها طبقة شوجنية التوكوجاوا ، وأصبحت حرية التنقل مكفولة للجميع وأصبح كل فرد حرا فى إختيار المهنة التى يريدها وأصبح الزراع أحرارا فى زراعة المحاصيل كيفما يحلو لهم وانقسم اليابانيون إلى ثلاث فئات : فئة الأشراف « الكازولى » ويتألفون من حكام الدايميو ونبلاء البلاط والساموراى من الطبقة الأعلى « شيزوكو » ثم طبقة تشمل الساموراى من الطبقة الأدنى منهم مع غيرهم من عامة الشعب

وأطلق عليهم اسم « الهيمين » . ولكن يلاحظ أنه رغم هذه الفئات المتمايزة اجتماعيا فإن المساواة أمام القانون كانت مكفولة للجميع .

ب - من الوجهة العسكرية

ثم تلى ذلك على الفور الاصلاحات العسكرية ولقد وجد رجال الحكومة الجدد أنه بعد الغاء الطبقة العسكرية القديمة المتمثلة فى رجال الساموراى المحاربين ، أنهم بحاجة ماسة إلى إنشاء قواتهم المسلحة العصرية فادخلوا فى عام ١٨٧٣ نظاما للتجنيد الاجبارى مقتبسا من النظام العسكرى الألمانى وصار تكليف جميع الذكور من فوق العشرين سنة بتأدية الخدمة العسكرية لمدة ثلاثة سنوات . وتمت الاستعانة فى تنظيم الجيش باستقدام بعثة عسكرية فرنسية . ثم لم تلبث أن تم استبدالها بمستشارين عسكريين ألمان ، وأنشئت بحرية صغيرة تحت رعاية عدد من الخبراء الانجليز .

جـ - من الناحية العلمية

بعد ذلك لعلنا نذكر المادة الخامسة من الإعلان الامبراطورى لعام ١٨٦٨ الذى كان يتضمن « السعى لجمع المعرفة من بين أمم العالم وبذلك تترسخ الامبراطورية » لذلك رأت الحكومة أن أساس الدولة الحديثة لابد وأن تقوم دعائمه على أسس علمية وعلى أيدى شعب متعلم متنور ، ولذلك أنشأت فى عام ١٨٧١ وزارة للمعارف تم تكليفها بوضع نظام للتعليم يحقق هذا الهدف . وبدأت عملها من الصفر لأنه لم يكن هناك تعليم أساسى فى عهد شوجنية التوكوجاوا . فتم إنشاء مرحلة التعليم الابتدائى على غرار النظام الفرنسى وكان كل طفل ملزما بقضاء ثلاث سنوات على الأقل من الدراسة . ولم تلبث هذه الوزارة إن أنشأت مدارس فنية عليا للطب والملاحة والزراعة والتجارة وصيد الأسماك .

ولم يكن الفضل يرجع للأجانب وحدهم فى هذا المجال ، فقد تأسست جامعات خاصة وأنشئت جامعة فى « كيوفى » و « دوشيشا » عام ١٨٧٥ ، وفى وازيد عام ١٨٨٢ [1] وكانت نظم التعليم فى هذه الجامعات خاضعة لمؤثرات أمريكية بدرجة كبيرة فى مستهل تطبيقها ، ولكن هذه المؤثرات لم تلبث أن تضاءلت منذ عام ١٨٨٠ وما بعده لتحل محلها المؤثرات الالمانية . وأخيرا فنشير فى هذا المقام إلى بعثة ايواكورا الشهيرة وما كان لها من أثر فى تطوير نظم التعليم لدى عودتها من الولايات المتحدة وأوروبا .

---

(١) تيدمان ، آرثر ، المصدر السابق ص ١٥٢ .

الوعد بالدستور

جدير بالذكر أنه فى الفترة من ١٨٧٣ – ١٨٧٥ ظهرت بوادر إنشاء أحزاب سياسية فى اليابان ، كما شهدت تلك السنوات حملة كبيرة ترمى إلى الدعوة لإنشاء هيئة نيابية وراجت فى تلك الاثناء أفكار وكتابات روسو وسبنسر وغيرهما من كتاب ومفكرى الغرب ، وتم ترجمة هذه الكتابات الى اللغة اليابانية ، وتم استخدامها فى حملة للدعاية ضد الحكومة . وفى عام ١٨٧٨ انشئت جمعيات للتمثيل النيابى فى كل مقاطعة ، ومنحت هذه الجمعيات سلطات مالية محدودة . ولكن هذه الجمعيات لم يكتب لها أن تقوم بدورها المنشود إذ أن البلاد سادتها موجة من الشغب السياسى الذى حال دون ازدهار هذه الجمعيات .

وعلى الرغم من أن الحكومة تمكنت بسهولة من قمع هذا الشغب ، فإنها ظلت مع ذلك بحاجة إلى قيام بنيان سياسى واضح فى اليابان . لذلك تقدم عدد من المفكرين السياسيين اليابانيين عام ١٨٨١ بمقترحات لإنشاء نظام نيابى يماثل النظام المعمول به فى إنجلترا ، ومن ثم إقامة برلمان يجرى دعوته للإجتماع فى عام ١٨٨٣ . وارتفعت صيحات فى طول البلاد وعرضها تنادى بأنه لا مناص من قيام برلمان لمنع الفساد السياسى . وفى ١١ أكتوبر ١٨٨١ تولى الامبراطور رئاسة اجتماع هام حضره جميع أعضاء الوزارة وأصدر وعده بإقامة برلمان فى غضون عشرة أعوام . وفى اليوم التالى صدر أمر امبراطورى يتضمن وعدا للأمة بإنشاء برلمان قبل حلول ١٨٩٠ .

وحقيقة الأمر أن اليابان كانت قد عرفت نظام تأليف الأحزاب السياسية – فقد تم تأليف حزب « جيوتو » أى حزب الاحرار برئاسة ايتاجاكى والحزب التقدمى « كايشنتو » برئاسة أوكوما . واوعزت الحكومة الى أتباعها بتأليف حزب الحكم الامبراطورى والذى أطلق عليه اسم « تيسيتو » ولكن هذه الأحزاب كانت باكورة النظام الحزبى ولم تكن أحزابا بالمعنى الصحيح وقد نشأت فى ظل اضطرابات داخلية لذلك لم تتمكن من أداء الغرض الذى أنشئت من أجله.

ثانيا : نهضة اليابان الحديثة

يمكن القول بكثير من الدقة أن عصر الميجى (Meiji) يقابل الأربع والأربعين عاما التى تمتد بين ما يطلق عليه بالبعث اليابانى (Renaissance) ١٨٦٨ وبين وفاة الامبراطور ميجى – تينو (Meiji Tenno) فى عام ١٩١٢ ، وعلى أية حال فإن اختفاء هذا الإمبراطور لم يكن فى حقيقة الأمر نهاية عصر النهضة فلقد واصل من خلفوه فى الحكم من أمثال « تايسو-تينو » فى الفترة من ١٩١٢ – ١٩٢٥ نفس النهج . وفى أقل من نصف قرن نرى أمامنا قوة عظمى ناشئة ذلك أن التخلف العلمى والفنى الذى ران على اليابان بالنسبة للغرب أمكن استدراكه واللحاق بركبه بسرعة هائلة لم يشهد التاريخ لها مثيلا وهذه هى معجزة انطلاق اليابان .

بيد أنه لا يمكننا أن نغفل فى هذا الصدد أن هذا البناء الحديث الشامخ كان عرضة دائما فى مستهله للتجربة والخطأ فى كثير من الظروف نظرا لأن التحول كان متسرعا وجذريا فى آن واحد منذ البداية استجابة لظروف متغيرة ووقع سريع هائل ولنا أن نتصور مثلا أن اليابان وهى تتحول مباشرة من النظام الاقطاعى اليابانى إلى النظام الرأسمالى الغربى فى لمح البصر دون أن تمر قبل ذلك التحول بما سمى بالنسبة لأوروبا بالثورة الصناعية ومراحل التقدم التكنولوچى والانتاج الكبير ، ذلك أن الفسحة الزمنية المتاحة أمام اليابان قد كتب عليها من ناحية أن تتحول فجائيا إلى دولة عصرية كما فرضت الأحداث الخارجية ممارسة اليابان لرد فعل سريع وحاسم .

وقد رفعت ثورة الميچى العلمية طبقة جديدة من الرجال ومكنتها من الثروة والنفوذ . وهذه الطبقة الجديدة كانت متمثلة فى الصناع والتجار والمولين وهذه الطبقات هى التى كانت فى اليابان القديمة توضع فى أسفل درجات السلم الاجتماعى لكن هذه الطبقة الجديدة « البروجوازية » أخذت تستغل ما توفر لها فى عهد الميچى من مال ونفوذ بشكل هادئ . وعملت على تحطيم نفوذ النظام الاقطاعى سلميا ثم اعقبت ذلك بالحد من سلطة العرش بحيث جعلت منها سلطة إسمية . ففى عام ١٨٧١ حملت الحكومة اشراف الاقطاع على النزول عن امتيازاتهم التقليدية وعوضتهم بسندات حكومية .

والجديد فى الموضوع أن الطبقة الارستقراطية القديمة ارتبطت بروابط المصلحة المادية مع المجتمع الجديد ولاسيما أن طبقة التجار الناشئة سعت إلى تزويج بناتها لرجال الساموراى طلبا للجاه كما أقبلت هذه الطبقة بعد تضاؤل امتيازاتها على هذا التصاهر ، لذلك فإن هذه الطبقة الارستقراطية بذلت خدماتها للحكومة عن إقتناع ورضا ومكنتها سلميا من تحويل البلاد من عصرها الوسيط إلى عصرها الحديث دون سفك دماء لتحقيق ذلك . وكان « ايتو » قد عاد من زيارته الثانية لأوروبا فأجرى فى اليابان تغييرات تتماشى مع ما شاهده فى ألمانيا إذ أنشأ بها طبقة عالية جديدة مؤلفة من خمس درجات هى بالتتابع : أمير ، وماركيز ، وكونت ، وفاى كونت ، وبارون . لكن هؤلاء جميعا لم يشكلوا طبقة إقطاعية تعادى النظام الصناعى الجديد بل كانوا عونا له وجزءا لا يتجزأ منه[1] . وخلاصة القول أن رسم السياسة ومواجهة الموقف والتصرف بإزاء تحقيق النهضة جاء من جانب السلطة العليا التى تبلور فيها سادة الاقطاع القدامى عن طيب خاطر – حيث استمروا فى أماكنهم – مع

---

(١) ديورانت ، ول : قصة الحضارة – الجزء الخامس من المجلد الأول – الطبعة الثالثة ص ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

الطبقة التجارية والصناعية والمالية الجديدة فى « أوليجاركية » ضيقة جدا فلم تضيع اليابان فى عصر نهضتها أى جهد أو وقت فى ترتيب أوضاعها مما لعب دورا هاما وبناء على أعلى مستوى . ولقد أثبتت هذه الأوليجاركية نجاحها وكفاءتها بشكل واضح فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حين نشبت بعد ذلك حربان هامتان كما سنرى يمثلان جهود أسرة الميجى ونهضتها أصدق تمثيل : هما الحرب الصينية – اليابانية ١٨٩٤ ثم الحرب اليابانية – الروسية فى عامى ١٩٠٤ – ١٩٠٥ بوجه أخص .

وحين إنتصرت اليابان على روسيا كما سنرى وهى قوة كبرى تنتمى للعنصر الأوروبى الأبيض كما كانت تشكل امبراطورية عريقة كبرى ، فإن اليابان بانتصارها هذا تكون قد دخلت لأول مرة فى معترك مجموعة الدول الكبرى وتكون قد كسرت النظم السائدة اذ ذاك لكى تصبح بلدا أسيويا غازيا مستعمرا على قدم المساواة مع الدول الأوروبية . ونلاحظ أن بريطانيا بدأت منذ عام ١٩٠٢ تنظر إلى اليابان كحليف يستحق أن تخطب وده وتعول على مساندته .

ثالثا : دعائم إقامة دولة اليابان الحديثة

سبق أن أشرنا إلى عصر الشوجنية « التوكوجاوا » الذى فرض العزلة على اليابان وإلى نهاية حكم آخر الشوجنية ثم الاعلان أو القسم الامبراطورى لعام ١٨٦٨ الذى مثل بداية الثورة السلمية انتصر فيها إلى حد كبير دعاة التسامح مع الأجانب الذين هم فى ذات الوقت دعاة التجديد ونبذ سياسة الانغلاق الثقافى والاقتصادى ونجد أنفسنا الآن نقترب من موضوع يستهوى ألباب كثير من الكتاب ، ذلك هو البحث عن الكيفية التى جعلت من اليابان فى ظرف أقل من نصف قرن قوة هائلة ظهرت على المسرح الاسيوى والعالمى بشكل لم يشهد له التاريخ العالمى مثيلا .

وبادىء ذى بدء يمكن القول بأن هذه النهضة التى تعارفنا على التأريخ لها جوازا بعام ١٨٦٨ قد تناولت ثلاثة عناصر رئيسية هى : الرجال ، والأهداف ، والوسائل ، ولئن كان قد سبق الاشارة بإيجاز إلى النواحى أو المجالات التى بدأت بها ثورة الميجى وهى تمهد الطريق مثل إعادة بنيان الدولة والإصلاح الاجتماعى بإلغاء القيود الخاصة بالتنقل والاصلاح العسكرى الذى كان يهدف إلى تكوين جيش حديث تجلى أول أثر له فى حرب اليابان مع الصين عام ١٨٩٤ ، وكذلك الاصلاح العلمى الذى أسفر عن إنشاء وزارة التعليم .

ويحلو لبعض الكتاب أن يتناولوا موضوع نهضة اليابان بصورة أكثر تحديدا بمعنى أن ثورة الميجى أخذت على عاتقها تصورا متكاملا يتضمن تهيئة الرجال وتحديد الاهداف بدقة

ثم طرح الوسائل الناجحة لتحقيق هذه الاهداف . وفى هذا السياق لا ينبغى أن يغيب عن الذهن حقيقة هامة بالنسبة لنوعية الرجال وهى أن ثورة الميجى هى فى حقيقة أمرها تمثل سيطرة « أوليجاركية » تجارية وحربية معا . ونذكر فى هذا المجال محاولة طبقة التجار التصاهر مع رجال الساموراى حتى أوشك الفارق بين الطبقتين أن يتلاشى اجتماعيا وماليا فى غالب الأحوال . هذا التضامن كتب له الاستمرار والبقاء وأن يلعب دورا مؤثرا فى نهضة اليابان ، حتى كان التحرك من ثبات ، ومعلوم أن التحرك من ثبات أجدى وأكثر فاعلية من التحرك من حركة .

ومن المفيد أن نتعرف على هذه « الأوليجاركية » التى تقلدت أمر نهضة البلاد والتى سيطرت على مصير اليابان فرفعته فى فترة وجيزة إلى مصاف القوى الكبرى . مما سبق نجد أن النواة الأولى تكونت من رجال الساموراى الذين أتوا من المقاطعات الأربعة والذين اشتهروا بإسم « تسا – تشو – دو – هى » (Sat - Cho - Do - Hi) أى المقاطعات (Satsuma, Choushu, Dosa, Hizen) هؤلاء الرجال من الساموراى تضامنت معهم طبقة التجار الذين تراكمت فى أيديهم رؤوس الأموال متمثلة أيضا فى عدة مؤسسات شهيرة وهى مؤسسات متسوى (Mitsui) وكونوييكى (Konoike) وايوازاكى (Iwasaki) أونو (Ono) وشيمادا (Chimada) . وهذه المؤسسات المالية زودت مجموعة « المحاربين » أو بالاحرى هذا الرباعى النابه المنطلق من المقاطعات الأربعة المشار إليها بدعم مالى شد من أزرهم وساعدهم على تحقيق طموحاتهم ، ثم مالبثت أن دخلت بعض العناصر الموسرة من طبقات الزراع وأصحاب رؤوس الأموال فى القرى فى هذه الزمرة أى دخلت مع المجموعة الحاكمة المتوثبة أو سارت فى ركابها دعما وتأييدا .

هذا بالنسبة لعنصر الرجال الذين قادوا النهضة ، أما بالنسبة للهدف الذى توخته البراعم الشابة فسوف نرى أن أعمال وتطلعات أسرة الميجى كان يحكمها ويوجهها فى حقيقة الأمر أهداف سياسية خارجية من ناحية ، وتعميق الشعور القومى اليابانى من جهة أخرى ، وكانت العقيدة الراسخة لدى المجموعة الحاكمة أنه لا سبيل إلى تحقيق هذه الأهداف دون « تحديث » اليابان أى بجعلها دولة حديثة متحررة منطلقة من كل قيد ، متحضرة تواكب أحدث التطورات التكنولوجية فى الغرب ومن ثم كان الشعار الذى يتردد حينذاك هو « فوكوكو – كيوهى » (Fukoko - Kioheo) أى أن الدولة الغنية هى التى تستطيع أن تبنى الجيش القوى . وواضح أن هذا الهدف الذى عبر عنه هذا الشعار توسعى فى أساسه ولسوف نرى عما قليل أن كوريا وفرموزا سوف تكونان الخطوات الأولى للتوسع اليابانى .

والآن تجيء نوعية الوسائل التى اتخذتها المجموعة الحاكمة . ومن المنطقى أن تتكيف هذه الوسائل لتتناسب مع الأهداف المتوخاة وسوف نجدها وسائل تتسم بالعودة إلى منطق القوة والحسم والقسر ، فكم من ثورة داخلية قمعها رجال الساموراى فى مهدها بطريقة عنيفة دموية .. ولم يكن يسمح فى هذه الظروف للمناقشة الحرة . وهذا يفسر لنا كيف أن البند الأول من العهد الإمبراطورى لعام ١٨٦٨ وهو إتخاذ القرارات عن طريق النقاش العام (أى الانتخابات فى ظل حكم دستورى) .. لم يوضع موضع التنفيذ لفترة طويلة فى حين وضع البند الآخير المتعلق (بجمع المعلومات والمعارف من شتى أنحاء العالم) موضع التطبيق من أول لحظة .

وفى الوقت الذى نرى الحركة عارمة لمحاكاة الحضارة الغربية بأجلى معانيها فإن ذلك لم يشمل المسائل السياسية من قريب أو بعيد ولم يكن يسمح لأحد بأن يمارس الحريات سوى حرية التعبير ؛ أما باقى الحريات الأخرى التقليدية بالنسبة للعالم الغربى ، فلم يكن يتسنى الاعتراف بها ، بل إن حق الانتخاب العام (Sufrage Universel) لم يصبح حقيقة واقعة سوى فى عام ١٩٢٥ (١).

رابعاً : الدين والدولة

حقيقة الأمر أن الديانة حسب مذهب « الشنتو » قد تم إعلانها ديانة رسمية لليابان عام ١٨٦٨ ، وأصبح الامبراطور شخصية مقدسة ، كما صارت اليابان « أرض الالهة » فى نظر اليابانيين كناية عن تقديس ترابها ، ولقد كان مذهب الشنتو فى أصله عبارة عن مزيج من عبادة الطبيعة والسلف ، ثم تطور ليقوم على نظريات توضح كيف أن « ايزاناجى » أبو السماء ، و« ايزانامى » أم الأرض قد انجبا جزر اليابان المقدسة كما أنهما أنجبا كذلك عدداً لا حصر له من الالهة ، وتضمن مذهب الشنتو كذلك أن « اماتيراسو » أو « ميكامى » إحدى بناتها – إلهة الشمس – ارسلت حفيدها فيما بعد ليؤسس أسرة تتولى حكم اليابان إلى الأبد .

وعندما دخلت الديانة البوذية أرض اليابان فى القرن السادس الميلادى أخذت الشنتو فى الإنحسار حتى أصبحت معابدها تحت إدارة البوذيين وإشرافهم ، واستطاع كهنة البوذية أن يربطوا هيئات الشنتو ببعض المقدسات تنتمى إلى طقوسهم ولكن ذلك لم يكن يعنى القضاء الكامل على مذهب الشنتو ، وإنما استمرت أغلب المعابد الكبرى تتلقى الدعم

---

(1) Wang N. P. Op cit. p 73, 74 .

والمساندة من الهيئات المختلفة . وحدث فى نهاية عهد « شوجنية » التوكوجاوا حركة انتعاش مادى تأسست على أثره عدة طوائف فى أوساط الشعب اليابانى تدين لمذهب الشنتو بالولاء .

ومما يجدر ذكره أن إنتعاش مذهب الشنتو خلال عهد شوجنية التوكوجاوا كان وبالا عليهم وصار هذا الانتعاش عنصرا هاما من عناصر الاطاحة بالشوجنية ذاتها ، اذ أن مذهب الشنتو كان يؤكد على الحق الالهى للإمبراطور فى حكم اليابان وهذا وفر السند الشرعى للإطاحة بحكم الشوجنية بسهولة ويسر وذلك حينما أعلن الامبراطور أنه سوف يحكم البلاد حكما مباشرا دون الاستعانة بخدمات الشوجنية .

ولكن رؤى لكى يكون مذهب الشنتو عقيدة رسمية للدولة أن يتم فصله عن البوذية وفروعها وكانت الخطوة الأولى فى هذا السبيل هى توخى الدقة والعناية بفصل طوائف الشعب اليابانى المعتنقين لمذهب الشنتو عما سواهم . على أن حكومة الميجى أخذت باتجاه مناهض للبوذية فانسحب أعضاء أسرة الامبراطور من الطوائف البوذية وصدرت التعليمات الامبراطورية بمنع حفلات البوذية داخل القصر الامبراطورى واعتدى الغوغاء على معابد البوذية . ولكن منذ عام ١٨٧٢ تولد لدى اليابانيين اقتناع بتغلغل البوذية وتمشيها بالتوازى مع مذهب الشنتو بل وامتزجت العقيدتان فى عقلية الرجل اليابانى العادى إلى الحد الذى لا يمكن فيه المساس بإحداهما دون الاضرار بالأخرى .

لذلك رأت الحكومة التخلى عن سياسة القمع التى كانت تنهجها شوجنية التوكوجاوا ازاء البوذية ونشير فى هذا الصدد الى أن موقف الدولة فى عصر الميجى من المسيحية لم يكن أقل عداء من العصر الذى سبقه اذ واصلت الحكومة اليابانية سياسة القمع التى كانت تنتهجها التوكوجاوا . ولكن الحكومة اليابانية رأت بثاقب نظرها أن هذا الموقف ازاء المسيحية سوف يضر بالعلاقات الخارجية لليابان خاصة مع الغرب لذلك عمدت إلى الافراج عن الأربعة آلاف مسيحى الذين كانوا معتقلين فى السجون اليابانية .

ثم تخلت الحكومة اليابانية تدريجيا عن قمع الديانات الآخرى فى سبيل تركيز جهودها نحو إنشاء نظام دينى رسمى للدولة . وحتى حلول عام ١٩٣٠ كانت الحكومة اليابانية تتولى بنفسها أمر ٥٠٠٠ر٠ كاهن وترعى شئون نحو مائة ألف معبد كانت مرتبة فى ١٢ طبقة يتبوأ أعلاها المعبد الأكبر فى « ايز » وكان مكرسا لآلهة الشمس . وعملت حكومة الميجى من جهة أخرى على استخدام نظام التعليم الذى أنشأته حديثا بالاضافة إلى سائر وسائل الدعاية لنشر العقائد الثلاثة للنظام الدينى الجديد من أجل تعميق فكرة تقديس اليابان وكانت هذه المرتكزات العقائدية الثلاثة هى :

أ – أن الامبراطور إله مقدس لأنه امتداد لأجسام وأرواح الآلهة العظيمة الماضية ، وخاصة تلك التى تنتمى إلى روح الشمس .

ب – أن اليابان تحظى بالرعاية الخاصة من لدن الآلهة ولهذا فإن ترابها وأهلها ومؤسساتها فريدة فى نوعها وتسمو على ما سواها .

ج – إن لليابان رسالة مقدسة وهى : « جمع العالم بأسره تحت سقف واحد » (هاكو – ايشى – يو) .

وبذلك يتاح لسائر البشرية ميزة التمتع بحكم الامبراطور ، وسارت الحكومة فى عام ١٨٦٩ على سياسة تقديس أرواح كافة من ماتوا فى سبيل الامبراطور[١] .

خامسا : تنوع المعرفة ودقة التخطيط

ارتكزت الانطلاقة اليابانية فى عصر الميجى على مرتكزين أساسيين هما أن نقطة الانطلاق كانت واضحة تماما كما أن الدولة تكونت براعمها الأولى كما سبق أن أشرنا من أوليجاركية ضيقة متلاحمة .

ا – نقطة إنطلاق واضحة

انطلقت اليابان فى عصر الميجى من منطلق الاعتراف القاطع الذى لا تردد فيه بالتفوق العلمى والفنى للغرب وحضارته من جهة وأنه لا سبيل لها سوى استيعاب ذلك ونقله نقلا كاملا لكى تتبوأ اليابان مكانتها فى منطقة الشرق الأقصى ثم على المسرح العالمى . ذلك اليقين هو الذى دعاها إلى استقدام متخصصين من أوروبا فى كافة المجالات ومن شتى الدول، فقد استعانت بالخبراء الفرنسيين والايطاليين فى صناعة نسيج الحرير ، كما استقدمت عددا من الخبراء الألمان فى علوم المعادن ، فضلا عن خبراء الصناعات الذين استقدمهم من هولندا ، بل إنها استقدمت الخبراء العسكريين من بروسيا ، والمحلفين القانونيين من باريس .

بيد أن الشىء الذى يصيب المرء بالدهشة حقا هو أن اليابان وهى لا تزال فى مستهل عصر نهضتها بدأت بسرعة هائلة تعمم أسباب النهضة فى كافة المجالات . فى القانون ، وعلم الادارة ، والبوليس ، والدفاع ، والصحة العامة بنسب متوازية لم تترك مجالا إلا أولته عناية متناسبة وهى بذلك تكون قد سبقت فى علم الادارة الحديث الذى يقول بأن نظرية الادارة تتلخص فى الشمولية انطلاقا من فكرة أن السلسلة تقاس بأضعف حلقاتها .

---

(١) تيدمان ، آرثر : المصدر السابق ص ص ٢٠ ، ٢١ .

ومن ناحية أخرى فإن اليابان وضعت لنفسها فى هذه الفترة مخططا يتمثل فى أن يكون استقدام هؤلاء الخبراء لفترة زمنية محدودة قدر ما وسعها الجهد . فمن أكثر مميزات الشعب اليابانى قدرته الفائقة على النقل الحضارى والتكيف مع ما نقله من الابقاء على شخصيته وأسلوبه اليابانى ولم تكن عملية النقل الحضارى من أوروبا هى أول ممارساته فى النقل فقد قام بعملية نقل سابقة من حضارة الصين وظل طابعه اليابانى على حاله(١) .

ونلاحظ من جهة أخرى أن الحكومة اليابانية امتنعت عن استقدام رؤوس الأموال الاجنبية ، فلم تعقد سوى ثلاثة قروض حكومية من أول عصر النهضة حتى نهاية القرن التاسع عشر ، كما كان تسديد هذه القروض يتم بسرعة واضحة ، ولعل اليابان كانت متأثرة بما حدث للصين حينما اغرقتها الدول الغربية عمدا بالقروض والديون بما انتقص من سيادتها وعرقل مسيرة تطورها .

ولا ينبغى أن يغيب عن الذهن أن وضع الاطار القانونى والادارى والاقتصادى الجديد كان يمثل بالنسبة لعصر النهضة ضمانة قوية لإستمرار حركة الدفع فى الإطار السليم المرسوم ، وعدم خروجها عما تم تخطيطه من أهداف ، ولسوف يتضح أمامنا عما قليل كيف تمت النهضة على أسس مستقيمة داخل إطار محكم فى أسرع وقت متاح . ومنذ سقوط حكم التوكوجاوا « كيكى » تم تحديث الإدارة الحكومية تحديثا كاملا على النسق الأوروبى ، فمنذ شهر يناير ١٨٦٨ تم إنشاء سبع وزارات ولم ينته عام ١٨٦٨ نفسه إلا وكان الوزراء يمارسون أعمالهم على النمط الأوروبى . ونشير فى هذا الصدد إلى إنه منذ يونيو من نفس العام كانت قد ظهرت الوثيقة الهامة التى تكيف شكل الحكومة وتنظمها ونعنى بذلك دستور عام ١٨٦٨ الذى كان من نتيجته إنشاء وزارات للشئون المدنية ، والمالية ، والحربية ، والعدل ، والقصر الامبراطورى والخارجية .

على كل حال ، فإن انفتاح اليابان نحو الغرب بهذه الصورة المفاجئة والصريحة تجاوز المجالات الفنية والعلمية إذ نشأ إلى جوار ذلك تيار فكرى يستوحى إلهامه من كتابات كل من روسو ، ومن المفكرين الالمان ، وتمت ترجمة مؤلف المفكر الانجليزى ستيوارت ميل (Stewart Mill) عن الحرية (On Liberty) عام ١٨٧١ . وفى ظل هذه النهضة الهادرة حظى الجيش اليابانى بأكثر نصيب من الاهتمام . ففى عام ١٨٧٨ تم إعادة تنظيمه من جانب شخصية يابانية مشهورة من مجموعة الساموراى – فرع شوشو (Choushu) وهو ياماجاتا آريتومو (Yamagata Aritomo) ليكون جيشا حديثا على النسق الغربى والألمانى بوجه خاص .

وكان نظام التجنيد فى الجيش اليابانى الذى وضعه ياما جاتا فى عام ١٨٨٣ يستهدف قضاء الفرد ١٢ عاما فى الخدمة منها ٣ أعوام مدة خدمة فعلية . ولم تنقض بعض سنوات

---

(1) Morton, S. Op. cit. P. 1

حتى كان هذا أول جيش آسيوى يتم تشكيله بهذه الصورة المتطورة ولم يحل عام ١٨٩٤ حتى كان تحديث التسليح نفسه قد أصبح حقيقة واقعة واستطاعت اليابان أن تجند ٧٣٫٠٠٠ جندى يمكن زيادتهم إلى ٢٠٠٫٠٠٠ عند الحرب . ولا غرو إذن أن رأينا الممارسة الفعالة لهذا الجيش فى حرب اليابان مع الصين فى نفس العام اذ أظهر مقدرة كبيرة فى هزيمة الصين(١).

ب - دور الدولة فى عملية التحديث

من الطبيعى أن يجرى التساؤل الآن عن دور الدولة فى عملية التحديث . من العجيب أن نجد نواحى كثيرة فى عملية تجهيز الدولة اليابانية الصاعدة – ومن بينها الجانب التجارى نفسه ، وجوانب أخرى كالنقل والاتصالات – كانت تخضع لمقتضيات وضرورات استراتيجية فى ظل أن الجيش اليابانى المنشود تم تشكيله فى غضون عشرين عاما فقط وأنه كان على هذا الجيش أن يحقق الطموحات التوسعية لليابان أى أن التكنولوجيا سخرت فى البداية لتحقيق قدرات عسكرية على نحو ما سنرى بعد قليل . ولذلك فإن الدولة لن تكون بعيدة عن عملية التحديث .

إن رجال حكم الميجى عملوا على تعميق فكرة استبدادية الدولة – مما قد يبدو متناقضا مع تطور اليابان وتطلعها نحو الحضارة الغربية ، ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن استتباب النظام وصرامته أمر لازم وأساسى لدفع عجلة التقدم الاقتصادى والعسكرى . ونعود الآن لطرح السؤال ما هو الدور الفعلى للدولة فى هذه المجالات الشاملة ؟ ويأتى الجواب بأن دور الدولة كان أمرا أساسيا بالنسبة للمشروعات الحديثة وخاصة خلال السنوات العشرة الأولى من حكم الميجى كذلك نلاحظ أن الدولة لم تدخل بنشاطاتها إلا فى مجالات محددة تحديدا واضحا سواء فى الناحية الاقتصادية أو المالية ولقد كان هذا التدخل يتخذ أشكالا مختلفة ، منها رسم السياسة المالية العامة ، وتشجيع المشروعات الكبرى وخصوصا الجهود التى بذلتها الدولة والتجهيزات بالنسبة لما أقامته من مشروعات فكان دورها بذلك دورا مزدوجا بالعمل كمنشط توفر الدعم والمساندة للجهود المبذولة من ناحية ، والعمل على توجيه ودفع عجلة التحديث الاقتصادى والفنى والعسكرى من جهة أخرى وخصوصا العسكرى منها . ومن هنا يأتى تفسير انغماس الدولة فى الأنشطة الثقيلة .

---

(1) Wang, N. P. Op. cit. P. 78 .

على أن مشكلة تدبير رؤوس الأموال اللازمة لهذه المشروعات الكبرى ظلت عقبة كأداء أما الحكومة ، فعلى عكس ما كان عليه الحال فى أوروبا إبان القرن الثامن عشر مثلا ، ونظرا لما كانت تتبعه اليابان من سياسة الانغلاق ، فإن رؤوس الأموال المستمدة من تجارتها عبر البحار لم تكن متوفرة بالقدر المطلوب ومن ثم لم يكن هناك سوى قدر ضئيل من الأموال المستمدة من التجارة الداخلية ومع ذلك فقد عزفت اليابان عن عقد القروض الأجنبية كما أسلفنا . ففى الفترة الممتدة من بدء عصر النهضة وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم تعقد اليابان سوى قرضين كبيرين بين الحكومة اليابانية وبين حكومة انجلترا ، أولهما قيمته مليون جنيه استرلينى عام ١٨٧٠ لتمويل بناء الخط الحديدى بين طوكيو ويوكوهاما ، أما القرض الثانى فكانت قيمته ٤ر٢ مليون جنيه ولقد تم سداد القرض الأول منذ عام ١٨٨١ فصاعدا ، والقرض الثانى فى عام ١٨٩٧ (١) .

وحقيقة الأمر أنه كان هناك دين حكومى ضخم ناءت عن حمله الحكومة رغم قيامها بإعادة تنظيم مواردها . لذلك قامت فى عام ١٨٧٣ بإنشاء نظام ضريبى جديد يسير بالتوازى مع عملية مسح عام لجميع الأراضى اليابانية ، ثم قامت الحكومة بعملية تقييم لكافة الأراضى وفرضت عليها ضريبة عقارية سنوية بنسبة ٣٪ على قيمة الأرض وليس على المحصول الناتج من الأرض . وحملت عبء هذه الضريبة على الملاك ومع ذلك بدت الموارد غير كافية ، فعمدت الحكومة إلى تمويل مشروعاتها ذات الطابع الاجتماعى باستقطاع بعض المبالغ من دخول طبقة الساموراى ولكننا فى نهاية الأمر لابد أن نشير إلى أهمية الضريبة العقارية فى نهضة اليابان بتدبير رؤوس الأموال اللازمة للنمو الاقتصادى والعسكرى .

ومع كل ذلك فإن الحكومة اليابانية تمكنت فى الفترة من ١٨٧٢ – ١٨٨٤ من بناء معظم السكك الحديدية المنشودة وأمكن لها عن طريق هذه الشبكة الحديدية ربط كافة المدن الكبرى بعضها ببعض . ولم تقتصر هذه الجهود الجبارة على السكك الحديدية ، وإنما شملت كذلك الخدمات التلغرافية . فما أن حل عام ١٨٨٠ حتى كانت كافة المدن الهامة قد ارتبطت بخدمة تليفونية وتلغرافية كاملة وكان العامل الاستراتيجى قد أملى هذه الجهود فى تقدم وسائل المواصلات والاتصالات ، كذلك ظهرت بصمات الدولة الواضحة فى إنشاء الترسانات البحرية فكانت الدولة تمتلك خمس ترسانات بحرية كبرى وعشر مناجم واثنين وخمسين مصنعا ، بالاضافة إلى قيام الحكومة بمشروعات الرى وإدخال وسائل التسميد الصناعى فى الزراعة .

---

(1) Wang, P.N. Ibid. p. 80 .

جـ - سياسة التنازل عن المؤسسات

ثم حدث تطور هام بعد ذلك ، إذ صدرت الأوامر فى ٥ أكتوبر ١٨٨٠ ببيع كافة المشروعات التى تمتلكها الدولة للأفراد أو المؤسسات الخاصة – فيما عدا السكك الحديدية والخدمات التلغرافية ، والترسانات البحرية وقد تم نقل ملكية هذه المشروعات بأسعار زهيدة جدا تقل عن تكلفتها الاصلية . وعلى سبيل المثال نجد أن مصانع الاسمنت فى منطقة فوروكاوا (Furukawa) قد تم بيعها للأفراد بمبلغ ٢٥٠ر٠٠٠ ين ، فى حين أن الحكومة قد تكلفت فى إقامتها ٤٦٨ر٠٠٠ ين وقيل إن هذا المشروع كان ناجحا يحقق أرباحا كبيرة . وقيل أيضا إنه تم بيع أمثال هذه المشروعات إلى من سموا بأصدقاء الحكومة وأذنابها . لكننا نميل إلى القول بأن الحكومة اليابانية كانت تنظر نظرة عسكرية جعلتها تتخفف من أعباء بعض المشروعات التى ترى أنه يمكن للقطاع الخاص أن يقوم بمسئوليته تجاهها .

على كل حال فقد كان هذا التصرف من جانب الحكومة بداية ظهور نظام الترست (Trust) . ولقد ثار جدل حول بيع هذه المشروعات ، فهناك من قائل بأن هذه المشروعات لدى بيعها كانت تحقق عجزا فى إيرادتها ، ولكن هذا الاجراء من جانب الحكومة كان يمثل بشكل ما العلاقة الحميمة بين الأوساط اليابانية الحاكمة وبين الأوساط الصناعية والمالية الذين سبق أن أشرنا أنهما كانا يشكلان معا « أوليچاركية » واحدة . على أن الحكومة اليابانية إن كانت قد تخلت عن جانب كبير من نشاطها الاقتصادى ، فقد أمسكت بيدها وبقوة بالنظام المصرفى بما مكنها من أن تدير بطريقة غير مباشرة دفة النشاط الاقتصادى إلى الوجهة التى تريدها .

ولربما تكتمل صورة النهضة اليابانية فى عصر أسرة الميچى لو عرضنا لبعض الأمثلة الرقمية لمدى ما أحرزته اليابان بالفعل على مدى نصف قرن من الزمان ونقصد بذلك الفترة الممتدة من ١٨٦٨ إلى حوالى قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى على وجه التقريب لنرى ما إذا كان ما أحرزته اليابان عاملا مهما فى إتجاهها نحو التوسع الاستعمارى والهيمنة فى منطقة الشرق الأقصى .

سادسا : نظرة على حصيلة نصف قرن من الانجازات

- مظاهر التقدم ومداه

ليس هناك فى حقيقة الأمر من الحقائق الاقتصادية ما أذهل عقول الباحثين بمثل ما

أذهلهم النمو غير العادى الذى أحرزه الاقتصاد اليابانى فمعروف أن هناك وبوجه خاص بالنسبة للعالم الثالث ما يسمى بنقطة الانطلاق (Decolage) أى كسر حاجز التخلف للدخول فى فلك التقدم الاقتصادى والفنى بما يتبع ذلك من رخاء وتقدم ورفاهية .

فمثلا بالنسبة لمجالات الصناعة الثقيلة ، كان أمر مواءمة وتكيف الاقتصاد اليابانى لها أمرا صعبا فليس هناك فى اليابان أية مواد خام متوافرة - سوى الفحم - ومع ذلك فإنه فى عشية نشوب الحرب العالمية الأولى أصبحت اليابان منتجا مهما للصناعات الثقيلة . وبوجه عام فإن عمليات تشغيل المناجم تضاعفت قبل حلول عام ١٩١٤ . كذلك فإن صناعات النسيج تطورت تطورا هائلا وخاصة بالنسبة للقطن والحرير . فاما ما يتعلق بالحرير والطلب عليه فقد اشتد ذلك الطلب منذ البداية بسبب مرض أصاب دودة القز فى أوروبا فكان ذلك بمثابة دفعة هائلة عملت اليابان بسرعة على إستغلالها . ولم تكن المغازل اليابانية الحديثة التجهيز تنتج عام ١٨٩٣ سوى ٥٠٪ من الناتج الكلى لليابان وظل الحال كذلك حتى كان الجانب الذى ينتج انتاجا يدويا يشكل نسبة كبيرة حتى حدوث التحول دفعة واحدة . غير أن التحول الجذرى الذى تم بدرجة هائلة كان فى صناعة القطنيات ، فقد جابهت هذه الصناعة أول الأمر انحسارا كبيرا ابتداء من عام ١٨٨٠ ولكنها نهضت بعد ذلك نهضة ضخمة بسبب توافر اليد العاملة الرخيصة خصوصا اليد العاملة النسائية . ثم كانت هناك صناعة المنسوجات الصوفية . وكان الجيش اليابانى هو الذى حظى بعناية فائقة بإعتباره المستهلك الأول لها .

وبوجه عام نجد أن الحرب الروسية اليابانية عام ١٩٠٤ / ١٩٠٥ لقد لعبت دورا كبيرا وهاما فى تنشيط النهضة الصناعية ، فقد كانت هذه الحرب سببا فى دفع عجلة الصناعات الثقيلة بوجه خاص بحيث أن هذه الصناعات أصبحت بعد الحرب العالمية الأولى مربحة للغاية ، وأمكنها استيعاب موارد الخام الآتية من كل من منشوريا وكوريا .

ونعرض الآن للتجارة الخارجية . ومعلوم أن التجارة الخارجية تشكل نقطة بداية هامة بالنسبة لإنطلاق الدول لأنها تتضمن عملية التصدير الذى يوفر رؤوس الأموال الاجنبية التى تهيىء بدورها تراكم المدخرات اللازمة لعملية التنمية .

فإذا استعرضنا هذه النقطة بالنسبة لليابان رأينا أمامنا رقما مذهلا حقا ، إذ أن حجم هذه التجارة الخارجية تضاعف عشر مرات فى الفترة الواقعة بين ١٨٨١ - ١٩١٣ . وقبل نهاية القرن التاسع عشر كانت التجارة الخارجية اليابانية قد بدأت تتخذ مظهرا استعماريا ، وانعكس ذلك على تركيب الصادرات فعلى سبيل المثال كان الحرير الخام والشاى والأرز والمنتجات التعدينية والمواد الغذائية تشكل غالبية الصادرات اليابانية فى الفترة السابقة على عام ١٨٥٤ مباشرة ولكن بحلول عام ١٨٩٤ ظهرت منتجات مصنعة مختلفة ضمن بنود

الصادرات وفى الفترة من ١٨٨٠ – ١٩١٣ تزايدت نسبة المنسوجات فى صادرات اليابان بشكل واضح وظهرت تلك السمة التى بدأنا نلحظها فى الاقتصاد اليابانى ، وهى تزايد نسبة اعتماده على الاقتصاد العالمى وصار الاقتصاد العالمى مرتبطا به يؤثر فيه ويتأثر به وسوف تكون هذه الظاهرة عاملا مهما فى التوسع الاستعمارى اليابانى .

ب - عملية التصنيع فى بداية القرن العشرين

لعل دراسة هذه الفترة يتجاوز قليلا الفترة الزمنية التى حددناها للباب الأول ولكن تناول الصورة متكاملة للنهضة اليابانية قد يعطينا العذر توخيا لعدم تجزئة ظاهرة فريدة قد لا يحسن عرضها لو تمت تجزئتها وعلى هذا النحو فإن الإنتاج اليابانى فى عام ١٩١٤ أصبح يتألف من العناصر الآتية :

- الزراعة ٤٥٪
- الصناعات التحويلية ٤٤٫٤٪
- الصناعات التعدينية ١٫٥٪
- الصيد ١٫٥٪

لذلك ظهر بوضوح أهمية الصناعات التحويلية التى هى دليل التطور الاقتصادى على حساب الزراعة من ناحية أخرى ، ثم إن هذا ما يعزز ما سبق أن أشرنا إليه من إتجاه العلاقة التجارية والاقتصادية لليابان فى التجارة العالمية لتكون من نوعية التبادل الذى يأخذ بالصبغة الاستعمارية بمعنى أنه صار يستورد المواد الخام ويحولها إلى سلع مصنعة ويعيد تصديرها بهذه الصورة .

وربما كان مناسبا استعراض قطاع محدد داخل هذه الصناعات التحويلية بالنسبة لقيمتها لنجد التطور قد أصبح يتخذ الشكل التالى كما يتضح من الجدول الآتى الذى يبين المنتجات الصناعية فى اليابان حسب قيمتها النسبة المئوية(1) .

السنة	النسيج	ميكانيكا	المعادن	كيماويات	الغذاء	الغاز	أخرى	مجموع
١٨٨٠	١٦٫٧١	—	٨٫١٧	٥٫٤٩	٦٢٫٣٢	—	٧٫٣٢	١٠٠
١٨٩٥	٥٠٫٣١	١٫١٥	٣٫٦٥	٦٫٣٥	٢٨٫٥٤	٠٦	٩٫٩٤	١٠٠
١٩٠٥	٣٧٫٩٢	٣٫٩١	٩٫٤٠	٩٫٣٩	٢٨٫٥٩	٣٢	١٠٫٤٦	١٠٠
١٩١٥	٣٩٫٢٣	٧٫٣٢	٦٫٦٠	١٢٫١٠	١٩٫٣٠	٢٫٤٢	١٣٫٠٣	١٠٠

(1) Wang, N. P. ibid. P. 83 .

ونظرا لأن التجارة الخارجية تلعب دورا هاما بالنسبة للدولة الناشئة لذلك فقد أصبحت السوق الأجنبية فى حالة اليابان ضرورة ملحة ، وعنصرا حيويا فى كيان الأمة اليابانية ، ولكن من ناحية أخرى فإن السوق الداخلية تطورت بالتوازى تطورا سريعا نظرا لنمو القدرة الشرائية لدى اليابانيين ، وإن كان ذلك قد تم بمعدل أقل من معدل نمو السوق الخارجية .

والظاهرة الثانية الملازمة للنهضة الاقتصادية اليابانية هي التركز المالى الشديد فى أيدى مجموعة ضيقة من المؤسسات ، فقد أصبح الاقتصاد اليابانى يرتكز على مؤسسات مالية ضخمة الامكانات قليلة العدد . هذا التركز كان نواته فى الأصل مشروعا تجاريا قديما هو ما سمى بالزايبا تسو (Zaibatsu) يتألف من مجموعة مترابطة من الشركات المالية هى : ميتسوى ، وميتسوبيشى ، وياشودا ، وسوميتومو ، هذه المجموعة من الشركات الكبرى تمثلت فيها « الاوليچاركية » المالية بأجلى معانيها ، ولابد لنا هنا من وقفة أمام ظاهرة الاوليچاركية التى أولت إهتماما لعملية التوسع اليابانى فى اسيا فقد كانت تنظر بنهم شديد إلى الأسواق وإلى المواد الخام يشجعها ما توافر بين أيديها من رؤوس أموال متراكمة .

ثم إن هذه الاوليچاركية أو الاحتكارية المالية لما تجاوزت هيمنتها السوق المحلية اليابانية خاصة بعد حرب ١٨٩٤ / ١٨٩٥ مع الصين ، ثم حرب ١٩٠٤ / ١٩٠٥ مع روسيا وجدت أمامها فرصة مواتية . ففى السنوات الممتدة من ١٨٦٨ – ١٩١٤ ، وربما حتى حلول عا. ١٩٣٧ لم تنشب فى منطقة الشرق الآسيوى حروب محدودة ، كذلك فإن العزلة العارضه للدول الناشئة حديثا كأمريكا بعد حرب الانفصال الامريكية قد وفرت فرصة فريدة أمام اليابان لإستغلالها والافادة منها فى تنمية صادراتها فى غياب أية منافسة أحنبية .

ومع ذلك ، فإن الانقلاب الاجتماعى الذى واكب هذه التطورات الاقتصادية كان ضخما وجذريا مما أعطى دفعة إضافية لهذا التحول لكى يتم فى سهولة ويسر ، أى أنه لم يكن هناك رفض إجتماعى يقف حائلا دون الانطلاق المستمر . وإذا كان هذا التقدم الهائل قد عاد بالفائدة على بعض الشرائح الاجتماعية مثل التجار وأصحاب رؤوس الأموال ، فإن الزراع كانوا الضحايا لهذا الانقلاب ، ولقد كانت استكانة الزراع اليابانيين هى العامل الاجتماعى الأول للنهضة فى اليابان . فقد كان عبء الضرائب الواقعة على كاهل هذه الفئة هو الممول الأول والأساسى للمشروعات الصناعية ، وقد سبق أن أشرنا إلى الضريبة العقارية وإلى إحجام اليابان عن عقد القروض . ومن ناحية أخرى كان الزراع يشكلون فى عام ١٨٦٨

الغالبية الساحقة للسكان حتى أنهم كانوا عشية الحرب العالمية الأولى لا يزالون يشكلون نسبة ٨٠٪ من مجموع السكان وكان مالك الأرض يستقطع حتى نهاية حكم شوجنية التوكوجاوا ما بين ٥٠ - ٦٠٪ من المحصول . ومع ذلك كان النظام يتميز حينذاك بالمرونة لأنه كان يتواءم مع حالة المحصول .

ولكن منذ عام ١٨٧٣ ، فإن الاصلاحات التى أتى بها حكم الميچى كانت تستهدف كما أسلفنا فرض ضريبة عقارية بنسبة ٣٪ من قيمة الأرض بصرف النظر عن حالة المحصول . وكان تثبيت هذه النسبة كارثة على الفلاحين . وصحيح أن الضريبة كان يقوم بدفعها ملاك الأرض ولكن نظرا لأن هذا المالك كان ضعيفا فإن عبء الدين الناجم عن محصول ردىء فى أحد الأعوام كان يثقل كاهله ويتسبب فى فقدانه للأرض التى يمتلكها . ولكن فى مقابل ذلك فإن ثورة الميچى قد عملت على إختفاء أعمال السخرة فى الأرض الزراعية وألغت الاستبعاد الفردى .

جـ - الأحزاب السياسية

ورغبة فى أن تكتمل الصورة فقد يحسن الحديث مرة أخرى عن الاحزاب السياسية ولكننا نلاحظ فى هذا الخصوص أنه قد تشكلت بالفعل أحزاب سياسية فى تلك الحقبة (نصف القرن) ولكن دواعى الاستعدادات التوسعية من ناحية ، وحالة الحرب التى كانت تسلب هذه الأحزاب كافة ما كان يرجى أن تحرزه من نفوذ وفاعلية حالت دون قيامها بدورها . فقد كانت المجموعة المسيطرة على الحكم أقوى من أن يقف فى طريقها أو يعترض إتجاهاتها أية أحزاب سياسية .

وفيما قبل عام ١٨٨٩ تشكلت ثلاثة أحزاب سياسية هى : حزب الاحرار (Parti - Liberal) وكان يرتكز على الأوساط الزراعية بزعامة شخصيتين معروفتين هما أوكوبو (Okubo) ، وايتاجاكى(Itagaki) وهناك حزب الكايشنتو (Kaishinto) ويمثل الطبقات التى تسكن المدن ، ويميل هذا الحزب بولائه إلى الطبقات المالية الليبرالية التى تأخذ بالمنهج الانجليزى وأخيرا هناك حزب التيسيتو (Teiseito) ويمثل مصالح الأوليچاركية السياسية الحاكمة .

ولم يكن لهذه الاحزاب أية جذور فى أوساط الجماهير . وعلى أية حال فمنذ عام ١٨٨٣ اختفى حزب تيسيتو من مسرح الاحزاب ، أما الحزبان الآخران وهما الكايشنتو ، وحزب

الاحرار فقد اندمجا فى بعضهما فيما سمى بعد ذلك بحزب الكينسيتو (Kenzeito) ثم تغير اسمه بعد ذلك ، بعد حلول عام ١٩٠٠ ليصبح اسمة السيوكاى (Seiyukai) على أن هذه التجمعات الحزبية كانت تتألف بأسلوب قبلى عشائرى أى من مجموعة من الأقارب والاصهار وكان الإخلاص والولاء من ثم للجماعات والاشخاص أكثر من كونه للأيديولوجية الحزبية .

وأخيرا ونحن نقوم بتحليل حصيلة هذه الثورة الاجتماعية الجذرية التى واكبت النهضة الصناعية والاقتصادية اليابانية يحق لنا أن نتساءل هل كان هناك نزوح ريفى جماعى على نطاق كبير إلى المراكز الصناعية بمثل ما حدث فى أوروبا أثناء نهضتها الصناعية ؟ ويأتى الجواب بأن عدد السكان فى اليابان قد زاد فعلا فى هذه الفترة زيادة ضخمة وكان على الشبان أن يجدوا لهم عملا فى الصناعات التى تتركز بطبيعة الحال فى المدن ولكن يجب أن نلاحظ هنا وبصفة خاصة أن هذه الهجرة أو هذا النزوح البشرى قد أصاب المرأة بأكثر مما أصاب الرجال وكان ذلك أمرا عارضا أيضا . فسرعان ما عمل الزواج على عودة هؤلاء النازحين فى معظمهم إلى المدن بإتجاه قراهم الاصلية . على أن هذه « البروليتاريا » الناشئة شهدت أحوالا وظروفا بالغة الصعوبة تتمثل فى ضعف الدخول فى البداية وعدم وجود أية تشريعات لحمايتهم بالإضافة إلى استخدام أسلوب أشبه ما يكون بأسلوب القسر والسخرة فى تشغيلهم .

التوسع اليابانى

هذا التطور الاقتصادى والتكنولوچى الهائل الذى بدأ يدب فى أوصال اليابانيين ويغمرهم بمشاعر الانجاز والتفوق ماذا كانت نتيجته ؟ . كانت النتيجة متمثلة فى أذهان قادة اليابان فى تزايد شعورهم ووعيهم بالشخصية اليابانية ومنذ بداية التسعينات ترتكز المشاعر على ما سمى « بحب الوطن » ، وبمجرد أن شعرت اليابان بقوتها أخذت الاهداف القديمة النائمة والمطامع الكامنة تجاه كل من كوريا ومنشوريا ، وكذلك جزر المحيط الهادىء المتناثرة تطل برأسها وتتحرك من سباتها .

ولكن اليابان فى هذه المرحلة كانت ترى أن هناك أغلالا تعوق حركتها تمثلت هذه الأغلال فى معاهدات غير متكافئة كانت قد أبرمتها أوقات ضعفها مع عدد من الدول الغربية ، لذلك فكرت اليابان جديا فى الغائها والتحلل من ريقتها وخاصة حق امتداد القوانين (Exterritorialité) ، وكذلك التعريفات الجمركية المجحفة وكانت بريطانيا تمتنع عن تقديم أية

تنازلات لليابان فى هذه المجالات أو فى غيرها حتى حلول عام ١٨٨٦ . ولكن ابتداء من عام ١٨٩٠ صارت المعارضة الداخلية فى اليابان لا تكف عن الضرب على هذا الوتر ، وتحت ضغط المعارضة شرعت الحكومة اليابانية فى مفاوضات مضنية ١٨٩٣ للتحلل من هذه القيود، وفى أواخر عام ١٨٩٩ تم إلغاء الجانب الخاص بإمتداد القوانين من هذه المعاهدات .

بيد أن الأهداف التوسعية لليابان كانت مركزة تركيزا دقيقا وهادفا ، فنظرا لأن اليابان جاءت متأخرة إلى معترك القوى الكبرى ، فإنها كانت تطمع فى أن تقتسم مع هذه القوى جانبا من القارة الآسيوية . ولقد حاق الفشل بأول محاولات التوسع اليابانى فى فرموزا أمام رد الفعل البريطانى القوى . ومع ذلك فمنذ حلول عام ١٨٧٤ استطاعت اليابان أن تضم اليها جزر ريوكيو (Riou - Kiou) ولكن عين اليابانى كانت دائما وأبدا لا تتحرك عن كوريا [1] .

وقد كانت كوريا تابعة للصين تبعية إسمية ، وكانت اليابان تنظر بعين النهم نحو الثروات المعدنية الكامنة فى كوريا . ومنذ عام ١٨٧٦ حصلت اليابان على حقوق مساوية لما تتمتع به الدول الغربية فى بقية القارة الاسيوية ، مثل فتح الموانيء أمام سفنها ، والاستفادة من حق امتداد القوانين اليابانية . وفى عام ١٨٩٤ وقعت أحداث معادية للأجانب فى كوريا مما هيأ الفرصة أمام اليابان لفرض نوع من الوصاية عليها وكان هذا الادعاء من جانب اليابان مدعاة لحدوث أول مواجهة بينها وبين الصين فى صيف عام ١٨٩٤ تمخضت عن حرب بين الدولتين .

الحرب الصينية - اليابانية ١٨٩٤ - ١٨٩٥

كانت هذه الحرب فى حد ذاتها وبصرف النظر عن أسبابها من أبرز عوامل تولد الثقة لدى اليابانيين بقدر ما تمكنوا لتوهم من نقله من أسباب التكنولوجيا المتطورة من الغرب خاصة فى المجال العسكرى مما أسال لعابهم على مزيد من المغامرات العسكرية فى المنطقة وبدأت تتفتح أعينهم على آمال استعمارية واسعة مصدرها الشعور بالتفوق العلمى الذى نقلوه بمهارة فائقة من الغرب وكان هذا أول تطبيق ولد فيهم الثقة حيث كان الجيش الصينى يبلغ عدده مليون جندى أما اليابان فكان جيشها نحو سبعين ألف من الجنود .

أما دوافع هذه الحرب فقد يكون من المفيد أن نتتبعها ولو بشىء من الإيجاز منذ نشأتها الأولى . فمع أن حكام الصين من المانشو كانوا قد فشلوا فى فتح كوريا فى القرن السابع عشر ، فإن كوريا ظلت مع ذلك تعترف بسيادة الصين عليها ، وكان ملوكها يتقلدون مناصبهم

---

(1) Morton, W. S. Op. cit. p. 174 .

على أيدى أباطرة الصين ويرسلون بعثات منتظمة إلى بكين لدفع الجزية . ثم ضعف النفوذ الصينى فى كوريا بضعف حكام أسرة المانشو .

وفى الفترة من ١٨٩٣ - ١٨٨٢ حدثت اضطرابات فى كوريا وفى عام ١٨٨٢ قام أحد الاحزاب الكورية « يى » مع جمهرة من المشاغبين بمهاجمة الملكة التى كانت تحكم كوريا حينذاك ، وكذا الاعتداء على المفوضية اليابانية فبعثت الصين واليابان بقواتهما إلى كوريا لإقرار الأمن ، واستطاعت اليابان أن تنتزع من الكوريين اتفاقية حصلت بمقتضاها على إمتيازات تجارية جديدة ، يضاف إلى ذلك فرض غرامة على كوريا وإرغامها على معاقبة المذنبين .

غير أن حوادث الشغب فى عام ١٨٨٢ عملت من ناحية أخرى على زيادة اهتمام الصين بكوريا فأرسلت من قبلها يوان شيه كاى إلى مدينة سيئول ليكون بمثابة وزير مقيم وذلك تأكيدا لمركزها الممتاز فى كوريا ، وتمكنت الصين من إحكام قبضتها على تجارة كوريا وجماركها ومواصلاتها . وبدأ حزب « منْ » يخشى التدخل اليابانى طالبا منها المساندة . وقامت قوات يوان شيه كاى بمهاجمة كل من اليابانيين والكوريين وطردت اليابانيين من الأراضى الكورية .

وقد أعقب هذا الوضع نوع من التفاهم بين الصين واليابان حول كوريا أسفر عن توقيع بعض المعاهدات كان أهمها معاهدة « تيان - تسن » لعام ١٨٨٥ بين الصين واليابان . وتقضى فى مجملها بسحب قوات الفريقين من كوريا على ألا يكون لأى من الدولتين الحق فى إرسال جنود من قبلها إلى كوريا مرة أخرى فى حالة حدوث اضطرابات إلا بعد موافقة الدولتين . وبالرغم من أن معاهدة تيان - تسن لعام ١٨٨٥ اعترفت فى جوهرها بالمساواة بين الصين واليابان . فقد ظل الاشراف على كوريا بوجه عام من نصيب الصين .

ولقد هيأ الكوريون السبب المباشر لقيام الحرب حين قامت جماعة معادية للأجانب تعرف باسم « تونجهاك بأحداث اضطرابات لم تستطع الحكومة الكورية السيطرة عليها . فبعثت الصين بقواتها إلى كوريا بناء على طلب حاكمها ، ثم اخطرت اليابان بعد ذلك . وشعرت اليابان بأن الصين قد تجاهلتها وخرقت بذلك أحكام اتفاقية « تيان تسين » وانتقمت اليابان لنفسها بارسال قوات يابانية كبيرة . وبعد أن تم القضاء على الاضطرابات رفضت الصين سحب قواتها إلا بعد أن يتم انسحاب اليابانيين . ودارت مفاوضات طويلة بين الصينين واليابانيين باءت جميعها بالفشل .

وبدأت المعركة بأن وجه اليابانيون ضربة مفاجئة للقوات الصينية واستولوا على سيئول وتمكنوا في نفس الوقت من إبادة الأسطول الصينى المتمركز فى واى – هاى – واى (Wei - Hai - Wei) . وأعلنت حالة الحرب فى أول أغسطس ١٨٩٤ . وبعد إنقضاء أربعة أشهر رفض اليابانيون عرضا صينيا لإبرام هدنة بين الطرفين . وتجدر الإشرارة هنا إلى اليابانيين قد أرجعوا نصرهم السريع والمتفوق على الصينيين إلى مناورة بارعة تم تطبيقها بعد ذلك – بعد إنقضاء ستة وخمسين عاما – أى عام ١٩٥٠ من جانب قيادة قوات الأمم المتحدة فى المنطقة المجاورة لمدينة بيونج يانج (Pyong - Yang) ولكن اليابانيين اندفعوا بسرعة هائلة فى نفس الوقت الذى كانت المفاوضات بينهم وبين الصين دائرة على قدم وساق ليصلوا إلى ما وراء نهو يالو (Yalu) نحو السور العظيم والى تيان – تسين واحتلوا جزيرة لياوتونج وبورت أرثر[1] .

وحقيقة الأمر أنه لم يشارك فى القتال من الجانب الصينى إلا جانب صغير من قوات الجيش والأسطول ، وكانت لليابان قوة عسكرية صغيرة ، ولكنها كانت جيدة التدريب والإعداد بشكل ظاهر . كما كانت تحظى بتأييد كامل من حكومة اليابان . وكانت النتيجة العملية فى الحرب أن تمت هزيمة – الصينيين فى كل نزال تقريبا مع اليابانيين وظهر التفوق العسكرى جليا فى تلك المعركة ، كما ظهر أثر التفوق التكنولوچى فى حسم الحرب بسرعة لصالح اليابان . ولم تحل بداية شهر نوفمبر إلا وكان قد تم طرد الصينيين من كوريا وفقدوا أسطولهم الرئيسى . وفى خلال شهر فبراير ومارس ١٨٩٥ هاجمت القوات اليابانية البحرية بلاد الصين ذاتها عند نقطة « واى هاى واى » فى إقليم شانتونج . وقامت اليابان بغزو منشوريا وفرموزا قبل أن يصل إلى اليابان الوفد الصينى للمباحثة فى شروط الصلح .

معاهدة شيمونوسيكى Simonoseiki ١٨٩٥

على أن المفاوضات بدأت بين الصين واليابان فى ١٩ مارس ١٨٩٥ لتسفر عن معاهدة شيمونوسيكى التى كانت شروطها بالغة القسوة فقد تضمنت الاعتراف باستقلال كوريا والتنازل عن فرموزا وجزر البسكادور لليابان ، وفرض غرامة مقدارها ٢٠٠ مليون تايل . وفى هذه الاثناء كما أشرنا سابقا احتلت اليابان بورت أرثر ومنطقة واى هاى واى أى إنها تكون قد احتلت النقطتين الاستراتيجيتين اللتين تتحكمان فى مدخل خليج بيشيلى (Petsilli) الهام .

---

(1) Grousset, R. Op. cit. P. 369 .

التنافس الغربى على الصين

كان أهم ما تمخضت عنه هذه الحرب الصينية – اليابانية « الأولى » أن الدول الغربية بدأت تتفاهم فيما بينها على القيام بجهد جماعى لدى طوكيو وذلك باستثناء بريطانيا التى فشلت روسيا وحيلفتها فرنسا فى جذبها إليها ، ذلك أن بريطانيا فضلت التحفظ فى مواجهة هذه الدولة البحرية الصاعدة والتى أظهرت مقدرتها وأثبتت وجودها بل إنها شرعت فيما بعد فى عقد تحالف ودى معها . على كل حال فإن الجهد الذى بذلته كل من الدول الغربية أسفر عن تنازل اليابان وهى فى قمة إنتصارها – وبعد توقيع معاهدة شيمونوسيكى بالفعل حفظا لماء وجه اليابان – تنازلها عن منشوريا ، كما قامت بإخلاء ميناء بورث آرثر ، ومن ثم لم تحتفظ اليابان نتيجة نصرها العسكرى إلا بفرموزا ، وكل هذه التنازلات نظير زيادة الغرامة الحربية بثلاثين مليون « تايل » إضافية . ولكن هل قدمت الدول الغربية هذه الخدمة للصين بتجرد أم أنها كانت تتوثب لتحقيق مطامعها ؟ .

ما لبثت هذه الدول أن إنقضت لكى تلتهم أجزاء من الصين ، فهذه فرنسا تعدل حدودها فى اقليم تونكين على حساب الصين لتنشىء خطا حديديا تم تنفيذه فى عام ١٨٩٧ ليربط هانوى بخليج تونكين مرورا بمنطقة يونانفو فى أراضى الصين .

أما روسيا فكان تخطيطها أبعد مدى ، فانتهزت فرصة أعياد تتويج القيصر الروسى وابرمت معاهدة كاسينى (Cassini) . وكانت هذه المعاهدة فى حقيقة الأمر بمثابة تحالف حقيقى بين روسيا والصين فى وجه أى هجوم يابانى محتمل – الأمر الذى جعل المعاهدة تنص على قيام الصين بوضع عدد من المرافىء تحت تصرف الروس ، فضلا عن توفير وسائل الإتصال السريع لروسيا لكى تصل إلى المحيط الهادىء ، أى إمكانية الوصول إلى ميناء « فيلاد يفستك » مباشرة دون إتباع الإنحناءة الطويلة عن طريق نهر آمور . وهذا الخط الحديدى المباشر هو ما إشتهر بعد ذلك بإسم خط شرق الصين وقد تسبب ذلك فى حصول الصين من بيوت المال فى أوروبا على قرض قدره ٤٠٠ مليون فرنك ذهبى بسعر فائدة ٤٪ بضمانة روسيا وقد أنشئ بنك سمى البنك الروسى – الصينى لتحقيق إنشاء هذا الخط الحديدى .

والجدير بالذكر أن ألمانيا وإنجلترا ظلتا بمنأى عن هذه المشروعات الفرنسية – الروسية تجاه الصين ولكن ذلك لم يمنعها من ترقب الفرصة المناسبة وقد تهيأت هذه الفرصة

للألمان عام ١٨٩٧ حينما تم إغتيال رجلين من رجال التبشير المسيحى الألمانى فى مقاطعة شانتونج وطالب الوزير الألمانى بالتعويض عن هذا الحادث . وفى ٤ أكتوبر ١٨٩٧ قامت قوتان المانيتان - وبدون سابق إنذار - بالنزول رلى خليج كياوتشاو فى الطرف الجنوبى من مقاطعة شانتونج ومن الطريف أن الصينيين لم يتخيلوا أن هذا يمثل نوعا من الهجوم على أراضيهم إذ دخلت هذه القوات بشكل درامى على هيئة طوابير فى مقدمتها فرقة موسيقية يحف بها السكان الصينيون ، وقد هزتهم نشوة رؤية هذا المنظر الغريب عليهم . وكانت الحامية الصينية تعتقد وهى منهمكة فى تأدية بعض التدريبات أن الألمان إنما يرغبون فى إستخدام أرض التدريب لأداء بعض المناورات المماثلة فتركوا لهم أرض التدريب بكل مجاملة وأدب وإنسحبت الحامية الصينية بهدوء وطمأنينة . ولما أفاق الصينيون إلى حقيقة ما جرى كان عليهم أن يقبلوا الأمر الواقع الذى وجدوا أنفسهم فيه بإحتلال الألمان لمقاطعة شانتونج[1] .

نعود الآن إلى روسيا التى ليس من المتصور أن تسعى هى الأخرى لسلامة الصين بالضغط على اليابان دون أن تسعى إلى تحقيق أهداف خاصة بها . ولعلنا لا نزال نذكر إتفاقية كاسينى التى كانت توفر لروسيا نقاط ارتكاز فى شانتونج ولكن روسيا عقب تصرف المانيا بالكيفية التى أشرنا إليها وإحتلالها لإقليم شانتونج شعرت بالغبن الواقع على أطماعها ، وطلبت فى مقابل ذلك أن تتنازل اليابان عن ميناء بورت آرثر أى أن روسيا رغبت فى الحصول على ميناء استراتيجى وهو نفس الميناء الذى ساهمت روسيا نفسها فى إستخلاصه من براثن اليابانيين منذ ثلاث سنوات مضت . كذلك حصلت روسيا على حق ربط ميناء بورت أرثر بخط حديدى (وهو ما سمى بعد ذلك بخط حديد جنوب منشوريا) وبخط حديد شرقى الصين .

ومن العجيب حقا أن تهافت هذه الدول الغربية على أراضى الصين لم يصحبه غزو لأراضيها . ذلك أن الأراضى التى كان يحتلها الأجانب من أرض الصين كانت تسمى اسماً مخففا وهو أنها أراضى « مستأجرة . وكمثال فإن بورث آرثر كان مستأجرا لمدة ٢٥ سنة ، وكان بالنسبة لكياو تشاو ٩٩ عاما . ولكن مدة الاستئجار كان من اليسير دائما مدها فترات جديدة .

ولكن كان إنزعاج إنجلترا لحصول الروس على ميناء بورت أرثر يفوق الوصف حيث كانت أقرب المواقع العسكرية البريطانية إلى هونج كونج ، لذلك عمدت انجلترا إلى طلب

---

(1) Grousset, Ibid. P. 373 .

استئجار ، « واى – هاى – واى » المواجهة لميناء بورت أرثر ولقد يتبادر إلى الذهن التساؤل كيف سمحت اليابان بالتسليم للدول الغربية لإنتزاع ثمرة انتصاراتها بهذه السهولة . ولكن اليابان كانت ترى فى سكوتها على مثل هذه التعديات مبررا للتصرف كما يحلو لها فى المستقبل .

غير أن اليابانيين ، وإن كانوا قد ضاقوا ذرعا بهذا التدخل من جانب الدول الغربية ، إلا أنهم لم تتوفر لديهم الرغبة فى تحدى مثل هذه الدول الكبرى الثلاث فى تلك الآونة ، وتبين لليابان بعد نجاحها فى حربها مع الصين من أجل السيطرة على كوريا أن لها منافسا خطيرا يتربص بها الدوائر وأنه لابد لها من منازلته فى القارة الاسيوية فى وقت ليس بالبعيد . ويتمثل هذا المنافس فى روسيا وسنرى عما قليل فى عام ١٩٠٥ كيف اصطدم الفريقان وكيف انتصرت اليابان فى حرب خاطفة على الروس هزت أرجاء العالم بأسره حينذاك .

ولكن هذا النصر اليابانى السهل لم يغب عن ملاحظة دول الغرب ، فقد أصبحت هذه تدرك أن اليابان قد لحقت بمنتدى الدول التى تستحوذ على الأسلحة المتطورة ولكن الظرف الذى كان ذا مغزى أكثر هو مساهمتها الفعالة فى إنقاذ البعثات الدبلوماسية المحاصرة فى بكين فى عام ١٩٠٠ من يد رجال البوكسرز ، حيث تمكنت الامبراطورة الوالدة تزو – هسى – من تحويل موجة الكراهية فى صدور « البوكسرز » نحو الأجانب بدلا من أن تكون موجهة إلى طبقة المانشو . وقد ساهمت اليابان بكتيبة يابانية بلغ عددها نحو نصف القوة الدولية التى توجهت إلى بكين لإنقاذ هذه البعثات الدبلوماسية المحاصرة وقد أدت الكتيبة عملها بكيفية تجلى فيها جانب المهارة والمقدرة شدت إعجاب ممثلى دول الغرب[1] .

الحرب اليابانية – الروسية

لقد نجحت اليابان فى إثارة مخاوف انجلترا من إحتمال أن يمتد التوغل الروسى إلى الهند ، فأبرمت مع إنجلترا – سيدة البحار حينذاك تحالفا (١٩٠٢ – ١٩٢٢) تعهدت بمقتضاه كل من الدولتين بمساعدة الدولة الآخرى إذا ما دخلت فى حرب مع دولة ثالثة . ويلاحظ فى هذا الصدد أن اليابان ورطت ساسة الانجليز فى التوقيع على وثيقة قلما أمكن استدراجهم للتوقيع على مثلها لإنها تحد من حريتهم فى الحركة . لذلك لما بدأت الحرب

---

(1) Morton; W. S. Op. cit. pp. 174 - 175 .

اليابانية – الروسية فى عام ١٩٠٤ بادر المولون الانجليز والامريكان بإقراض اليابان أموالا طائلة لكى يتسنى لها تحقيق النصر علىَ القيصر الروسى .

واقع الأمر أن فكرة هذا التحالف قد راودت اليابانيين فى منتصف التسعينيات وتم طرحها على جوزيف تشمبرلين عام ١٨٩٧ ، ولقيت الفكرة إستحسانا شديداً فى كلا البلدين بإعتبارها تخدم مصالحهما فى إحتواء التوسع الروسى فى المنطقة . فلقد نظر البريطانيون إلى هذه الاتفاقية المنشودة كوسيلة لتفادى تزايد التزاماتهم للحفاظ على السلم من ناحية وضمان إنسياب تجارتهم بحرية فى منطقة الشرق الأقصى ، أما اليابانيون فقد أدركوا قيمتها فيما تحققه لهم من ضمان فى حالة نشوب حرب بينهم وبين الروس وعدم مواجهتهم من ناحية أخرى بحالة من العداء من جانب الدول الأوروبية الأخرى بالإضافة إلى الإعتراف الرسمى من جانب بريطانيا بالنسبة لمصالح اليابان السياسية والتجارية والصناعية فى كوريا(١) .

--- ----

على أن منشوريا هى التى لعبت دورا هاما فى إزكاء حدة التنافس الدولى بين كل من اليابان وروسيا والصين اعتبارا من نهاية القرن التاسع عشر حيث تحتوى أراضيها على إحتياطيات ضخمة من الذهب والحديد والفحم « اللين » وغير ذلك من المعادن . وكانت اليابان قد شرعت فى التفاوض المباشر مع روسيا عام ١٩٠٣ من أجل الحصول على موافقتها على الاعتراف بحقوق اليابان فى حرية التصرف فى كوريا ولكن اليابان وهى تسعى إلى هذا التفاهم مع الروس كانت واقعة تحت الضغط البريطانى ، لذلك فقد كانت تسعى فى نفس الوقت إلى تحجيم نطاق النفوذ الروسى فى منشوريا لكى لا يتعدى منطقة السكك الحديدية فقط على أن يظل المتبقى من منشوريا تحت السيطرة الصينية .

وبينما كان التفاوض يجرى بين البلدين على قدم وساق إذا بالقيصر نقولا الثانى يبعث بقوات ضخمة بإتجاه الشرق عبر خطوط حديد سيبيريا ، فقامت اليابان بقطع المفاوضات فى فبراير ١٩٠٤ ، ووجهت ضربة مفاجئة إلى الأسطول الروسى المتمركز فى ميناء بورت أرثر فى جنح الظلام ، ونجحت اليابان فى حصار سفن الروس فى الميناء . وسرعان ما قامت المشاة اليابانية باختراق الحدود المنشورية الكورية عند نهر يالو فى حين قامت قوات

---

(1) Giffard. S. Japan Among the Powers P.P. 24 , 25 .

يابانية أخرى باحتلال ميناء دايرين (Dairen) وحاصرت ميناء بورت آرثر من جهة البحر أيضا ، وأجبرت اليابان الروس على الانسحاب ناحية الشمال على طول الخط الحديدى بضرب متكرر ومكثف على الأجناب وسقط ميناء بورت آرثر فى يد اليابانيين فى يناير ١٩٠٥ وفى هذه الأثناء سارع الروس إلى إرسال اسطولهم فى بحر البلطيق لتعزيز وجودهم فى ميناء فيلاديفستيك . ولكن بريطانيا رفضت السماح للأسطول الروسى باستخدام قناة السويس أو حتى الموانىء البريطانية الواقعة على الطريق فكان على القائد الروسى أن يمر عبر رأس الرجاء الصالح . وهنا أدرك الادميرال اليابانى توجو أن الروس سوف يلجأون إلى أقرب السبل داخل الجزر اليابانية ولهذا ظل متربصا بأسطول حربى قوى فى مضيق تسوشيما اليابانى الذى يقع بين كوريا واليابان ، واستعان الادميرال توجو لأول مرة فى تاريخ الاساطيل البحرية باللاسلكى الذى مكنه من متابعة سير الأسطول كل تلك المسافة .

وباغت توجو الاسطول الروسى بكيفية عسكرية ماهرة جعلت الاسطولين الروسيين فى مواجهة كل من الآخر غير قادرين على إطلاق النار تماما ، وعلى الفور أطلقت اليابان زوارق الطوربيد لتوجه ضربة نهائية للأسطولين .

ولقد كانت نتيجة هذه المعركة كارثة ضخمة للأسطول الروسى ويكفى تدليلا على ذلك بإنه تم تدمير ٣٢ سفينة حربية من جملة الأسطول وعدد سفنه ٣٥ سفينة وعلى ذلك فإن هذه المعركة البحرية الشهيرة قد أنهت الحرب بين البلدين فى مايو ١٩٠٥[1] . وفقدت روسيا أربعة آلاف من جنودها إلى جانب أسر أربعة آلاف آخرين فى حين لم يفقد اليابانيون سوى ١١٦ وجرح ٥٣٨ مقاتل[2] .

وتجدر الإشارة إلى أنه حينما نشبت هذه الحرب الروسية – اليابانية حاول الرئيس تـ ودور روزفلت (Theodore Roosvelt) ألا يمتد لهيبها إلى الصين من ناحية ، وأن تقف ا لولايات المتحدة موقف الحياد من ناحية أخرى مع ميل أمريكى مشوب بالعطف مع اليابان ومن ذلك فإن الرئيس الأمريكى بادر بتوجيه إنذار إلى كل من ألمانيا وفرنسا بالوقوف على الحياد بعدم التدخل لصالح روسيا ، معلنا أنهما إن تدخلتا فلسوف تتدخل الولايات المتحدة بثقلها إلى جانب اليابان .

---

(1) Morton, W.S. Op. cit. PP. 177 - 178 .

(٢) ديورانت ، ول : قصة الحضارة – الجزء الخامس من المجلد الأول – الطبعة الثالثة ص ص ١٧٢ – ١٧٣ .

ولما حققت اليابان فى حربها مع روسيا النصر تلو النصر كان فى مخيلتها ما حدث فى عام ١٨٩٥ حين سلبتها الدول التى أطلقت على نفسها إسم « أصدقاء الصين » ثمرة انتصارها ، لذلك اتجهت اليابان فى هذه المرة نحو الولايات المتحدة تطلب وساطتها فى حل الأزمة . ورغم أن الحكومة الروسية رفضت هذه الوساطة الامريكية فى بادىء الأمر ورغم نصح الرئيس روزفلت لها بقبولها مبينا لها أن اليابان قد تعمد إلى إحتلال أجزاء أخرى من متتلكات روسيا إلا أن الرئيس الأمريكى لم ييأس من معاودة الكرة خصوصا بعد أن سقطت بورث آرثر فى أيدى اليابانيين ، ثم تلتها موكدن ولكن روسيا آبت وأصرت واستكبرت استكبارا وقررت كما رأينا استدعاء اسطولها الأوروبى فى بحر البلطيق .

وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى التهنئة التى بعث بها الرئيس روزفلت لممثل اليابان فى الولايات المتحدة بقوله « إن إنتصار إنجلترا فى الطرف الآخر على قوات نابليون البحرية ، وعلى الارمادا (قوات أسبانيا البحرية) لا يعدل الإنتصار العظيم الذى أحرزه أمير البحر توجو[١] .

استطاع إذن الرئيس الأمريكى فى ٨ يونيو من عام ١٩٠٥ إرسال مذكرة لكل من المتحاربين يطلب منهما ضرورة وضع حد لهذه الحرب ، وعاد القيصر الألمانى إلى تأييد روزفلت لاسيما فى إقناع الروس بضرورة التسليم بمطالب اليابان ، ودعا روزفلت الدولتين إلى سفينة ماى فلاور (may Flower) وبدأت المناقشات فى بورتسموث الامريكية .

معاهدة بورتسموث ١٩٠٥

وكما حسمت معاهدة شيمونوسيكى نتيجة الحرب الصينية - اليابانية لعام ١٨٩٤ فإن معاهدة بورتسموث (Portsmouth) (الولايات المتحدة) الموقعة فى ٥ سبتمبر ١٩٠٥ فعلت نفس الشيء بالنسبة للحرب اليابانية - الروسية نتيجة تدخل الولايات المتحدة للتوسط بين الدولتين . وقد تضمنت بنود المعاهدة تحقيق توسع للمتلكات اليابانية على النحو التالى :

١ - حصلت اليابان على ميناء بورت آرثر بما فى ذلك الخط الحديدى الذى يربط هذه المنطقة بموكدن[٢] .

---

(١) د . محمد السروجى : سياسة الولايات المتحدة الخارجية ص ص ٧٩ ، ٨٠ .
(2) Grousset, R. Op. cit. P. 382 .

٢ - حصول اليابان على حق الصيد فى مياه سيبيريا .
٣ - تم ضم كوريا لليابان (وإن كان ذلك لم يتحقق بصفة نهائية إلا فى عام ١٩١٠) .
٤ - سيطرة المشروعات اليابانية فى منشوريا وأهمها الخط الحديدى الشهير فى جنوب منشوريا الذى تم تسليمه بكامله إلى اليابان .

وكيفما كان الأمر . فإن هذه الأوضاع الجديدة قد وفرت لليابان مكانة ضخمة فى اسيا ، كما أن حركة القومية اليابانية الوليدة صارت تجد فى هذه الواقعة الجديدة منشطا غير عادى جعل اليابان تتطلع إلى دور الشرطى فى اسيا كلها ، وجعل الدول الأوربية تتخوف من هذا العملاق المتعاظم . وكان من نتيجة هذا الانتصار اليابانى أن بريطانيا بدأت تشعر أن تلامذتها من ضباط البحرية اليابانيين حققوا النصر على الروس . ولكن الاهم من ذلك أن الدول الغربية قد أصابتها الصدمة أن ترى أمة أوروبية تنهزم بهذه السهولة أمام عنصر أسيوى وكان على الغرب أن يعيد تقييم نظرته لليابان بسرعة . وعلى الفور دعا الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت لعقد مؤتمر سلام فى بورتسموث كما أسلفنا .

كانت معاهدة بورتسموث فى عام ١٩٠٥ نجاحاً لسياسة الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأقصى فى مستهل القرن العشرين والتى حددها وزير الخارجية الامريكى جون هاى (John Hay) فيما سمى بمذكرات الباب المفتوح (Open Door Notes) لعامى ١٨٩٩ - ١٩٠٠ من أجل الحفاظ على الباب المفتوح فى المجال التجارى ، وسلامة أراضى الصين وكذلك حماية جزر الفيلبين من المطامع اليابانية[1] .

ولكن يلاحظ أن اليابانيين حينما أحرزوا نصرهم الرائع فى ربيع ١٩٠٥ كانت إمبراطوريتهم الناشئة قد أصابها الاعياء مما دعا اليابان إلى دعوة الرئيس روزفلت للتوسط ، لكن المندوب اليابانى مع ذلك لم يكن قانعا بالسيطرة على جنوب منشوريا ، وكوريا ، والنصف الجنوبى من سخالين من يد الروس لذلك فقد طالب أيضا بتعويضات مالية ضخمة ، وقد تسبب ذلك فى إمتعاض الامريكيين ولذلك رأى اليابانيون التخلى عن هذا المطلب . وعلى ذلك فإن معاهدة بورتسموث تكون قد حافظت على توازن القوى الذى كاد الروس أن يطيحوا به فبقيت روسيا دولة هامة من دول المحيط لكن اليابان ظهرت إلى جانبها بمثابة الند القوى . وكان هذا يتمشى مع وجهة النظر الامريكية .

---

(1) Link, A Catton W American Epoch, A history of the United States Since 1990 Vol. Ip. 140 .

ومع ذلك ، فقد شعرت جماهير الشعب الياباني بالاحباط لما أسفرت عنه المعاهدة من مكاسب ضئيلة في نظرهم ، وأنحوا باللائمة في ذلك على الأمريكيين . وكان هناك حشد جماهيري في طوكيو عام ١٩٠٥ نظم عدداً من مظاهرات الاحتجاج على طول البلاد وعرضها يستنكر ذلك « السلام المهين »[١] . وسرعان ما ردت الجماهير الأمريكية بالمثل وإن كان لأسباب مغايرة . فقد كانت الهجرة اليابانية تسبب بعض المشكلات للأمريكيين . وفي عام ١٩٠٦ أصدر « مجلس سان فرنسيسكو للتعليم » قراراه يحظر الحضور على أبناء اليابانيين في المدارس الحكومية الأمريكية (وإن كان هذا الحظر قد أبطل فيما بعد) .

غير أن تزايد نزوح اليابانيين الفقراء من المهاجرين للولايات المتحدة أظهر ما سمي « بالخطر الأصفر » وكان ذلك قد أثار الرعب في الساحل الغربي الأمريكي وكان هؤلاء المهاجرون الأوائل لا يعرفون التقاليد الأمريكية من ناحية ، وغير قادرين على التفاهم باللغة الانجليزية من ناحية أخرى ، وأسوأ ما هنالك رغبتهم الشديدة في العمل بأجور زهيدة . وكانت الحكومة اليابانية إدراكا منها لمشكلة العمل ، قد بدأت في الحصول طواعية على حصص لهجرة اليابانيين إلى الولايات المتحدة . لكن الكونجرس كان يميل للإستجابة للضغوط الجماهيرية ضد الأجانب ، فرغم احتجاجات السفير الياباني ، فإن الكونجرس أقدم في عام ١٩٢٤ على قانون شهير سمي قانون المنع (Exclusion Act) يمنع - دون أي شروط كافة اليابانيين من الهجرة إلى الولايات المتحدة .

والواقع أن قانون « المنع » هذا أتى في أعقاب رفض سابق شهده مؤتمر فرساي عقب الحرب العالمية الأولى التي شاركت فيها اليابان ، على نحو ما سنرى في الفصل الأول من الباب الثاني . ففي عام ١٩١٩ قدم الكونت ماكينو (Makino) - الممثل الياباني في مفاوضات فرساي - اقتراحاً نيابة عن حكومته بأن تتضمن المعاهدة نصا عن المساواة العنصرية ، ولكن هذا الاقتراح تم رفضه نظرا للمعارضة البريطانية له . كما لم يتردد الأمريكيون في تأييد هذا الرفض البريطاني وكانت اليابان حتى ذلك التاريخ تقدر بإعجاب شديد مثالية الرئيس الأمريكي وودرو ولسون ، لكن الرفض الأمريكي على هذا النحو « لنص المساواة العنصرية » قلبت ذلك الاعجاب إلى نوع من السخط والنقمة[٢] .

---

(1) Gibney, F. Japan the Fragile Super power P, 41 .

(2) Gibney, F. Ibid. P. 42 .

آثار النصر اليابانى على الروس وانعكاساته

كان إهتمام الولايات المتحدة بالشرق الأقصى سريعا حيث تولدت هذه الروح أول ما تولدت عام ١٨٩٨ بالاستيلاء على الفلبين وجزر هاواى . ولقد عبر الرئيس روزفلت عن هذا الاهتمام غداة انتخابه رئيسا للجمهورية عام ١٩٠٢ بقوله : « إن موقع أمريكا الجغرافى فى المحيط الهادىء يحتم عليها السيطرة السلمية على مياهه » ، بل إنه كتب بعد ذلك : « إن مستقبل الامة الامريكية سوف يعتمد بدرجة أكبر على وضعنا فى المحيط الهادىء فى مواجهة الصين بأكثر منه عن وضعنا فى المحيط الاطلسى فى مواجهة أوربا(١) .

وهناك عنصر اقتصادى أزاد اهتمامات الولايات المتحدة بهذه المنطقة ، فعند حلول عام ١٩٠٢ كانت علاقات الولايات المتحدة قد تزايدت بدرجة سريعة إذ كانت صادراتها ضعف حجم الصادرات الامريكية إلى أمريكا الجنوبية .

من جهة أخرى نجد أن بريطانيا كانت قد حصلت إبان عصر أسرة المانشو فى فترات ضعفها على حق السيطرة الاقتصادية فى جنوب الصين ، فى الوقت الذى تمكنت روسيا فيه من الاستيلاء على عدة مناطق من منشوريا ، وفى ذات الوقت الذى تمكنت فيه اليابان من تعويض خسارتها فى فقدان شبه جزيرة لياوتنج عام ١٨٩٥ . عقب انتصاراتها على الصين تحت ضغط من أسموا أنفسهم بأصدقاء الصين كما أشرنا من قبل - عوضت هذه الخسارة بتوسيع سيطرتها على كوريا . ولم تنس كل من ألمانيا وفرنسا نصيبها بعقد « معاهدات - « موانىء » دخلوا بمقتضاها حلبة التنافس على أسواق الصين الشاسعة .

وكان الضغط الروسى على كل من منشوريا وهضبة التبت السبب الرئيسى فى حقيقة الأمر فى عقد التحالف البريطانى - اليابانى لعام ١٩٠٢ والذى استندت إليه اليابان فى ضربها للروس (١٩٠٤ - ١٩٠٥) . وكانت التحالفات الكبرى السريعة التى شهدتها القارة الأوروبية عاملا على تصعيد حدة التنافس فى المنطقة حتى أن الرئيس روزفلت كان فى بعض الأوقات يفكر فى إستخدام القوة فى الصين لوقف المكاسب التى أحرزتها الدول الأوروبية ولكى يحصل لبلاده على إمتيازات واسعة فى الصين . لكن عدم تأكده من مساندة الشعب الأمريكى لهذه السياسة من ناحية وخوفه من ردود فعل الدول الأوروبية من ناحية أخرى

---

(1) Mowry, G. The Era of Theodore Roosevelt 1990 - 1912p. 181 .

جعله يكتفى بسياسة الباب المفتوح التى ابتدعها وزير خارجيته جون هاى (John Hay) الرامية إلى الحفاظ على سلامة أراضى الصين والمساواة فى فرص الاستثمار والتجارة فيها .

وقد ظلت الولايات المتحدة حتى عام ١٩٠٢ لا يساورها الشك فى الخطر الروسى المحيق بالصين . ولكن الولايات المتحدة أدركت كذلك أنه ليس من بين الدول الأوروبية من يستطيع منافسة روسيا فى السيطرة على هذه المنطقة من اسيا ولا سيما أنها روسيا كانت قد تعهدت للصين فى إتفاق فى عام ١٩٠٢ بالإنسحاب من منشوريا واتضح إنها لا تنوى الوفاء بهذا التعهد ، بل الاكثر من ذلك إصرار الروس على إغلاق منشوريا فى وجه التجارة الأمريكية .

ويأتى الحظ السعيد ليحل للولايات المتحدة مشكلتها هذه . ففى فبراير من عام ١٩٠٤ تقوم اليابان عمليا بفعل ما كانت الولايات المتحدة تنوى القيام به نظريا وعجزت عن تحقيقه وذلك بقيام اليابان بهجماتها المركزة على الأسطول الروسى فى بورت آرثر كما أشرنا - وبحلول الصيف التالى كانت اليابان قد دمرت القوة االبحرية الروسية فى المحيط الهادى وأحرزت انتصاراتها الهامة فى بورت أرثر ومكدن . وتصادف كذلك أن عرفت روسيا ثورة داخلية ، ثم ها هى قد فقدت منشوريا وأصبحت سيبيريا مهددة بإستيلاء اليابانيين عليها لذلك بدت الحكومة القيصرية التى كانت الولايات المتحدة تخشى بأسها فى حالة ترنح شديد .

ولا يغيب عن الذهن أن حكومة الولايات المتحدة والشعب الأمريكى كانوا يبدون المساندة العاطفية القوية لليابان . ثم بعد تحقيق اليابان لإنتصاراتها على الروس بدأ خطر النصر العسكرى يخيف الولايات المتحدة من أن يتمخض عن السيطرة اليابانية الكاملة على منشوريا واستغلالها استغلالا كاملا من جانب اليابان ، وكان الرئيس الامريكى قد اختار أخف الضررين (الروسى واليابانى) وقد بعث الرئيس روزفلت برسالة لإبنه تضمنت القول « إن اليابان تقوم باللعبة نيابة عنا »[1] .

وكانت الولايات المتحدة منذ مارس من عام ١٩٠٤ تأمل فى أن تمتد الحرب بين اليابان وروسيا لكى تنهك كل منهما قوى الأخرى حتى إذا حل السلام لا يكون هناك لا الخطر الاصفر ولا الخطر السلافى حتى أن الرئيس الامريكى عبر عن أمله فى أن يجرى طرد

---

(1) Mowry. G. Ibid. p. 183 .

الروس كلية من شرق اسيا ، كذلك عبر أكثر من مرة عن مخاوفه أنه إذا تسنى لليابان أن تحرز نصرا كاملا مؤزرا وأن تتمكن كذلك من إعادة تنظيم الصين واستغلالها فسوف يسفر ذلك عن « تحول حقيقى فى ميزان القوى بالنسبة للعنصر الأبيض الأوروبى »[1] .

وعلى أية حال فقد بدت اليابان عنصرا مؤثرا على الصعيد الدولى ، فقد كانت الحكومة الامريكية عام ١٩٠٥ قد اتفقت على إطلاق يد اليابان نظير تعهد اليابان باحترام حقوق أمريكا فى الفلبين بموجب مذكرة تافت - كتسورا .

وكانت فرنسا تشعر بالقلق على ممتلكاتها فى الهند الصينية وتشعر بإحتمال تورطها فى حرب قريبة مع إنجلترا ، ولذلك سارعت فى شهر يونيو ١٩٠٧ بتوقيع معاهدة مع اليابانيين يعترف فيها كل من الطرفين بمصالح الآخر فى منطقة الشرق الأقصى .

أما الروس فقد اجتمعوا مع اليابانيين فى عام ١٩٠٧ ليوقعوا على عدد من المعاهدات من بينها اتفاق سرى يقضى بتقسيم منشوريا بين اليابان وروسيا . غير أن عام ١٩٠٧ شهد تدهورا فى العلاقات بين اليابان وأمريكا نتيجة للسياسة التى إتخذتها اليابان فى منشوريا مما بدا أنها تريد احتكارها لنفسها وهو ما أطلقت عليه الولايات المتحدة سياسة « الباب المغلق » بالنسبة لمنشوريا ، الأمر الذى دعا الامريكيين إلى الرد على هذا الاجراء بإتخاذ تدابير ضد النشاط اليابانى على ساحل المحيط الهادىء ، وساد الخوف من وقوع الحرب بين الدولتين وقد لجأ الرئيس الامريكى روزفلت لمعالجة هذا الموقف على ما سمى باستخدام « العصا الغليظة والرد اللين » بمعنى قيام الاسطول الامريكى برحلة حول العالم استعراضا للقوة ، كما تمثل الرد اللين فى ميثاق التحكيم الامريكى - اليابانى فى مايو ١٩٠٨ وما سبقه من إتفاق « الجنتلمان » بين البلدين فى فبراير ١٩٠٧ .

وكان اليابانيون قد ظنوا أنهم حصلوا على إعتراف أمريكا بمركزهم الخاص فى منشوريا بعد تبادل المذكرات بين كل من رَوت وتاكاهيرا فى أواخر عام ١٩٠٨ بيد أن اليابانيين خاب ظنهم بعد أن اقترح فوكس وزير الخارجية الامريكى فى ديسمبر ١٩٠٩ تدويل الخطوط الحديدية فى منشوريا ، فعمدت اليابان إلى توقيع معاهدة فى يوليو ١٩١٠ بينها وبين الروس تعهد فيها الطرفان بالدفاع المتبادل عن مصالحهما . ثم لم ينقض سوى شهر واحد على هذه المعاهدة حتى أعلنت اليابان ضمها لكوريا . وفى عام ١٩١٢ تم تعزيز الحلف الروسى - اليابانى بمعاهدة تؤكد الاتفاقية السرية بتقسيم منشوريا بينما تقاسمت روسيا واليابان من جهة أخرى منغوليا فيما بينهما فحصلت اليابان على النصف الشرقى من منغوليا وحصلت

---

(1) Mowry. G. Ibid. p. 184 .

روسيا على النصف الغربى منها .

وهكذا صارت اليابان تحظى باهتمام الدول الغربية ، كل منها يخطب ودها ونجد من ناحية أخرى أن سياسة أمريكا تجاه اليابان قد أخذت منعطفين ، أولهما إطلاق يدها فى كوريا ، ثم خشيت بعد ذلك من استئثارها بمنشوريا وبدأت تشعر بالخوف من سياستها التوسعية . أما روسيا فبعد اندحارها فى الحرب أخذت تتقرب إلى اليابان ، ولقد تمثل ذلك فى تفاهمها على اقتسام منشوريا من جهة ومنغوليا من جهة أخرى ، وبدلا من الصراع لجأ الطرفان إلى التقارب لإلتهام أجزاء من المنطقة فيما بينهما .

على إننا نود الإشارة فى ختام هذا الفصل إلى أن إنتهاء الحرب الروسية - اليابانية لصالح اليابان قد أسهم بطريق غير مباشر فى إندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ذلك أن بسمارك ظل متمسكا بسياسة الحفاظ على علاقات ودية مع جارته الشرقية الكبرى (روسيا) وبعد أن تهاوت هذه الجارة ولقيت الهزيمة على يد اليابان إندفعت المانيا فى تحقيق سياستها العالمية الرامية إلى التوسع بعد أن إطمأنت على سلامة حدودها الشرقية حيث أصبحت روسيا فى نظر الالمان لا تشكل خطرا عليها مما عجل بإنقسام العالم إلى كتلتين متصارعتين تمثلان كتلة الوسط فى مواجهة دول الوفاق .

الباب الثانى

الفترة من نهاية الحرب اليابانية - الروسية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية

الفصل الأول

دخول اليابان الحرب العالمية الأولى

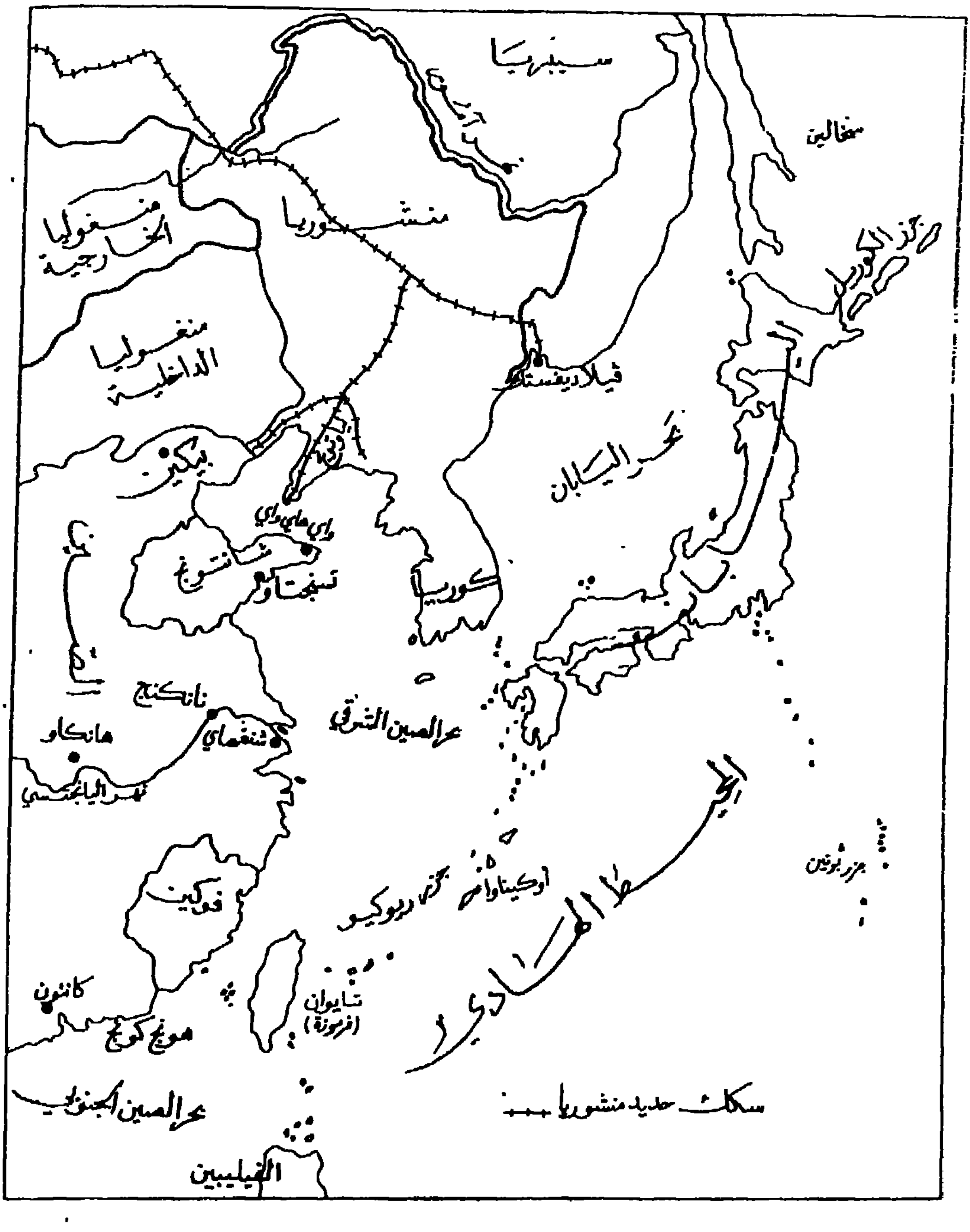
أولا - الأهداف اليابانية

لقد كان إنتصار اليابان على الروس فى عام ١٩٠٥ بالنسبة للقارة الاسيوية كلها فاتحة عهد جديد من القومية الاسيوية المتصاعدة . ويمكن أن يقال فى هذا الصدد أن الحرب العالمية الأولى كانت لا تمثل فترة حاسمة فى تاريخ منطقة شرق اسيا لأنها كانت حربا تخص العالم الغربى فى المقام الأول إلا أن إصداءها وانعكاساتها لم تلبث أن ترددت فى هذه المنطقة بعنف وكانت النزعة الاستعمارية الأوروبية قد وصلت حينذاك إلى حد الركود بسبب تقارب التوازن بين القوى الكبرى . ولما اقتصرت أملاك المانيا على أراضيها بأوروبا فقط عقب الحرب أصبحت أملاكها لقمة سائغة للدولة الاستعمارية الناشئة الوحيدة التى كانت تمتلك حرية الحركة وهى اليابان التى استندت على تحالفها مع بريطانيا منذ عام ١٩٠٢ .

وكانت اليابان تهدف لوراثة الدول الأوروبية فى المنطقة ، ولما أدركت استحالة تحقيق هذا الهدف دفعة واحدة عمدت إلى تجزئة تحقيق مطالبها ، وكانت السوق الصينية الواسعة محط أنظار اليابان فضلا عن تطلعها إلى مناجم الفحم والحديد فى الأرض الصينية التى عجز الصينيون عن إستغلالها . لهذا كان استمرار الحلف البريطاني الياباني ضمانة فى تصور اليابانيين لإستيلائهم على المناطق التى كانت تسيطر عليها ألمانيا فى الصين فى خليج كياوتشاو وشانتونج . وكانت هذه الأسباب داعيا لليابان أن تعلن الحرب على دولتى الوسط (النمسا - المانيا) فى ٢٣ أغسطس ١٩١٤ .

ولقد كان اندلاع الحرب العالمية الأولى فى أغسطس ١٩١٤ إيذانا بدخول منطقة الشرق الاقصى والمحيط الهادىء مباشرة فى خضم الحرب . لقد كانت أربعة دول من جملة الدول المشتركة فى الحرب وهى بريطانيا وفرنسا وروسيا والمانيا دولا ذات مصالح كبرى فى الصين وسرعان ما لحقت بهم اليابان كحليف لبريطانيا وفضلا عن ذلك فلقد كانت غالبية الجزر الواقعة فى المحيط الهادىء تابعة لكل من بريطانيا أو فرنسا ، أو لألمانيا كما كانت استراليا ونيوزيلنده ، وكندا تابعة للدومنيون البريطاني .

ونشير هنا بصفة خاصة إلى أن مركز القوة العسكرى بالنسبة للألمان كان فى « تسنجتاو » فى المنطقة المستأجرة الألمانية فى كياوتشاو فى إقليم شانتونج . وهناك كان الالمان يحتفظون بقاعدة بحرية تتمركز فيها قواتهم ، ولم تكن هذه القاعدة محصنة بقدر ما كان فيها محطات ارسال واستقبال قوية قادرة على الإتصال مع البواخر الالمانية فى عرض البحر لذلك كانت مهمة الحلفاء الأولى عند نشوب الحرب احتلال الجزيرة الالمانية لاسكات هذه المحطات اللاسلكية .



الصين الشرقية وسكك حديد منشوريا

وفى الشهور الأولى من الحرب تمكن الاسطول الالمانى من إحداث خسائر فى طرق الملاحة الخاصة بالحلفاء فى المحيط الهادىء ولكن اليابانيين هاجموا هذه القاعدة[1] . وكانت منطقة كياوتشاو ذات أهمية بالغة بالنسبة لليابان ذلك أن المانيا مدت خطا حديدا برؤوس أموال المانية تبدأ من ميناء تسنجتاو إلى الداخل حتى تسينان (Tsinan) وحصلت المانيا على حقوق التعدين فى هذه المنطقة بحيث أصبحت مقاطعة شانتونج منطقة المانية ، وبمجرد ما دخلت اليابان الحرب أرسلت قوة بحرية لإحتلال تسنجتاو وساعدتها فى ذلك قوة بريطانية كانت بالقرب من شمال شانتونج . وسقطت تسنجتاو فى يد اليابانيين فى ١٠ نوفمبر ١٩١٤ . وقامت اليابان بإرسال إدارة عسكرية يابانية لحكم المنطقة وتسيير السكك الحديدية .

ولقد كان النزاع حول إحتلال خليج كياوتشاو مناسبة انتهزتها اليابان التى كانت تشعر بالمرارة من الموقف الروسى والفرنسى والالمانى المشترك فى عام ١٨٩٥ بعد انتصارها على الصين حين أقدمت هذه الدول الثلاث على الضغط على اليابان للتنازل عن مطالبها فى الصين وأبرزها إقليم لياوتونج (Liao - Tung.) من ناحية ، ثم ما لقيته اليابان بعد ذلك فى عام ١٩٠٥ حينما تسبب الموقف الغربى ممثلا فى هذه الدول فى تخفيف اليابان لمطالبها من الروس بعد هزيمة روسيا على يد اليابانيين . والآن رأت اليابان أنه يمكن أن تتعاظم قدرتها على المساومة فى أى مؤتمر قادم للصلح وذلك للتوصل مسبقا إلى إتفاق ثنائى مع الصين فى حين تكون الدول الأوروبية مشغولة فى الحرب العالمية .

وبادرت اليابان فى ١٥ أغسطس ١٩١٤ كما أشرنا إلى إنذار الحكومة الالمانية بأن تقوم فى مدى ثمانية أيام بتسليم ممتلكاتها فى خليج كياوتشاو ، واستولت كما رأينا على « تسنجتاو » ولكنها لم تتمكن من الاستيلاء على الاسطول الالمانى فى تلك المنطقة ، إذ فر هذا الاسطول هاربا إلى جزر كارولين فتوجه أسطول بريطانى - يابانى مشترك للإستيلاء على هذه الجزر ، وعلى السفن الالمانية التى كانت تغير على طرق التجارة البحرية فى المنطقة . وبإنتهاء عام ١٩١٤ تكون اليابان قد استولت على الجزر اليابانية فى المحيط الهادىء الواقعة شمال خط الاستواء فى حين استولت استراليا ونيوزيلنده على الجزر الواقعة جنوب خط الاستواء بما فى ذلك غينيا الجديدة .

---

(1) The New Cambridge Modern. History Vol XII second. p. 342 .

كذلك تم إنزال قوة بحرية يابانية فى منطقة لنجكاو (Lengkeou) على الساحل لشمالى لمنطقة شانتونج خرقا للحياد الصينى الذى كانت قد أعلنته الصين على لسان يوان شيه كاى[1] .

ثانيا - المطالب الواحد والعشرون اليابانية

رأينا كيف أن بدء الحرب العالمية الأولى قد فتح أمام اليابانيين أمالا عراضا للتوسع الاستعمارى . وكانت أمال الحكومة اليابانية أن تزيح المانيا من القارة الاسيوية ومن المياه الاسيوية من ناحية ، وحل المشكلة الصينية لصالحها من ناحية أخرى . فمنذ ٤ أغسطس ١٩١٤ (تاريخ إعلان بريطانيا الحرب) ، بدأت الصحافة اليابانية شن حملة شعواء مضادة على الالمان وكان قد تم تجديد التحالف اليابانى - البريطانى لعام ١٩٠٢ فى عام ١٩١١ . ثم فى ٢٣ أغسطس ١٩١٤ أعلنت الحكومة اليابانية الحرب على المانيا .

كنا قد أشرنا فى مستهل هذا الفصل إلى أن اليابان كانت تهدف أثناء إنشغال الحلفاء بالحرب - إلى التوصل الى اتفاق مع الصين يزيد قدرتها على المساومة أثناء أى مؤتمر قادم للصلح بعد الحرب العالمية الأولى . لذلك قام الوزير اليابانى هيوكى (Hioki) فى ١٨ يناير ١٩١٥ بتسليم مذكرة تتضمن نص المطالب اليابانية التى اشتهرت بإسم المطالب (الواحد والعشرين مطلبا) والتى أحدثت دويا هائلا لدى الدول الغربية ولدى دول المنطقة ، وتنقسم هذه المطالب التى سلمت إلى يوان شيه كاى إلى خمسة مجموعات كالآتى :

المجموعة الأولى

وتطالب الصين بصفة مبدئية بالموافقة على كافة التسويات التى تتم بين اليابان وبين المانيا فيما يخص الممتلكات الالمانية بالصين ، وكذلك منح اليابانيين امتيازات واسعة فى منطقة شانتونج التى تصبح منطقة يابانية فى ظل معاهدة لعدم نقل الملكية .

المجموعة الثانية

تطالب اليابان الصين بزيادة سيطرتها الاقتصادية والسياسية على كل من منغوليا ومنشوريا ، ومد مدة عقد ايجار بورت آرثر إلى تسعة وتسعين سنة .

المجموعة الثالثة

وتهدف إلى قيام اليابان بإحتكار التعدين وبإستخراج الفحم ، والصناعات الحديدية فى حوض نهر اليانجتسى الهام .

---

(1) Bersihand, R. Histoire du japon des origines a nos jours p. 333

المجموعة الرابعة

وتلزم الصين بألا تتنازل عن أية موان أخرى أو مناطق ساحلية ، ولا تقوم بتأجيرها لأية دولة أخرى .

المجموعة الخامسة

وهى مجموعة مطالب تضمن أحكاما عامة شاملة تتضمن المطالبة بما يلى :

- أن تكون اليابان هى الدولة الوحيدة صاحبة الحق فى تقديم المشورة للصين فى النواحى السياسية والمالية والعسكرية .
- أن تقوم الصين بشراء أغلب احتياجاتها العسكرية من اليابان .
- أن تمنح الصين لليابان إمتيازات واسعة لإنشاء الخطوط الحديدية .
- أن يكون للرعايا اليابانيين حق تملك الأراضى الصينية من أجل إنشاء المدارس والمستشفيات والمعابد كما يمنحون كذلك حقوقا خاصة بالبعثات التبشيرية .
- أن تمنح اليابان حق أولوية استئجار إقليم فوكين(١) .

ونظرة فاحصة على هذه المطالب نجد أنها تشكل فى حقيقة الأمر نوعا غريبا من الوصاية اليابانية الكاملة على الصين ، بيد أن الصين كان يراودها الأمل فى أن يقوم المجتمع الدولى بالضغط على اليابان كى تتراجع عن هذه المطالب المجحفة . ولكن هذا المجتمع كان يخشى إن هو أقدم على ذلك فقد يعطى الفرصة لتدخل أكثر وأكثر فى شئون الصين أما الولايات المتحدة التى تبنت سياسة الباب المفتوح (Open door) بإزاء الصين والتى سبق أن بعثت بمذكراتها إلى الدول تفيدها أن سياستها تتضمن المحافظة على سلامة أراضى الصين وحكومتها فقد اقتصرت على تقديم احتجاج شفوى على قبول يوان شيه كاى لهذه المطالب . وحين تقدم وزير الخارجية الامريكى بريان بهذا الاحتجاج الشفوى أكد تمسك الولايات المتحدة بسياسة الباب المفتوح . على أنه لولا هذا الاحتجاج الشفوى وإنطلاق الطلاب إلى عرض شوارع الصين يبكون أو يحاولون الانتحار لشعورهم العميق بالاستحياء أمام هذا الذل الذى لحق ببلادهم ومقاطعة الصين للبضائع اليابانية – لتم إجبار الصين على قبول هذه المطالب برمتها(٢) .

---

(١) بين تشستر : المصدر السابق ص ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) ديورانت ، ول : قصة الحضارة – الجزء الرابع من المجلد الأول – الطبعة الثالثة ص ٣٠٤ .

وكان دخول الصين حلبة الحرب العالمية الأولى أملا يراود أذهان الدول الأوروبية التى كانت تريد من وراء ذلك تأمين احتياجاتها من المواد الخام ، والعنصر البشرى الصينى . بيد أن نشوب الحرب والتأكيدات التى طرحتها مبادىء الرئيس الامريكى ولسن بالإضافة إلى الأمل المرتجى لهزيمة المانيا فى الحرب كل ذلك كان يشكل أملا فى وجود مخرج للصين للتحلل من ربقة المعاهدات غير المتكافئة ولاسيما الاتفاق الروسى - الصينى لعام ١٩١٥ والذى كان يكرس جعل منغوليا الخارجية منطقة نفوذ روسية ومنذ يوليو ١٩١٦ توصل اليابانيون والروس إلى ضمان مصالحهما المتبادلة فى الصين .

غير أن العقبة الرئيسية التى كانت تحول دون دخول الصينيين فى آتون الحرب كانت تأتى من ناحية اليابان التى كانت تمانع فى ذلك وتحتفظ بموافقتها كورقة ضغط فيما يبدو على الحلفاء لكى يسلموا لها بأهدافها . ثم ما لبثت هذه العقبة أن تبددت حين تم توقيع الاتفاقيات السرية بين اليابان وبين كل من فرنسا وبريطانيا والتى استمر توقيعها من يناير إلى فبراير ١٩١٧ . وتعترف هاتان الدولتان بالمرامى والأهداف اليابانية بالنسبة للممتلكات الالمانية فى الصين . أما الولايات المتحدة فقد اعترفت هى الأخرى فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ بأن لليابان أن تتمتع « بحقوق خاصة » فى الصين - حقوق نابعة من « إعتبارات جغرافية » لذلك أمكن للصين أن تدخل الحرب العالمية الأولى فى أغسطس ١٩١٧[1] .

ثالثا : المعاهدة الصينية - اليابانية ١٩١٥

نود الإشارة إلى أن اليابان كانت قد طالبت بسرية هذه المطالب الواحد والعشرين عندما قدمتها للصين فى يناير ١٩١٥ . ولكن الصين سارعت إلى نشرها بأمل الحصول على التأييد الخارجى لرفضها لهذه المطالب . وأنكرت اليابان ذلك عند نشر هذه المطالب ، ولكنها عادت فاعترفت بتقديمها فى محاولة للتقليل من وقعها على الدول الأوروبية والولايات المتحدة . ولكن كافة الدول التى كان يرجى أن تقوم بمساعدة الصين فى محنتها كانت مشتبكة فى الحرب فيما عدا الولايات المتحدة . ولما أدركت الصين انعدام الامل فى حصولها على مساعدة خارجية أخذت تماطل فى قبول هذه المطالب حتى أرغمت أخيرا على التسليم بمطالب أقل وذلك بعد أن تلقت إنذارا نهائيا من اليابان بتاريخ ١٥ مايو ١٩١٥ .

وكان من نتيجة ذلك عقد سلسلة من الاتفاقيات بين الصين واليابان قبلت فيها الصين بالمطالب الواردة بالمجموعات الاربعة مضافا إليها القسم الخاص باستخدام رؤوس الأموال

(1) Wang, N.W. L'Asie Orientale de 1840 a nos jours p. 94 . .

اليابانية فى إقليم فوكين من المجموعة الخامسة . وفى مقابل ذلك قبلت اليابان إعادة كياوتشاو إلى الصين بعد الحرب على أن تصبح ميناء تجارية تحتفظ اليابان لنفسها فيه بامتيازات خاصة . يضاف إلى ذلك حصول اليابان على إمتيازات فى كل من منشوريا ومنغوليا ، وعلى مد أمد عقد استئجار بورت آرثر .

ولهذا كانت هذه الاتفاقيات التى توصلت إليها الصين واليابان فى ٢٤ مايو ١٩١٤ بمثابة حفظ لماء وجه الصين من ناحية ، ويعطى فرصا واسعة لإستغلال الصين من ناحية أخرى واضطرت دول الوفاق إلى الرضوخ والموافقة على هذه الاتفاقيات لإنشغالها فى ميادين الحرب فى أوروبا والشرق الأوسط بل لقد وعدت بريطانيا بأن تحصل اليابان على الجزر الواقعة تحت يد ألمانيا فى المحيط الهادىء(١) .

٤ - تسليم الحلفاء بمطالب اليابان

وعلى كل فإنه لمّا كانت الغواصات الالمانية تهدد الحلفاء تهديدا خطيرا ، فقد وافقت كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيا على أن تعترف جميعها بالمغانم الحربية اليابانية فى مؤتمر الصلح المرتقب بعد أن تضع الحرب أوزارها مقابل أن ترسل اليابان مدمراتها إلى البحر المتوسط لمساعدة الحلفاء . وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة حليفا لليابان حينما أعلنت اليابان الحرب على المانيا ، بادرت اليابان بإنتهاز هذه الفرصة للحصول على موافقة الولايات المتحدة على مغانمها الحربية فى الصين ، فأرسلت بعثة عسكرية إلى واشنطن استطاع رئيسها الكونت رايش أن يتبادل المذكرات مع وزير الخارجية الامريكى لانسنج تضمنت ما يلى :

أ - تأكيد الدولتين لسياسة الباب المفتوح وضمان سلامة الصين .

ب - اعتراف الولايات المتحدة بالعلاقات الخاصة بين اليابان والصين على أساس الجوار والتشابه العنصرى .

وقد نظرت الولايات المتحدة إلى هذا الاتفاق على أنه بمثابة تأكيد لسياسة الباب المفتوح فى حين أن اليابان نظرت إليه من زاوية أخرى هى إعتباره بمثابة تدعيم لمركزها فى الصين .

على أننا نود فى نهاية هذا الفصل أن نشير إلى أن المرامى اليابانية الكامنة وراء حضور وفدها إلى مؤتمر فرساى كان الحصول على الموافقة الرسمية على الممتلكات الالمانية السابقة فى الباسيفيك شمالى خط الاستواء ، وتأكيد وضع اليابان فى شانتونج ، الأمر الذى

---

(١) د. عبد العزيز سليمان نوار ، د. عبد المجيد النعنعى ، التاريخ المعاصر ، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .

كان يعنى أكثر من مجرد الاحلال اليابانى محل الألمان فى تسنجتاو ، وكذلك إدانة التمييز العنصرى فى وثيقة رسمية من وثائق عصبة الأمم .

وبخصوص المطلب الأول فقد تحقق من خلال حصول اليابان على صك انتداب لحكم جزر ماريانا ، وكارولينا ، ومارشال أما الهدف الثانى فقد تحقق هو الآخر بمقتضى الاتفاقات السرية خلال الحرب مع كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا على أن عدم الاتفاق حول شانتونج أسفر عن رحيل الوفد الصينى من باريس محتجا حتى قبل إنفضاض الجلسات وكان ذلك فى حقيقة الأمر سببا فى عدم تصديق الولايات المتحدة على معاهدة فرساى .

أما بالنسبة للمطلب الثالث فى مؤتمر باريس ، فإن الوفد اليابانى وجد نفسه أمام عدم موافقة البريطانية التى أبدت للوفد مخاوفها من أثر ذلك على الرعايا فى ممتلكاتها فيما وراء البحار ، وحتى الولايات المتحدة نفسها رغم عمق التزاماتها فى عهد الرئيس ولسون بمراعاة المثالية فى العلاقات الدولية فقد اكتفت بتجاهل هذا المطلب اليابانى . على أن الأهمية التى أولتها اليابان للإعتراف بمبدأ عدم التمييز العنصرى لم تلق قبولاً لدى القوى الأخرى المجتمعة فى فرساى والتى كانت تفضل النظر إلى المسائل العنصرية بأسلوب واقعى أى كلما اقتضت الظروف ذلك . وكان سعى الحكومة اليابانية إلى إدراج هذا الموضوع فى ميثاق العصبة من موقع الدفاع عن الذات فى المقام الأول . وكان رفض هذه المبادأة التى طرحها اليابانيون سببا فيما بعد فى الدعوة إلى تزكية المشاعر القومية الآسيوية ضد الغرب[1] .

---

(1) Giffard, S. op. cit. p.p 56 , 57 .

الفصل الثانى

دخول الصين الحرب العالمية الأولى

أولا : اثار الحرب الصينية - اليابانية الأولى ١٨٩٤ - ١٨٩٥

كان من أثر هزيمة الصين على يد اليابانيين عام ١٨٩٥ عدة تطورات زادت الأمور سوءا بالنسبة للصين ودفعت بها فى الفترة من ١٨٩٥ - ١٩١١ الى الثورة ولنعرض الآن إلى هذه التطورات :

١ - التدخل الاجنبى

لم يتأثر الشعب الصينى فى حقيقة الامر تأثراً واضحا نتيجة هزيمته على يد اليابانيين ، نظرا لان الحرب كانت محصورة فى دائرة ضيقة من ناحية كما ان الصينيين كانوا ينظرون اليها بمثابة معركة بين اليابانيين وبين حكام المانشو الذين كانوا فى نظر الشعب الصينى عنصرا أجنبيا عنهم . ولكن الطبقة المثقفة فى اوساط الشعب اعتبرت الهزيمة مهانة للصين وللكبرياء الصينى . لكن هذه الهزيمة تسببت فى نفس الوقت فى ازالة ما كان متبقيا لدى الاجانب من احترام لقوة الصين مما اغراهم على مزيد من التدخل فى شئونها ، والتهافت على تحقيق اهدافهم الاستعمارية فيها ، ولجأوا فى سبيل الوصول الى ذلك الى عدة وسائل اهمها :

١ - تقديم القروض للصين بطريقة تجلى فيها عنصر الضغط وبشروط تكفل للدائنين حق الاشراف والسيطرة على الاقتصاد الصينى .

٢ - الحصول على امتيازات اقتصادية قاصرة على الاستعماريين امثال مد الخطوط الحديدية ومشروعات التعدين .

٣ - سيطرة الاجانب على عدة مناطق اصطلح على تسميتها « مناطق المصالح » للاجانب شملت مساحات واسعة .

٤ - عقد اتفاقيات تتضمن عدم نقل ملكية اقاليم معينة الى دولة اجنبية ثالثة فى مواجهة احدى الدول .

٥ - تأجير اجزاء معينة من الاراضى الصينية لاستخدامها بمثابة قواعد بحرية .

وعقب انتهاء الحرب الصينية اليابانية ١٨٩٥ تألفت مجموعة من الدول اطلقت على نفسها اسم « اصدقاء الصين » مكونة من الفرنسيين ، والالمان ، والروس عملوا على اجبار اليابان كما رأينا على رد اقليم لياوتونج الى الصين . ولما عجزت الصين عن دفع الغرامة الحربية لليابان التى تضمنتها معاهدة شيمونوسيكى قدمت لها روسيا قرضا ، فسارعت فرنسا فى

المساهمة فى تقديم هذا القرض . ونتيجة لذلك تم تقديم قرض فرنسى – روسى قدره أربعمائة مليون فرنك فرنسى فى يوليو ١٨٩٥ . ثم قدم اتحاد مصرفى دولى مؤلف من بعض اصحاب المصالح الانجليزية والالمانية قرضين للصين فى مارس ١٨٩٥ ، ومارس ١٨٩٨ .

ب - عقد سلسلة اتفاقيات بين الصين والاجانب

كانت القروض فى حقيقة الامر هى المنفذ الذى دخلت عن طريقه الدول الاجنبية وتغلغل نفوذها فى الصين . ولكننا سوف نرى ان الامر سيتطور الى عقد عدد من الاتفاقيات الجديدة غير المتكافئة والتى يكون ابرامها ، وما تولد عنها من مشاعر لدى الشعب الصينى سبيلا لتمهيد الطريق نحو الثورة الصينية لعام ١٩١١ . وكانت سلسلة الاتفاقيات على النحو التالى :

١ - الاتفاقيات الصينية - الروسية ١٨٩٦

عمدت روسيا الى استغلال الثقة التى منحتها الصين اياها نتيجة الموقف الروسى الذى ساهم فى اجبار اليابان على التنازل عن « لياوتونج » فقامت روسيا فى عام ١٨٩٦ بانشاء مصرف روسى – صينى وانتهزت روسيا فرصة تتويج القيصر الروسى فى يونيو ١٨٩٦ لابرام معاهدة مع الصين مدتها خمسة عشر عاما تتضمن النقاط التالية :

أ – عقد تحالف عسكرى بين الصين وروسيا ضد اليابان .

ب – مد خط حديد سيبريا عبر منشوريا الى ميناء فيلاديفستك على ان توضع الخطوط تحت اشراف المصرف الروسى – الصينى .

جـ – انشاء مجموعة من الامتيازات التجارية والصناعية والتعدينية الواسعة ضمن نطاق مرور الخط الحديدى .

د – ان تكون الخطوط الحديدية مؤسسة روسية – صينية خالصة بحيث تصبح هذه الخطوط تلقائيا ملكا للصين بعد انقضاء ثمانين سنة ، على ان يكون باستطاعة الصين شراؤها بعد ٣٦ عاما اذا رغبت فى ذلك .

هـ – حصول الروس على حق استخدام بعض الموانى الصينية فى حالة نشوب حرب .

٢ - الاتفاقية الصينية - الالمانية ١٨٩٨

اما المانيا فانها تدخلت كذلك الى جانب الروس والفرنسيين لمساعدة الصين عام ١٨٩٥ عقب الحرب الصينية – اليابانية ضمن من اطلقوا على انفسهم اسم « اصدقاء الصين » وكان لالمانيا هى الاخرى مطمعها فى الصين ، فانتهزت فرصة مقتل اثنين من اليسوعيين الالمان فى شانتونج عام ١٨٩٧ كذريعة للحصول على مآربها . وبعد ان وجهت انذارات نهائية الى الصين تمكنت فى ٦ مارس ١٨٩٨ من عقد اتفاقية تحقق لها الحصول على ما يلى :

– استئجار ميناء تسنجتاو والاراضى المحيطة بخليج كياوتشاو لتكون بمثابة قاعدة بحرية للالمان .
ب – ترك منطقة محايدة على امتداد ٥٠ كيلو مترا خلف هذه المنطقة المستأجرة لكى تكون تحت الاشراف الالمانى .
جـ – حصول المانيا على امتيازات للتعدين والسكك الحديدية فى اقليم شانتونج .

٢ - الاتفاقيات الصينية - الفرنسية ١٨٩٨

كذلك فان فرنسا كانت تشكل الضلع الثالث من مجموعة اصدقاء الصين التى قامت بحمل اليابان على تسليم اقليم لياوتونج للصين ، ومن ثم فقد قامت بعقد مجموعة من الاتفاقيات كفلت لها الحصول على ما يلى :

– الحصول على امتيازات واسعة للتعدين وانشاء الخطوط الحديدية فى اقليمى كوانجسى ويونان .
ب – الحصول على منطقة مصالح فرنسية وتعهدات بعدم نقل الملكية بالنسبة لمنطقة هاينان والمقاطعات الصينية المتأخمة للهند الصينية .
جـ – عقد استئجار منطقة كوانجشو لمدة ٩٩ عاما لتستخدم كقاعدة بحرية للفرنسيين .
د – موافقة الصين على استخدام مستشارين فرنسيين لادارة البريد الصينى .
هـ – اجراء تعديلات فى الحدود بين الصين وتونكين لصالح فرنسا [١] .

٣ - الاتفاقيات الصينية - البريطانية ١٨٩٨

لم تكن بريطانيا ضمن الثالوث الذى اطلق عليه اسم أصدقاء الصين ، ولكن بريطانيا سبق لها الحصول على قاعدة هونج كونج لحماية تجارتها الواسعة فى المنطقة . ولكنها رأت الدول الاخرى قد حصلت على هذه الامتيازات الواسعة ، فعمدت الى انتزاع جانب من الغنيمة ، وقامت بعقد مجموعة من الاتفاقيات قبل حلول شهر يوليو ١٨٥٨ تضمنت ما يلى :

– توسيع نطاق المنطقة المؤجرة لبريطانيا فى شبه جزيرة كولون المجاورة لجزيرة هونج كونج .
ب – الحصول على اتفاق بعدم نقل الملكية ، وعلى منطقة للمصالح البريطانية فى وادى نهر اليانجستى .
جـ – استئجار « واى هاى واى » لتكون بمثابة قاعدة بحرية للبريطانيين ما دامت روسيا محتفظة بميناء بورت ارثر .

---

(١) بين تشستر : المصر السابق ص ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

د - الحصول على تأكيدات من الصين بتعيين احد الرعايا البريطانيين فى منصب مفتش عام الجمارك ما دامت التجارة البريطانية هى الاكثر انتشارا فى الصين .
هـ - تعديل الحدود بين الصين وبورما لصالح بريطانيا .

نلاحظ ان اليابان عمدت على اقتفاء اثر الدول الاوروبية فى المطالبة باتفاقيات خاصة بعدم نقل الملكية شملت اقليم فوكين الواقع على الساحل الصينى المواجه لفرموزا . وهكذا تهافتت الدول الاوروبية ومعها اليابان لتجعل من الصين شبه مستعمرة . وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير كما يقولون هى قيام ايطاليا بالمطالبة بأراض صينية فرفضت الصين تلك المطالب رفضا كان الاول من نوعه بالنسبة للصين .

جـ - الولايات المتحدة وسياسة الباب المفتوح : (Open door)

لم تشأ الولايات المتحدة الحصول على امتيازات خاصة بها فى الصين ، ولكنها تشبثت من ناحية اخرى بحق الدولة الاولى بالرعاية ، اذ انها باستيلائها على جزر الفلبين عام ١٨٩٨ لم تعد تشعر بحاجتها الى التسابق للحصول على اراض فى الصين . ونلاحظ ان حرب البوير التى خاضتها بريطانيا فى الجنوب الافريقى كانت قد عملت على اضعاف مركز بريطانيا فى الصين ، لذلك نجدها قد اقترحت على الولايات المتحدة ان تتزعم حركة اقناع الدول الكبرى باتباع سياسة الباب المفتوح فى تجارتها مع الصين بما يعنى المبادىء التالية :

١ - الا تحاول اى دولة التدخل فى الصين بصورة تمس المعاهدات المتعلقة بالموانىء أو المصالح الاجنبية القائمة بالفعل داخل مناطق المصالح أو الاراضى الصينية المستأجرة .
٢ - ان تتم جباية الرسوم الجمركية الصينية التى نصت عليها المعاهدات على بضائع كافة الدول على قدم المساواة ، دون اعتبار لمناطق المصالح أو الاراضى المستأجرة .
٣ - الا يكون هناك اى تمييز فى المعاملة سواء كان ذلك فى المناطق المستأجرة ام فى مناطق المصالح فيما يتعلق برسوم الميناء أو فئات اجور شحن البضائع .

د - حركة الملاكمين (Boxers)

لو نظرنا الى الصين فى تلك الاونة لوجدناها قد خسرت اجزاء هامة من اراضيها فى الفترة الممتدة من ١٨٩٦ - ١٨٩٨ ، فاذا اضفنا الى ذلك ما لحقها من هزيمة على يد اليابانيين فى عامى ١٨٩٤ ، ١٩٨٥ لادركنا مدى الجرح الذى اصاب مشاعر الصينيين . ويهمنا الان ان نتوقف قليلا امام رد فعل الشعب الصينى تجاه هذه الكوارث القومية .

وحين دخل الحلفاء بكين منتصرين فى نهاية ما سمى بحرب الافيون الثانية ١٨٦٠ فر الامبراطور الشاب « شيان منج » الى منطقة جيهول حيث توفى هناك تاركا العرش لابنه البالغ من العمر خمس سنوات واستولت زوجة الامبراطور الثانية - ام ذلك الغلام - على مقاليد الحكم وتسمت باسم « تزو - هسى » واشتهرت باسم الامبراطورة الوالدة ، وحكمت الصين حكما صارما دام جيلا كاملاً(١) .

وظلت الامبراطورة الوالدة (تزو - هسى) تسيطر على سياسة الصين منذ عام ١٨٦٠ آخذة بسياسة مشورة ذوى النزعات المحافظة من اتباعها وكان من بينهم من ينادى بالابقاء على الاوضاع الراهنة مع طلب العون من الروس . وكان ذلك الوضع أوضح ما يكون بالنسبة للمناطق الشمالية من الصين ، اما فى الجنوب فقد تزعم الدكتور صن - يات - صن Sun-Yat-Sen مجموعة من دعاة الاصلاح ثم قام بثورة قصيرة النفس فى كانتون عام ١٨٩٥ ، وعمد بعد ذلك الى تنظيم جماعات ثورية تقيم فى خارج الصين . ومن سوء حظ الصين ان غالبية هؤلاء المصلحين كانت تعوزهم الخبرة .

على ان انتصار اليابان على الصين فى عام ١٨٩٥ من ناحية ، ومسارعة الدول الغربية الى اقتطاع اجزاء من الصين من ناحية اخرى تسبب فى قيام تيار يدعو الى المطالبة بقيام الصين باحتذاء حذو اليابان ، بالاخذ باساليب الدول الغربية ، وانشاء المصانع . وقاومت الامبراطورة الوالدة هذه التيارات وفى نفس الوقت اخذت تتشدد فى معارضة طلبات الاجانب، وكان ذلك الوقت هو الوقت الذى رفضت فيه مطالب ايطاليا كما سبق ان اشرنا . واصبح دعاة المحافظة على الاوضاع القائمة أو « الرجعيون » فى تلك الاونة هم اصحاب السلطة التامة . وقد زاد من حماسهم والهب مشاعرهم ظهور حركات معادية للاجانب تمركز نشاطها فى شمال الصين ، وقد مهد كثير من المسؤولين الصينيين الجو المناسب لاثارة السخط السياسى والاجتماعى والاقتصادى ضد الاجانب ، فتألفت جمعيات سرية مناهضة لهم تحظى بمباركة ذوى النزعات المحافظة من رجال البلاط الامبراطورى وانخرط هؤلاء فى ميليشيات » الهدف منها مكافحة الوجود الاجنبى على أرض الصين ، وكان فى مقدمة هذه الجمعيات جمعية اطلق عليها « يى - هو - كيوان » (Yi-Ho-Kiuan) ومعناها « قبضة الوئام والصواب » وهى التى اطلق عليها اسم حركة الملاكمين ، ولم يكن الامر يتعلق بفن الملاكمة من قريب أو بعيد وانما هم اعضاء الجماعة الانتقامية والذين سبق لهم أن قاموا باغتيال اثنين من رجال التبشير الالمان فى شانتونج عام ١٨٩٧ كما سبق ان اشرنا ولذلك فان عملياتهم الاولى بدأت فى مقاطعة شانتونج . وتم تعيين يوان شيه كاى حاكما على هذه

---

(١) ديورانت ، ول : المصدر السابق ص ص ٢٩٢ ، ٢٩٦ .

المقاطعة للعمل على استتباب الامن فيها . ومن المحتمل ان يكون ذلك هو سبب عدم انتشار هذه الحركة فى الصين بكاملها كما حدث بالنسبة لفتنة التايبنج[1] . وكان لهذه الميليشيات شعارات خاصة صارت تنتشر أصداؤها بين العامة من بينها ان السماء غاضبة على الاجانب وعلى كافة ما يصدر منهم من افعال ، وخصوصا من عقيدتهم المسيحية ، وان رسالة هذه الميليشيات هى تطهير الصين من هذه الشرور[2] . ولقد كانت الحكومة الصينية تغمض الطرف على اعمال الملاكمين - الامر الذى شجعهم على مهاجمة الاجانب ، واتلاف ممتلكاتهم.

ولم يحل عام ١٩٠٠ حتى كان عدد كبير من المسيحين الصينيين ومن الاجانب بوجه عام قد لقوا مصرعهم فى شمال الصين . وفى أول يوليو ١٩٠٠ تم تعزيز الوحدات العسكرية التى تقوم بحراسة المفوضيات الاجنبية فى بكين .

ولقد نظر افراد جماعة الملاكمين الى هذه التعزيزات على انها بمثابة مقدمة لغزو اجنبى جديد ولذلك فانه بعد انقضاء ثلاثة ايام من وصول هذه التعزيزات قام الملاكمون بتدمير الخط الحديدى الذى يربط بكين بمينة تيان - تسن ولما بدأت القوات البحرية الاجنبية يوم ١١ يونيو ١٩٠٠ بارسال امدادتها الى بكين بقيادة الادميرال البريطانى سيمور ، اعلن البلاط الامبراطورى وجماعة الملاكمين الحرب السافرة على جميع الاجانب الموجودين فى الصين .

وقد تمكنت الصين فى حقيقة الامر من الحاق الهزيمة بحملة سيمور البحرية واجبرتها على التقهقر ، فقامت حملة بحرية اخرى اكثر قوة بنسف حصن تاكو الشهير ، لذلك عمد الصينيون الى الانتقام لانفسهم بمهاجمة المفوضيات الاجنبية فى بكين ، واصدرت الامبراطورة « تزو - هسى » اوامرها فى ٢٢ يونيو بابادة جميع الاجانب داخل الصين فعمدت الدول الاحنبية الى محاولة الايحاء بجعل النزاع محليا وذلك بالاعلان بان هذه القوات لم تأت لتحارب الصينيين انما لتحارب الملاكمين فقط ، وانها بذلك تحاول مساعدة الصين فى القضاء على هذه الفتنة الداخلية .

غير ان الولايات المتحدة ازاء هذا الوضع المتدهور من جهة واصرارها على استمرار انتهاج سياسة الباب المفتوح من جهة اخرى خشيت ان يكون تدخل الدول الاجنبية فى ذلك الطرف بمثابة تمهيد لمطالبة الصين باراض جديدة . لذلك سارعت بارسال مذكرات متماثلة المضمون الى هذه الدول أوضحت فيها من جديد خطوط سياستها ازاء الصين والتى تتخلص

---

(1) Grousset, R. La face de l'Asie. P. 377.
(2) Warner, M. The Dragon Empress P. 212

فيما يلى :

١ – المحافظة على سلامة اراضى الصين وعلى حكومتها .

٢ – استمرار العمل بسياسة الباب المفتوح .

اتفاقية الملاكمين ١٩٥١

فى ١٤ اغسطس ١٩٠١ رفعت القوات الاجنبية الحصار الذى كانت قد ضربته حول مفوضيات بلادها فى بكين وهرب رجال البلاط الامبراطورى الى اقليم شانسى . وتم فرض السلام مرة اخرى على الصين فى ظل اتفاقية اطلق عليها اتفاقية الملاكمين تضمنت المطالب التالية من حكومة المانشو :

١ – قيام الصين بتقديم اعتذار رسمى لكل من اليابان والمانيا عن مقتل ممثليها الدبلوماسيين فى حوادث الشغب .

٢ – انزال العقاب بالمسؤلين الصينيين عن هذا الحادث .

٣ – وقف نظام الاختبارات المدنية للصينيين وذلك فى المدن التى تمت فيها مهاجمة الاجانب(١).

٤ – تقوم الصين بدفع غرامة قدرها ٣٣٣ مليون دولار .

٥ – هدم حصن تاكو، ووقف استيراد الاسلحة لمدة عامين .

٦ – انشاء وزارة للخارجية الصينية .

٧ – إعادة النظر فى المعاهدات التجارية ورفع نسبة الرسوم الجمركية ٥ ٪

٨ – اقامة تمثال ينم عن التوبة فى المكان الذى لقى فيه حتفه البارون الالمانى كتلر(٢) .

ثانيا : برامج حكومة المانشو للاصلاح (١٩٠٢ - ١٩١١)

لقد حدث تطور فى موقف الامبراطورة تزو – هسى بعد ظهور حركة الملاكمين واصبحت على اقتناع كامل بحتمية التغيير فقامت بتبنى حركة اصلاحية كان من اهمها اقامة

---

(١) كانت الوظائف الحكومية فى الصين يجرى شغلها عن طريق مسابقات غاية فى الغرابة ، اذ كانت تخصص فى المدن الكبرى ابنية ضخمة تحتوى كل واحدة منها على بضعة آلاف من الغرف الصغيرة المظلمة يفد اليها كل من آنس فى نفسه القدرة على التقدم لهذا الاختبار العسير ، وكانت العادة ان يحمل كل طالب معه ما يحتاج اليه من زاد وماء وشموع وادوات كتابية وما الى ذلك مما تتطلبه الاقامة الطويلة فى تلك الخلايا وقد يمضى الطالب فى هذا السجن الرهيب بضعة اسابيع متواصلة يقوم خلالها بتحرير الرسالة المطلوبة منه وهى عادة تتصل بموضوعات فى الادب والتاريخ والفلسفة القديمة . ومن عجب ان بعض الطلاب الذين كانوا يتقدمون لهذا الامتحان الشاق كانوا يناهزون الثمانين أو التسعين من عمرهم ولم يتم الغاء هذه الاختبارات نهائيا من الصين الا فى عام ١٩٠٥ .

(2) Grousset, R. Op. cit. P. 378 .

مساواة اجتماعية بين عنصر المانشو وبين الصينيين عن طريق اباحة التزاوج بين العنصرين ، اما بقية الاصلاحات الاخرى فكانت تهدف الى رفع مستوى التعليم ، وتنظيم الجيش والبحرية واصلاح النظام القضائى .

فبالنسبة للتعليم تم تطبيق برنامج لعام ١٩٠١ يتضمن ارسال عدد من فتيان المانشو الى اوروبا للتزود بعلوم الغرب ، كما تم إنشاء وزارة للمعارف . وفى عام ١٩٠٤ صدر برنامج تعليمى شامل فى كافة المقاطعات على النسق الاوروبى ابتداء من رياض الاطفال وحتى الكليات والجامعات . وكذلك تم انشا جامعة بكين . وكان البرنامج التعليمى يهدف الى رفع نسبة المتعلمين الى ٥ ٪ فى عام ١٩١٧ . ولكن النتائج التى امكن التوصل اليها كانت هزيلة جدا بالنظر الى ان موظفى الاقاليم المسؤلين عن تنفيذ هذه البرامج كانوا يجهلون علوم الغرب ونظم التعليم من ناحية بالاضافة الى عدم تحمسهم من ناحية اخرى .

اما بالنسة للجيش والاسطول فقد كانت القوات العسكرية الصينية فيما قبل عام ١٩٠٥ تتألف من الجيوش التى تحمل علم المانشو فى المدن الرئيسية بالاضافة الى قوات العلم الاخضر المستقلة والتى يشرف عليها حكام الاقاليم . وكانت الاسلحة عتيقة وقد وضع مشروع لانشاء جيش وطنى حديث على اساس التجنيد الاجبارى . اما بالنسبة للاسطول البحرى الصينى فقد سبق ان دمرته فرنسا فى جنوب تونكين . وعلى الرغم من ان الاسطول الصينى الحديث الذى تم انشاؤه عام ١٨٩٤ كان متفوقا فى تجهيزه على الاسطول اليابانى الا ان نقص السلطة المركزية التى تتولى الاشراف عليه وتحريكه من جهة وقلة الخبرة الفنية والتدريب الحديث من ناحية اخرى ادى الى تدميره فى الحرب الصينية – اليابانية . وعلى كل فانه تم فى عام ١٩٠٧ انشاء وزارة للبحرية الصينية بهدف تحقيق الاشراف المركزى على الاسطول وتحديثه . بيد ان المعارضة الاقليمية تسببت فى احباط كل جهود ترمى الى الاصلاح .

وعلى صعيد الاصلاحات السياسية نجد ان حكومة الصين قد تعهدت فى مرسوم الاصلاح الصادر فى عام ١٩٠١ بانتهاج افضل نظم الحكم واساليبه المتبعة فى الدول الاجنبية ولقد كان ماثلا امام اعين الصينين ان الدول الحديثة الكبرى – فيما خلا روسيا – تأخذ بالنظم الدستورية . وان روسيا قد لحقت بها الهزيمة عام ١٩٠٥ على يد اليابانيين ، حين اتخذ اليابانيون لانفسهم نظاما دستوريا ، لذلك فان الصين قامت بارسال بعثة الى الخارج لدراسة نظام الحكومات النيابية ، وقد وقع اختيارها على الدستور اليابانى الذى كان فى حقيقة امره صورة معدلة تعديلا طفيفا من الدستور الالمانى .

وفى عام ١٩٠٧ صدر الدستور الصينى المؤقت متضمنا برنامجا شاملا لاصلاح الجهاز الحكومى على مدى تسع سنوات على اساس ان يجرى تنظيم المجالس التشريعية الاقليمية فى العامين الاولين ، وفى عام ١٩١٠ تنعقد الجمعية الوطنية فى بكين ثم يعقب ذلك صدور الدستور الدائم عام ١٩١٧ ليجتمع البرلمانى الصينى بعد ذلك .

ولقد كان من المأمول ان تمضى برامج السنوات التسع الاصلاحية فى طريق التنفيذ لولا وفاة الامبراطورة الحاكمة تزو – هسى بعد انقضاء ثلاثة اشهر فقط من صدور مرسوم السنوات التسع الاصلاحية عام ١٩٠١ ، فحال ذلك دون تنفيذها مما مهد السبيل لاندلاع الثورة وظهور زعامة صن – يات – صن .

ثالثا : الثورة الصينية لعام ١٩١١

أ – بداية النهاية لامبراطورية المانشو

يذهب بعض المؤرخين الى اعتبار عام ١٨٩٧ كنقطة بداية لدراسة تاريخ « الصين الحديثة » حيث تمت فى هذا العام المحاولات الاولى للاصلاح ، تلك التى منيت بالفشل ومهدت ،بالتالى للاطاحة بحكم اسرة المانشو فى ثورة عام ١٩١١ . وفى هذا العام كان الامبراطور « كوانج – سو » هو الذى يتولى مقاليد الحكم ، ولكن الامبراطورة المسنة تزو – هسى تمكنت من تنحيته جانبا ، واخذت هى بمقاليد السلطة . وكان كوانج سو رجلا ذكيا متفتح الذهن على الحضارة والقيم الغربية . وكانت معاهدة شيمونوسيكى (١٨٩٥) التى ابرمتها الصين عقب هزيمتها على يد اليابان قد انتجت اثارها .

ولقد صح عزم كوانج – سو على تجديد نظام الحكم البالى الذى أنشأته اسرة المانشو لذلك استدعى شخصا مثقفا مشهورا بسعة الافق يدعى « كانج – يو » الذى كان قد الف كتابا عن تحول روسيا على يد بطرس الاكبَر ، كما الف كتابا اخر عن اليابان الحديثة . لذلك فان كوانج – سو يعتبر مجددا بالنسبة لعصره ، وكان يعتبر بمثابة اكبر حكماء الصين الحديثة .

ولقد شرع كوانج – سو ومعه مستشاره المتفتح كانج – يو فى اعداد برنامج اصلاحى من اجل اعادة تنظيم الجيش ، وتطوير نظم التعليم والزراعة واصلاح السكك الحديدية . ولكن لسوء حظ الصين ان كوانج – سو لم يكن تتوافر له قوة الشخصية لتنفيذ مثل هذه البرامج فقد شعرت فئة المانشو بالخطر يتهدد حياتها وخشيت هذا التيار الذى يهدد لا محالة ما تنعم به هذه الفئة من امتيازات ، ووجدت فى شخصية تزو – هسى الاداة المطلوبة للاطاحة

بالامبراطور المصلح . وسرعان ما تم حبك مؤامرة فى شهر سبتمبر ١٨٩٨ – فى نفس السنة التى بدأت فيها مشروعات الاصلاح ، وانتهت هذه المؤامرة الى تقديم كوانج – سو تنازله عن العرش . وبهذه الكيفية عادت السلطة الى مجموعة المحافظين من اسرة المانشو ، وسرعان ما تم الغاء كافة القرارات الاصلاحية ، وقام تيار لدعاة الاصلاح والتجديد والانفتاح نحو الغرب، وانتشر انشاء الجماعات السرية التى كان ابرزها حركة الملاكيمين كما اشرنا من قبل .

غير ان قيام الحرب اليابانية – الروسية (١٩٠٤ – ١٩٠٥) كان لها انعكاس واضح على تصرفات الملكة الوالدة تزو – هسى ، فعلى الرغم من ان الصين لم تكن دولة مشاركة فى هذه الحرب التى هزمت فيها روسيا ، فانها – اى الصين – دفعت ثمن هذه الحرب من اراضيها حيث كان النزاع بين الدولتين المتحاربتين على منشوريا التى كانت جزءا من الاراضى الصينية . ولما استولت اليابان على منشوريا لم تعمل على اعادتها الى الوطن الام – الى الصين .

لذلك وجدت تزو – هسى الا سبيل لتخفيف هذه الكارثة سوى تجديد نظام حكمها العتيق ، ولجأت فى ذلك الى رجلين تميزا بحبهما التجديد هما : تشانج – تشى – تونج ، ويوان شيه كاى . ولقد لعب يوان شيه كاى دورا بارزا فى السياسة الداخلية للصين ، فقد كان على وعى بالدساتير الأوروبية والدستور الامريكى . ولكن كان على يوان شيه كاى ان يجابه طبقات المانشو المعادية لكافة نواحى الاصلاح . وهانحن قد رأينا ان الامبراطورة نفسها كانت مدفوعة مؤخرا للاصلاح رغبة منها فى انقاذ العرش بعد ضياع منشوريا وحدثت مصادفات عديدة اسفرت فى سبتمبر ١٩٠٧ عن قيام الحكومة بانشاء « مجلس للرقابة الادارية والدستور » للاعداد لاصدار دستور صينى . وتم بعد ذلك انشاء مجلس محلى لكل مقاطعه وفى ٢٧ اغسطس ١٩٠٨ اعلن المجلس المذكور عن اعداد دستور صينى وعقد جمعية وطنية سرعان ما تبين ان ذلك كان من قبيل المناورة حيث لم ينفذ من ذلك شىء .

ولما توفيت الامبراطورة تزو – هسى عام ١٩٠٨ تولى من بعدها مقاليد الحكم طفل عمرة ثلاث سنوات هو « بو – يى » (Pou-yi) . ولما كان الطفل لا يزال قاصرا فقد تولى الامر عنه بعض الامراء الذى كان يمقت التجديد مقتا شديدا واحاط نفسه بكافة عناصر المانشو الرجعية والمحافظة مما أدى إلى الإطاحة بكافة المشروعات الاصلاحية التى كان يرجى منها الخير . وعلى الرغم من انه قد تم اجراء الانتخابات المحلية فى ٤ اكتوبر ١٩٠٩ فان اعمال هذه المجالس اقتصرت على بحث بعض المشكلات الداخلية . وفى يناير ١٩١٠ ذهب وفد مؤلف من ٤٥ عضوا من المجالس المحلية يمثل اثنى عشر محافظة الى بكين مطالبا الامبراطور بعقد جمعية وطنية لعلها تنقذ البلاد مما ترنحت فيه من ضعف وسوء إدارة . وصمم مندوبو المقاطعات هؤلاء ألا يغادروا بكين إلا بعد أن تجتمع الجمعية الإستشارية التى

نص عليها القرار الصار فى ٢٩ سبتمبر ١٩٠٧م(١) .

وقد اجتمعت هذه الجمعية فى بكين يوم ٣ اكتوبر ١٩١٠ ولكنها كانت نسخة مكررة من المجالس المحلية اى لم يكن لها صلاحية دراسة الميزانية والاصلاحات الادارية . وسرعان ما انضم اعضاء الجمعية الاستشارية لمندوبى المجالس المحلية ليشكلوا معا ما سمى بجمعية « ممثلى الشعب لاصدار الدستور » ولما وجد الوصى على العرش نفسه حائراً بين عشيرته من اسرة المانشو ، وبين تذمر ممثلى الشعب ، عمد الى المماطلة والتأرجح مع هذا الفريق تارة ومع ذلك الفريق تارة أخرى واعلن فى نهاية الامر ان من يعارض النظام الداخلى أو الخارجى القائم خلال جلسات الجمعية الاستشارية القادمة سوف يجرى اعتباره متمردا ويستحق انزال العقاب به وكانت هذه التدابير سبيلا الى تفاقم حدة التذمر فى اوساط الرأى العام واصبح حتى من ينادون بالتغيير فى نظام الحكم ثوارا على النظام باسره مناهضين لحكم اسرة المانشو .

ب - جذور الثورة

لقد كان فشل البرنامج الاصلاحى اذن سبيلا الى ان تنظر فئة معينة من فئات المجتمع الصينى الى ان الرجال القائمين على الحكم فى حد ذاتهم يمثلون العقبة الاساسية فى طريق تنفيذ هذا البرنامج ، ومن ثم وجب ازاحتهم من الطريق ونشأ بالتوازى مع حركة الاصلاح تيار ثورى واع خلال التسعينات من القرن التاسع عشر وكان هذا التيار يرتكز فى حقيقة أمره على عناصر إجتماعية جدية ظهرت فى المجتمع الصينى . وهذه العناصر تمثلت فى البورجوازية الوليدة التى نشأت نتيجة الانفتاح الصينى على الاجانب خلال النصف الثانى من ذلك القرن .

وكان الشعور الوطنى لدى هذه الطبقة يمتزج مع مصالح معينة تهم هذه الطبقة اكثر من غيرها من طبقات المجتمع الصينى آنذاك . هذه المصالح تجسدت فى التواجد الرأسمالى الاجنبى فى الصين الذى عاق تطوره كما أسلفنا وجود طبقة غير متطورة فى النظام الحاكم . لذا نجد ان هذه البورجوازية الصينية قد اصبح يحدوها الامل فى وجود نظام حكم آخر يفسح لها المجال لاستغلال اسواق الصين واصبح الوضع متناقضا غريبا بالنسبة لهذه الطبقة . فهذه البورجوازية فى جانب كبير منها كانت هى ذاتها وليدة التوغل الاستعمارى فى الصين كما انها تتألف من عدد ضخم من الوسطاء . وهى تعتمد فى ذات الوقت على الاجانب فنيا ورأسماليا ، ومع ذلك فان هذه الطبقة قدر لها ان تتلقى الثورة وان تعمل على

---

(1) Dubarbier, G. La Chine Moderne. PP. 771,772

نشرها . واكثر من ذلك انها كانت تجد لها صدى لدى البورجوازية الاجنبية القائمة فى المستعمرات المنتشرة فى المحيط الهادئء . فقد كانت كل من مستعمرة « ماليزيا » والفلبين ويوكوهاما وهاواى ، ثم بعد ذلك الولايات المتحدة يمدون يد العون المالى للثوار .

ومن جهة أخرى فان الثورة وجدت لها زادا جديدا فى الاوساط العسكرية ولعلنا نذكر مكافحة ثورة « التايبنج » التى استدعى قيامها تسليح الجيش الصينى ودبت فيه روح جديدة ونشأت فيه طبقة من الفنيين والمتخصصين خصوصا فى أوساط الضباط الشبان . كل هذا مهد السبيل لظهور شخصية صن – يات – صن[1] وحركته التى بدأت من كانتون فى الجنوب حيث التقى صن بعدد من رفقاء السلاح واصدر برنامجه الاول حسب تصوراته لمستقبل الصين ثم قام بتشكيل أول مجموعة عمل بينهم . وفى نهاية عام ١٨٩٤ كان الدكتور صن فى هانوى حيث أنشأ من هناك جماعة اطلق عليها اسم جماعة « نهضة الصين » وكان يجرى جمع الأموال لصالح الحركة الثورية فى الصين . (Societé Poure Le Renouveau de la Chine) وكان يجرى جمع الأموال لصالح الحركة الثورية فى الصين . ثم اتخذت هذه الجمعية مقرا لها فى هونج كونج .

وظهرت فى تلك الآونة أول حركة بقصد الاستيلاء على كانتون ، لكن الحركة باءت بالفشل ، فصدر الحكم باعدام الدكتور صن . لكن ذلك كان سببا فى ذيوع شهرته فى ارجاء الصين . ولاذ صن بالهرب الى اليابان ومنها اتجه نحو أوروبا ، ثم إلى الولايات المتحدة ، ثم استقر به المقام فى عام ١٨٩٩ فى يوكوهاما وما لبثت الثورة التى تزعمها صن ان إتسع نطاقها . ومظهر ذلك انه خلال عامى ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ شهدت مدينة شنغهاى ظهور ما يزيد على ١٠٠ كتاب وصحيفة تدعو الى قيام الثورة . وكان الطلبة الصينيون الذين يقيمون فى اليابان قد نظموا انفسهم فى رابطة ثورية قوية .

لقد كانت هزيمة الروس على يد اليابانيين عام ١٩٠٥ حدثا غير عادى بالنسبة لآسيا كلها ، اذ اثار ذلك النعرة القومية الاسيوية ، وانعكست اثار الانتصار اليابانى على الثورة الصينية وشدت من ازرها . ففى كل من طوكيو ويوكوهاما نشأت جيوب قوية لتأييد الثورة متمثلة فى تركز أعداد ضخمة من طلاب العلم الصينيين . وفى طوكيو على وجه الخصوص

---

(١) ولد صن – يات صن فى أحد الاماكن القريبة من مدينة كانتون وتعلم فى إحدى مدارس الارساليات ، ثم التحق بمدرسة الطب فى هونج كونج وتلقى دراسات واسعة فى العلوم الاجتماعية والسياسية والعسكرية عن طريق المكتبات العامة فى مختلف أنحاء العالم وقد بدأ صن بحركة وطنية لمعارضة حكومة المانشو ثم اتجه فى تفكيره السياسى اتجاها يساريا واصبح جمهورى الاتجاه يعتنق الفكر الاشتراكى .

وبتوجيهات من الدكتور صن تمكنت عدة فئات من طلاب العلم الصينيين من تشكيل حركة توحد شملهم جميعا تدعى رابطة القسم (La ligue de jurée) وكان ذلك فى شهر سبتمبر ١٩٠٥(١) .

جـ - اندلاع ثورة اكتوبر ١٩١١

كان الدكتور صن قد تمكن فى عام ١٩٠٥ من انشاء هيئة اطلق عليها اسم « هيئة التحالف المشترك » لكى تتزعم ما صار بعد ذلك ثورة ١٩١١ وكان ابرز اهداف هذه الهيئة طرد المانشو (Chasser les Tartares) ، واقامة جمهورية صينية واعادة توزيع الاراضـى .
وكـان فى تصوره أن تنفيذ هذه الاهداف ينبغى أن يتم على مراحل ثلاثة كما يلى :

أ - المرحلة الاولى

وهى فترة يسود فيها الحكم العسكرى الذى يحقق الاطاحة بعنصر المانشو .

ب - المرحلة الثانية

وهى فترة يتم خلالها تلقين الشعب الصينى مبادىء الديمقراطية ونظم الحكم الدستورى

جـ - المرحلة الثالثة

وهى المرحلة التى يتم فيها اقامة الحكومة الدستورية بالفعل .

ولقد حدد صن مبادىء الثورة فى الشعارات الثلاثة التى اطلق عليها شعارات الشعب الثلاث وهى : القومية ، والديمقراطية ، والاشتراكية ، وكانت جمعية « القسم » قد استطاعت منذ عام ١٩٠٦ ان تضم الى صفوفها عدة الاف من المشتركين فى عضويتها حتى انه لم تعد هناك اية مقاطعة من مقاطعات الصين تخلو من ممثلين لهذه الجمعية وبخاصة فى أوساط الطلبة العائدين الى بلادهم والذين كانوا فى اغلب الاحوال لا يجدون وظائف تتناسب مع ما أكتسبوه من مؤهلات علمية فى الخارج . وكذلك الحال بالنسبة للهيآت السرية التى امتد نشاطها وكان اهم هذه المنظمات منظمة اطلق عليها اسم « الثالوث » (Triade) ثم ما لبثت الثورة تنتشر بسرعة فى أوساط الضباط الشبان فى الجيش .

وصار الجو مهيأ تماما لاندلاع الثورة . والحقيقة انه كانت هناك محاولات عديدة للثورة فى كل من اقليم شانسى عام ١٩٠٥ ، وفى اقليم جوانتونج عام ١٩٠٧ وغير ذلك من المقاطعات . ولكن يلاحظ على هذه الانتفاضات انها لم تكن تتمتع باى قدر معقول من درجات التنسيق . وتجدر الاشارة هنا إلى أن الدكتور صين الذى حرمت عليه الاقامة فى اليابان ، ثم

(1) Wang. N.P. Op. cit. PP. 39, 40.

حرمت عليه الاقامة فى هانوى تحت ضغط حكومة المانشو الامبراطورية قد عاد مرة أخرى الى حياته المتنقلة من مكان الى آخر .

د - صحوة المانشو الاخيرة قبيل الثورة

ولعله من المناسب قبل ان نعرض للحادثة التى اشعلت الثورة بطريقة مباشرة ان نشير الى ان حكام المانشو بعد اختفاء الامبراطورة تزو – هسى من مسرح الاحداث بوفاتها ، كان آخر امبراطور من اسرة المانشو هو طفل اسمه بو – يى (Pou-yi) وبرز فى عهده القصير عدد من الرجال الذين شرعوا فى عجلة من امرهم فى القيام بمشروعات ترمى الى « تحديث » البلاد واصلاحها كان ابرزهم يوان شيه كاى (Yuan-Shi-Kai) . ولقد قام هؤلاء بمحاولات منها « تحديث » نظام الامتحانات وانشاء جامعة بكين عام ١٩٠٦ كما عملوا على فصل الجهاز القضائى عن الادارة الحكومية وأنشأوا الوزارات المختلفة – مقتبسين فى ذلك احدث النظم ، بل ان يوان شيه كاى قام بانشاء جيش حديث على النمط الالمانى الى غير ذلك من الاصلاحات التى اخذت طابع التسرع .

ثم بعد ذلك اتجه نظام الحكم الامبراطورى نحو صيغة دستورية فى عام ١٩٠٦ ثم إتجه النظام فى عام ١٩٠٩ نحو السعى الى اجراء انتخابات عامة ولكنها كلها كما أشرنا كانت تدابير تتم بعد فوات الاوان ، ولا يمكن ان ترتد عقارب الساعة الى الوراء حيث كانت الثورة قد اختمرت وبدا واضحا أن أسرة المانشو فى طريقها الى الزوال . غير ان الظرف الذى قضى قضاء مباشرا على النظام الامبراطورى فأشعل الثورة وفجرها كان يتمثل فى بلوغ الضيق مبلغ الذروة من سياسة الحكومة تجاه مد الخطوط الحديدية . وتتلخص هذه الواقعة بأن اسرة المانشو من خلال سعيها المحموم لاحكام قبضتها على المقاطعات والتمكين للنظام المركزى حصلت على عدة قروض من كل من بريطانيا والمانيا وفرنسا فى عام ١٩٠٨ . بيد ان حكومة المانشو فى سعيها لتضييق نطاق هذه القروض والتخفيف من وطأتها قررت ان يكون مد خطوط جنوب الصين وخاصة الخط الحديدى الواصل بين هنكاو وكانتون بجهد صينى محلى .

ولكن المقاطعات الجنوبية اثبتت عدم قدرتها على تدبير رؤوس الاموال اللازمة رغم النداءات الوطنية المتكررة نحو الادخار لهذا الغرض وفى الفترة من ١٩٠٩ الى ١٩١١ دارت مفاوضات طويلة أدت الى قيام الحكومة بابرام اتفاق مع مجموعة من المصارف الدولية (Consirtuim) يضم مصارف بريطانية وفرنسية والمانية وأمريكية لتمويل مد هذا الخط .

وفى مايو ١٩١١ ، وقبل شروع هذه المجموعة فى مد هذه الخطوط اعلنت الحكومة تأميم هذه الخطوط وكان هذا الاجراء باعثا على التذمر الشديد بين الرأسماليين الصينيين فى

الجنوب اذ رأوا فى عملية التأميم ضياعا لمكاسب كانوا يحلمون فى تحقيقها نتيجة إسهامهم فى مد هذه الخطوط ، كما انهم رأوا فى هذه العملية من جهة أخرى إحكاما للسيطرة الأجنبية على البلاد . فدعا التجار الى القيام بإضراب عام . وتعددت المظاهرات الطلابية واتسع نطاق هذه الاضطرابات بشكل واضح .

ثم حان وقت الواقعة الحاسمة التى فجرت الثورة فى مدينة هنكو (Hankou) بان وقع انفجار فى احد مصانع الذخيرة التابع لمؤيدى الثورة فى هنكو وتمرد جنود الامبراطور فى المناطق المجاورة على قياداتهم ، لكن الثورة انتشرت بسرعة مذهلة فى ربوع الصين دون ان يكون لها خطة عامة للتنسيق بين مختلف الانتفاضات وعلى الفور تكونت حكومة ثورية فى كانتون بزعامة وو – تنج – فانج . وطلبوا من الاجانب تأييدهم – الامر الذى أرغم حكومة المانشو فى بكين على استدعاء يوان شيه كاى لقيادة القوات الامبراطورية بكيفية جعلت منه الرجل القوى المسيطر ولما كانت اسرة المانشو فى حالة إحتضار فانها عينت يوان شيه كاى فى ١٤ اكتوبر ١٩١١ فى منصب حاكم اقليم هوبى هونان (Hupie-Hunan) .

وقد تمكن يوان شيه كاى بمهارة فائقة ان يحصل على حل وسط مع الثورة . ومنذ حلول شهر ديسمبر ١٩١١ اتخذ الثوار نانكنج (Nan-King) عاصمة لهم . وفى ٢٤ ديسمبر ١٩١١ كان صن – يات – صن لا يزال فى الولايات المتحدة عندما نشبت ثورة اكتوبر ١٩١١ فبادر بالحضور الى الصين من اجل توحيد كيان الحركة . وتم انتخابه على الفور رئيساً لجمهورية نانكنج . وفى ١٢ فبراير ١٩١٢م وبعد مفاوضات عسيرة بين الدكتور صن ويوان شيه كاى اضطر الامبراطور الطفل الى التنازل عن العرش وتم اعلان الجمهورية. ولكن الدكتور صن تنازل عن طيب خاطر ليوان شيه كاى عن رئاسة الجمهورية[1] .

ثالثا: عصر الجمهورية

١ - دستور عام ١٩١٢

صدر فى مارس ١٩١٢ دستور مؤقت جديد فى ظل النظام الجمهورى ، كذلك تم انشاء مجلس وطنى مؤقت يمثل الاقاليم المختلفة ، ويشترك فى السلطة العليا الى جانب رئيس الجمهورية والوزارة ، والهيئة القضائية . وبعد مرور عشرة أشهر تم حل المجلس الوطنى وحلت محله جمعية وطنية جديدة مكونة من مجلسين .

---

(1) Wang, N. P. Ibid. P. 144

٢ - حزب الكومنتانج :

فـي نفـس العـام (١٩١٢) انشـأ صـن - يـات - صن حـزبا سياسيـا هـو حـزب « الكومنتانج » أى « حزب الشعب القومى » ، فسعى يوان شيه كاى إلى تنظيم أتباعه وقام بتأسيس حزب « الشينبوتانج » أى « الحزب التقدمى » . وقد ظل معقل حزب الكومنتانج فى جنوب الصين - مسقط رأس الدكتور صن . ولما تمكن يوان شيه كاى من الحصول على قرض من الاتحاد المصرفى الخماسى الذى يشمل كلا من اليابان وبريطانيا وفرنسا والمانيا وروسيا قام الجمهوريون من أهل الجنوب بثورة فى وادى نهر اليانجستى فى صيف عام ١٩١٣ . ولكن تم اخماد هذه الثورة ولاذ صن - يات - صن بالهرب الى اليابان .

وفى أكتوبر ١٩١٣ تولى يوان شيه كاى دستوريا منصب رئاسة الجمهورية ، وتم الاتفاق على ان تكون ولايته ونائبه لمدة عشر سنوات وفى أقل من شهر بعد هذا التاريخ حل يوان شيه كاى حزب الكومنتانج بإعتبار أنه حزب مثير للفتن ، كما عمل على تطهير البرلمان من أعضائه غير أن يوان اراد ان يعزز مركزه ، فأصدر عهداً دستورياً بدلاً من الدستور الجمهورى الجديد ، اصبح يوان بمقتضى هذا العهد الدستورى دكتاتورا فعليا ولم يكن للمجلس التشريعى المنتخب سوى وظيفة استشارية فقط . وكان من حق الرئيس ان يعين اعضاء الوزارة الذين يكونون مسئولين أمامه مباشرة وإستخدام كافة وسائل الارهاب والقسوة فى القضاء على معارضيه . وقيد حرية الصحافة وحق الاجتماع . وعين يوان شيه كاى حكاما عسكريين على الاقاليم لحفظ النظام واستتباب الامن . وعلى كل حال فان الصين بلغت فى أواخر عام ١٩١٤ من الاتحاد والاستقرار ما لم تبلغه فى أى وقت منذ ١٠ أكتوبر ١٩١١ اى تاريخ قيام الثورة(١) .

رابعا : دخول الصين الحرب العالمية الاولى

قبل الحديث عن دخول الصين الحرب العالمية الأولى نشير فى هذا الصدد الى ان اليابان حينما دخلت الحرب العالمية الاولى دخلتها بعد ان اشتد عودها وتبوأت مكانا دوليا مرموقا وشعر الحلفاء بخطرها وما يمكن ان تقدمه من جهد حربى . وكانت اليابان ترحب بالحرب لانه كانت لديها أهداف واضحة وهى ان تحقق ذاتها من ناحية وان ترث الممتلكات الالمانية فى الصين وفى منطقة المحيط الهادى من ناحية اخرى . والامر يختلف بالنسبة للصين. وها نحن رأيناها وقد تكبلت بمزيد من المعاهدات غير المتكافئة عقب حركة «البوكسرز» ثم ها هى لم تحقق برامج المانشو الاصلاحية التى اعدت على عجل .

---

(١) بين ، تشستر : المصر السابق ص ص ١٠١ - ١٠٤ .

لذلك بمجرد نشوب الحرب فى أول أغسطس ١٩١٤ أعلن يوان شيه كاى حياد الصين على أمل الحفاظ على السلم فى منطقة الشرق الأقصى وكانت الاحزاب السياسية قد بدأت فى الظهور فى عهد يوان شيه كاى ولكن المشكلة التى قضت عليها فى مهدها هى مشكلة الحرب مع ألمانيا ، ذلك أن ألمانيا كانت قد قامت بنسف إحدى السفن الفرنسية التى تحمل عمالا صينيين إلى منطقة القتال الأوروبية ، وبادرت الصين إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا وذلك فى مارس ١٩١٧ ثم أعقب ذلك إعلان الحرب على ألمانيا فى ١٤ أغسطس ١٩١٧ أملا فى الحصول على مركز دولى أفضل وعلى معونة مالية . بيد أن مساهمة الصين فى المجهود الحربى إلى جانب الحلفاء كانت قاصرة على الجهد البشرى أى على تجنيد ١٩٠٠٠٠ر صينى كعمال فى الجبهة الغربية بالإضافة إلى تزويد الحلفاء بالمواد الغذائية والمواد الخام .

وبعد إنتهاء الحرب بدا التناقض واضحا فى المصالح الصينية واليابانية فاليابان كانت تطمع فى الحصول على ممتلكات الألمان فى شانتونج ، وقد رأينا فيما سبق أنها كانت تحظى ببعض المعاهدات السرية التى عقدت أثناء الحرب مع كل من بريطانيا وإيطاليا وفرنسا ، وأستراليا ونيوزلنده، أما الصين فكانت ترجو أن تكون مكافأتها على جهودها فى الحرب بإسترجاع إقليم شانتونج . وكان لهذا المكان قدسية خاصة فى قلوب الصينيين إذ أنه مسقط رأس المفكر والمصلح الاجتماعى كنفوشيوس . ولجأت اليابان إلى مناورة بارعة فى مؤتمر فرساى وتتلخص هذه المناورة فى مطالبة اليابان لمؤتمر الصلح بقبول مبدأ المساواة العنصرية طالما أنها أثبتت مقدرتها على إحراز النصر مع الحلفاء على قدم المساواة ، ولكن الدول الغربية ما كانت لتستسيغ هذا المبدأ . لذلك رأى الرئيس الأمريكى ولسون أن رفض هذا المطلب من جانب اليابان لا يعوضه سوى التسليم لها بالاستيلاء على شانتونج . وكان يراود الرئيس ولسون فكرة أن عصبة الأمم سوف يتسنى لها حل مثل هذه المشكلات فى المستقبل .

ولكن قد نتسائل عن المكاسب التى حققتها الصين نظير مساهمتها فى الحرب . حقيقة الأمر أن الصين لم تخرج صفر اليدين ، إذ أنها حققت إنضمامها إلى عصبة الأمم بتوقيعها المعاهدة بين الحلفاء والنمسا ، كذلك حصلت الصين نتيجة معاهدة الصلح على المكاسب الآتية :

- إنهاء المعاهدات غير المتكافئة التى سبق أن أبرمتها مع ألمانيا .
- إعفاءها من أقساط غرامة حركة الملاكمين المتبقية عليها لألمانيا قبل نشوب الحرب .

- إلغاء الامتيازات الالمانية فى كل من تيان تسن وهنكو .
- إلغاء إمتيازات حق إمتداد القوانين بالنسبة للمجريين والنمساويين والألمان .

وإذا تأملنا هذه المكاسب لوجدناها ليست كبيرة ، ولكن الأهم من ذلك هو أنها كانت النواة الأولى لإنبعاث الوعى القومى الصينى بقوة وعنف .

الفصل الثالث

أوضاع المنطقة فى فترة ما بين الحربين العالميتين

أولا : فى الصـــين

١ - القيادة العسكرية فى الصين ونهضة الكومنتانج

يطلق بعض المؤرخين على الفترة الواقعة بين ١٩١٧ ، ١٩٢٧ فى الصين والتالية لوفاة يوان شيه كاى عام ١٩١٦ عصر أمراء الحرب ، ففى هذه الفترة من تاريخ الصين أخذ القواد العسكريون يتنازعون السيطرة على حكومة بكين ، وقد سبق أن رأينا أن ديكتاتورية يوان شيه كاى استمدت قوتها من العهد الدستورى الذى أصدره ، وليس من التفويض الذى حصل عليه من حكام المانشو . وفى عهد يوان شيه كاى حدثت اضطرابات داخلية أهمها ما حدث فى إقليم يونان فى ديسمبر ١٩١٥ حتى كاد يوان شيه كاى أن يفقد سلطانه إلا أن المنية عاجلته فى ٥ يونيو ١٩١٦ فخلفه لى يوان هونج بطريقة سلمية .

وفى هذه الأونة ظهرت عدة أحزاب سياسية مختلفة يقف من وراء كل منها القادة العسكريون الذين سموا « التوشون » وكان كل واحد منهم يحكم أجزاء من أراضى الصين مستعينا بما لديه من جيش خاص . ففى الجنوب فى كانتون نجد الدكتور صن يات صن يحظى بتأييد القادة العسكريين فى أربعة مقاطعات ، وأما القائد العسكرى تشانج – تسولين (Tchang - Tso -lin) فكان يسيطر على أغلب منشوريا متخذا لنفسه مركز القيادة فى موكدن وكان رئيس الوزراء الصينى قد حظى بتأييد نادى « آنفو » .

ولعلنا ما نزال نذكر محاولات إنشاء حكومة نيابية فى مستهل حكم يوان شيه كاى لكن دخول الصين الحرب ضد الالمان عام ١٩١٧ قضى على هذه المحاولات فى مهدها . ففى حين كان يوان شيه كاى يميل إلى الوقوف على الحياد عند بدء نشوب الحرب العالمية الأولى وبادر بإعلان حياد بلاده تجاهها ، نجد رئيس وزراء الصين « توان » يصر بعد وفاة يوان شيه كاى عام ١٩١٦ فى ظروف مريبة(١) على إعلان الحرب على ألمانيا منتهزا فرصة إغراق الالمان لإحدى السفن التى على ظهرها بعض الصينيين . وقد كان توان يأمل من إعلان الحرب على المانيا فى ١٤ أغسطس ١٩١٧ فى الحصول على مركز دولى ومعونة مالية .

---

(1) Grousset, R. op. cit. 398

ولقد ظل توان Touan قائما أثناء الحرب بمنصبه كرئيس للوزارة . وقد حاول ما وسعه الجهد إجراء مفاوضات داخلية لإيجاد نوع من الوحدة بين شمال الصين الذى يسيطر عليه حزب الانفو ، وبين كانتون التى يسيطر عليها جماعة الدكتور صن ، ولكن فشل توان فى استرجاع إقليم شانتونج أثناء إنعقاد مؤتمر الصلح فى فرساى عام ١٩١٩ أضعف مركزه وزعزع الثقة فيه . وكان توان معروفا بميوله القوية نحو اليابان ، وإنتهى به الأمر إلى أن أجبره إئتلاف من « التوشون » على التخلى عن منصبه عام ١٩٢٠ .

وفى عام ١٩٢٦ تمكن القائد العسكرى تشيانج تسو – لين قائد قطاع منشوريا توحيد قواته مع قوات القائد العسكرى وو – بى – فو (Wou - Pei - Fou) التابع لحزب تشيلى وذلك من أجل إنهاء سيطرة الجنرال وو – منج – يوهسيانج الذى يطلق عليه الجنرال المسيحى والذى كان يسيطر على منغوليا الداخلية من أجل إنهاء سيطرته على بكين ، وظل تشيانج تسولين يحكم بكين بعد إنتصاره هذا حتى إنتهى الأمر ودارت عليه الدوائر بطرده هو الآخر من جانب قوات تشيانج كاى شيك وبذلك يكون قد إنتهى ما سمى بعصر أمراء الحروب(١) .

ونشير هنا إلى أن الإدارة التى كان قد أنشأها الدكتور صن يات صن فى كانتون كانت تدَّعى أنها الحكومة الحقيقية ولكن الدول الأجنبية ظلت تعترف بالحكومة الصورية فى بكين . ولكن فى حقيقة الأمر لم يكن يتوفر لدى الدكتور صن من السلطة الفعلية سوى ما سمح له بها القواد العسكريون فى الجنوب على أن الدكتور صن قام فى عام ١٩٢٠ بتنظيم حزب الكومنتانج ، واجتمع برلمان خاص فى عام ١٩٢١ وانتخبه رسميا رئيسا للجمهورية . ولكن لم يحل عام ١٩٢٢ حتى تم نفيه مرة ثانية إلى مدينة شنغهاى حيث أصبح على يقين ألا مخرج للصين من هذه الفوضى الضاربة أطنابها إلا بتلقى مساعدة خارجية لذلك كانت روسيا فى نظره الأمل المرتجى ، حيث كانت قد أعلنت ذلك عقب الثورة البلفشية ، فبدأت محادثات بين الدكتور صن وأبولف جوف مبعوث روسيا إلى الصين أسفر عن عقد إتفاق تعهدت روسيا بمقتضاه بتقديم المشورة إلى الصين فى نضالها من أجل تحقيق الوحدة والاستقلال ولم يكن بالصين حتى عام ١٩٢٤ حزب شيوعى ، وإنما كانت هناك مجموعة سميت بإسم «الشبيبة الاشتراكية» ، ولكن صن سمح بإنضمام بعض أعضاء الكومنتانج «بصفة فردية» إلى الحزب الشيوعى لكنه كان يرفض أن ينضم حزبه إلى الشيوعية(٢) .

---

(١) بين ، تشستر : المصدر السابق ص ١٨٦ .

(2) Grousset. R. Op. cit p. 398 .

وعاد الدكتور صن مرة ثانية إلى كانتون فى عام ١٩٢٣ برفقة ميخائيل بورودين بصفته مستشارا سياسيا من قبل موسكو ، وبإيحاء من بورودين أعاد الدكتور صن تنظيم حزب الكومنتانج تنظيما أساسيا على نسق الحزب الشيوعى الروسى . ونظمت مجموعات على شكل خلايا لتلقى المعلومات الأولية فى المبادىء الحزبية والنظام والإدارة ، ووضع على رأس التنظيم العام للحزب ما سمى بالمؤتمر القومى للحزب والذى تقرر أن يعقد إجتماعاته بصفة سنوية وصار الاشراف السياسى من إختصاص المؤتمر ، أما إدارة الحزب فتولت أمرها اللجنة التنفيذية وأختير صن ليكون رئيسا لحزب الكومنتانج مدى الحياة . وأصبح له الحق فى الاعتراض على قرارات المؤتمر كما أصبح رأيه حاسما فى اللجنة المركزية . وعموما فقد قبل الحزب انضمام الشيوعيين إلى صفوفه .

أما بالنسبة للآراء المذهبية للكومنتانج فكانت تتضمن فى أساسها ما نشره الدكتور صن فى رسائله ومحاضراته التى كانت تتلخص فى الأفكار والمبادىء التالية :

١ – مشروعات تهدف إلى إعادة بناء الصين . وقد ضمها مؤلف يقع فى ثلاثة مجلدات تشمل ثلاثة موضوعات : الأول يرمى لإعادة البناء السيكولوجى للشعب الصينى . والثانى عبارة عن أفكار بنائه المادى . أما المجلد الثالث فيهدف إلى إعادة البنيان الاجتماعى للشعب .

٢ – إقرار ثلاثة مبادىء سميت « مبادىء الشعب الثلاثة » وقد استمدت هذه المبادىء على نمط المبادىء التى سبق أن أعلنها الرئيس الأمريكى لنكولن والتى كانت تقضى بإنشاء « حكومة من الشعب ينتخبها الشعب لصالح الشعب » .

٣ – البيان الحزبى الذى أصدره المؤتمر الحزبى لعام ١٩٢٤ وهو عبارة عن ملخص لتاريخ الحزب وبرنامجه . وقد أصبح دستور الكومنتانج وروحه .

٤ – « أسس التجديد القومى » وهو بمثابة موجز لبرنامج الحزب وضعه الزعيم صن عام ١٩٢٤ .

٥ – وصية الدكتور صن ، وقد نشرت هذه الوصية بعد وفاته فى عام ١٩٢٥ .

ورغم أن صن لم يكن فى حقيقة الأمر شيوعيا إلا إنه تأثر تأثرا واضحا بلا شك بالمذاهب الاشتراكية ، فطالب الدولة بإعادة توزيع الأراضى لتقوم الملكية بين الجميع على أسس المساواة ، وهذا هو أحد مبادىء الشعب الثلاثة وهو ما سمى بأقوات الشعب ، أما المبدأن الآخران فهما القومية التى اقتضت تدريب الاقليات العنصرية وتوجيهها نحو تقرير المصير والحكم الذاتى ومقاومة العدوان الخارجى وإعادة النظر فى المعاهدات لكى تحصل

الصين على استقلالها ومساواتها بالدول الأخرى ، ويبقى بعد ذلك المبدأ الثالث وهو مبدأ سيادة الشعب أى إقامة النظام الديمقراطى . ويتضمن ذلك قيام الحكومة بتدريب الشعب على ممارسة الانتخاب واقتراح القوانين والاستفتاء .

أما كيفية وضع هذه البرامج موضع التنفيذ لتحقيق هذه المبادىء التى دعا إليها صن فقد رؤى أن تتم على ثلاثة فترات متتالية :

أ - عن طريق إقامة حكومة تحت السيطرة العسكرية لكى يمكن عن طريق الحزب إزالة ما يعترض طريق الوحدة من عقبات .

ب - أن تكون الوصاية السياسية للكومنتانج بعد إعادة تنظيم الاقاليم وإستتباب الأمن فيها لتدريب الشعب على الحكم الذاتى فى كل مقاطعة .

جـ - إقامة حكومة دستورية فى كل إقليم ويظل حكام الأقاليم خاضعين لتوجيهات الحكومة المركزية .

المؤتمر الوطنى الأول لحزب الكومنتانج ١٩٢٤

لقد إجتمع أول مؤتمر للكومنتانج فى كانتون فى يناير ١٩٢٤ وأقر التنظيم والبرنامج الذى أعده صن وبورودين (Borodine) ، وأعد دستورا على أساس الحزب الواحد . وقد سبق ذلك تكوين جيش وطنى وتأسيس أكاديمية عسكرية فى هوامبوا تحت إدارة تشيانج كاى شيك لتدريب الضباط . وقد تجلى أثر هذه القوة العسكرية الناشئة فى نوفمبر ١٩٢٤ حينما تمكنت بسهولة من إخماد ثورة قام بها تجار كانتون الذين ثاروا ضد تحالف صن مع الشيوعيين . وقد حاول صن فى حقيقة الأمر توحيد البلاد ، فبدأ مباحثاته مع زعماء شمال الصين فى يناير ١٩٢٥ . ولكنه أيقن أن الإتفاق معهم من الأمور المستحيلة .

وفى ١٢ مارس ١٩٢٥ توفى صن فى العاصمة الشمالية بعد أن وقع على وصيته التى حث فيها على مواصلة الكفاح من أجل وحدة الصينيين وتنفيذ مبادئه الشعبية الثلاثة ، والدعوة للتعاون مع روسيا ، وكان صن مع ذلك فى رأى بعض الكتاب فى حياته إداريا وسياسيا محدود المقدرة ولكن الصينيين جعلوا منه بطلا قوميا ، وأنزلوه منزلة الخليفة للزعيم كنفوشيوس فوضع رجال الكومنتانج جثمانه فى بناء أثرى فى مدينة نانكج وأصبح هذا البناء ضريحا قوميا يحج إليه الشيوعيون وأعضاء الكومنتانج .

٢ - ظهور تشيانج كاى شيك والزحف نحو الشمال

كانت الخلافة بعد صن تنحصر بين بورودين زعيم الشيوعيين ، « ووانج تشنج واى »

صديق صن الحميم وزعيم الجناح اليسارى الذى لا يعتنق الشيوعية ، ثم تشيانج كاى شيك القائد العام لجيوش لكومنتانج الذى كان يخشى الشيوعيين ويشك فى نواياهم . والحقيقة أن هؤلاء الزعماء الثلاثة كانت تحدوهم رغبة مشتركة فى توحيد الصين . ولكن تشيانج كاى شيك انتهز فرصة غياب بورودين فى شمال البلاد وأبعد وانج وبذلك أصبح رئيسا للجنة الدائمة بالهيئة التنفيذية المركزية .

وفى منتصف عام ١٩٢٦ بدأت الحكومة العسكرية الكبرى لإعادة توحيد الصين وتقدمت القوات العسكرية نحو الشمال وفى مقدمتها جماعات من المهيجين ورجال الدعاية ، حتى أن جميع المقاطعات سلمت إلى تشيانج كاى شيك دون الدخول فى أية معارك . وفى ربيع عام ١٩٢٧ هاجمت القوات التى كان يقودها الزعماء الشيوعيون قوات الاجانب الموجودين فى نانكنج واتلفت بعض ممتلكاتهم من أجل إحراج مركز تشيانج كاى شيك فى مواجهة الاجانب فاتجه تشيانج كاى شيك إلى الجناح الأيمن فى الحزب طالبا منه العون والمساندة ، فقام هنالك حلف من أثرياء التجار وأصحاب المصانع فى شنغهاى ، وأقام حكومة فى نانكنج . فى ذلك الوقت تمت مهاجمة السفارة الروسية فى بكين وتم العثور فيها على وثائق تثبت وجود خطة شيوعية ترمى إلى إقامة حكومة شيوعية فى الصين تحت توجيهات بورودين ، فلاذ بورودين بالفرار إلى روسيا . وعند حلول شهر أغسطس ١٩٢٧ كان مركز الجناح الأيمن فى حزب الكومنتانج الذى يتزعمه تشيانج كاى شيك قد توطد تماما .

وفى شهر ديسمبر ١٩٢٧ تزوج تشيانج كاى شيك من أرملة الزعيم صن وتحالف مع أنصار الزعيم صن . وفى ربيع عام ١٩٢٨ تولى تشيانج كاى شيك منصب قيادة جيوش الكومنتانج مرة أخرى وزحف بقواته نحو الشمال . وحاول اليابانيون إنقاذ مركزهم فى شمال الصين بسد الطريق على تشيانج كاى شيك بواسطة قوات يابانية . وبعد صدام قصير الأجل فى منطقة تسيمان فى مايو ١٩٢٨ تمكن الرأى العام الصينى من إرغام اليابانيين على الإنسحاب ، وإحتلت قوات الكومنتانج مدينة بكين ، وأصبحت الصين دولة موحدة تحت حكومة واحدة كما أصبحت نانكنج العاصمة الوطنية ، وجرى تغيير إسم بكين ليصبح بيبين « أى السلام الشمالى » .

لقد كان إخضاع شمال الصين ، وما أعقب ذلك من إعتراف اليابان والدول الغربية فى عام ١٩٢٨ بحكومة نانكنج نهاية لهذه المرحلة العسكرية ، وبداية الوصاية « الداخلية » للعسكريين على الصين ، ولقد تميز هذا التحول الداخلى بصدور أول قانون أساسى اعتبر بمثابة دستور مؤقت . وكان هذا القانون بمثابة فرض لديكتاتورية الكومنتانج على الصين

مثلما تم فرض نظام الحزب الواحد فى روسيا . وأصبح الحزب هو الذى يسن القوانين ، وهو الذى يقوم كذلك بتنفيذها ويمارس سلطته عن طريق المؤتمر بواسطة هيئته التنفيذية المركزية ولجنتها الدائمة ، وقد احتفظ تشيانج كاى شيك بزعامة الحزب والقيادة العامة للجيوش الوطنية .

وواقع الأمر إنه لم يكن لدى حكومة نانكنج السلطة الكافية للقضاء على مجموعة القادة العسكرين الذين يسمون « التوشون » والذين كانوا لا يزالون أصحاب السيطرة على مناطق واسعة من البلاد . وكانت قبضة حكومة تشيانج كاى شيك تقتصر على حكم المقاطعات الواقعة فى حوض نهر اليانجتسى . وفى يناير ١٩٢٩ تم عقد مؤتمر لمناقشة الخطط الكفيلة بتخفيض الجيوش ولكن القادة العسكريين أعلنوا تمردهم فى مقاطعة كوانجسى . وسرعان ما تم إخماد حركتهم فى عام ١٩٣٠ - الأمر الذى هيأ أمام تشيانج كاى شيك الفرصة للتفرغ لمكافحة الشيوعيين .

ثانيا : فى اليـــــابان

أ - الاتجاهات الاقتصادية بعد الحرب العالمية الأولى

سوف يكون للتطور الاقتصادى الهائل لليابان بعد الحرب العالمية الأولى أكبر الأثر فى نمو أطماعها وتحولها إلى قوة استعمارية تتطلع إلى إبتلاع جيرانها ، وكنا قد عرضنا للتطور الياباني المذهل فى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى إبان عصر نهضة الميجى . ومن المناسب جدا أن نلقى نظرة على ما آل إليه حال هذا التطور أثناء هذه الحرب وبعد إنتهائها . نقول بدايةً أنه فى حين كانت الصين تموج بالاضطرابات الداخلية وعدم الاستقرار السياسى والاقتصادى ، سواء فى فترة الاضمحلال الصينى (١٨٦٠ - ١٨٩٤) التى أشرنا إليها فى الفصل الثالث من الباب الأول أو ما تلا ذلك من معاهدات غير متكافئة واضطرابات لم تهدأ حتى حلول الحرب العالمية الأولى ، نجد على النقيض من ذلك أن اليابان كانت تمارس على قدم وساق تجربة من نوع جديد ، وهى تجربة نقل التكنولوجيا الغربية نقلا كاملا متكاملا ، وبناء اليابان الحديثة لتحقيق مطامع كبرى سياسية وإقتصادية وقد امتدت هذه الفترة قبل الحرب وأثناءها وبعدها على نحو ما سنرى .

لقد تميزت الفترة السابقة لنشوب الحرب العالمية الأولى من ١٨٩٤ - ١٩١٤ أى العشرين سنة السابقة للحرب باستقرار إقتصادى ملائم لليابان إذ بدأ النظام المصرفى فى الاستقرار ، ففى عام ١٨٩٦ تم تنظيم بنك الرهون العقارى ليقدم قروضا طويلة الأجل ، كذلك أنشىء البنك الصناعى اليابانى لتقديم القروض الصناعية طويلة الآجل ، ونمت ميزانية اليابان بسبب زيادة النفقات العسكرية والنهوض بالصناعة ، وواجهت اليابان تغطية هذه النفقات بوسيلتين : إحداهما إيراداتها الذاتية بزيادة الضرائب بنسبة عالية ، وتم فرض

الاحتكار على التبغ والكافور . أما الوسيلة الثانية فكانت عن طريق عقد بعض القروض الأجنبية . ولكنها كانت قروضا مرحلية تدرك اليابان فى هذه المرحلة من نموها سهولة سدادها .

وأخذت الصناعات اليابانية خلال هذه الفترة تخطو خطوات جبارة حتى أصبح عدد من يعملون بالمصانع فى عام ١٩١٤ نحو مليون شخص . وكان أبرز تطور فى الصناعة هو مجال صناعة النسيج ، ولكن الأهم من ذلك هو الطفرة التى حققتها الصناعات الثقيلة المتمثلة فى صناعة العدد والآلات الضخمة . فقد بدأت مصانع الحديد الحكومية إنتاجها فى عام ١٩٠١ ، وقد أدت الحاجة إلى رؤوس أموال كبيرة لمواجهة تمويل هذه الصناعات إلى إحكام سيطرة مجموعة شركات « الزايباتسو » التى كانت لها بنوكها الخاصة .

وتميزت هذه الفترة بنمو حجم التجارة نموا خياليا إذ بلغت سبعة أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب وكان الحرير والسلع المصنوعة من الحرير وغزل القطن والسلع المتنوعة من القطن تشكل أكثر من نصف صادرات اليابان .

ومما يجدر ذكره أن حلول الحرب العالمية الأولى كان خيرا وبركة على اليابان ، إذ أنقذت هذه الحرب إقتصادها الوطنى ، فقد إنهالت على اليابان الطلبات من دول الحلفاء التى أقبلت على الشراء من منتجات اليابان دون مناقشة أسعار هذه المنتجات لشدة الحاجة لها ، ومن ثم مارست اليابان وضعا احتكاريا فريدا لصالحها ، هذا بالإضافة إلى أن أسواق الدول المحايدة فى جميع أنحاء العالم وبخاصة فى آسيا بدأت تتجه نحو اليابان تطلب منها شراء شتى أنواع السلع فى الوقت الذى لم تتمكن فيه الدول الصناعية - نظرا لظروف الحرب - من تلبية حاجة هذه الأسواق وبذلك ازدادت الصادرات بنحو ٤٠٪ من ناحة الحجم كما إزدادت بأكثر من ٣٠٠٪ من ناحية القيمة مما ترتب عليه بالتالى توسع هائل فى الإنتاج الصناعى ، وتضاعفت البحرية التجارية وازدادت أرباحها إلى عشرة أضعاف ، وهكذا تحولت اليابان فجأة من دولة مدينة إلى دولة دائنة بل لا نندهش إذا أصبحت بقية دول العالم مدينة لليابان بما يزيد على مليار « ين » يابانى(١) .

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن اليابان قد استطاعت أن تختصر بذكاء بعض المراحل التكنولوجية ، فعلى سبيل المثال لم يمر اليابانيون فى بناء أسطولهم بمرحلة استثمار أموالهم فى السفن ذات المحركات التبادلية كما فعل الغرب فى تلك المرحلة التى سبقت السفن البخارية ، ومضوا مباشرة لبناء السفن ذات التوربينات البخارية ، ثم مباشرة إلى السفن التى تدار أجهزتها « بالديزل » ويكفى للتدليل على ما جنته اليابان من الحرب العالمية الأولى أن الحرب إنتهت ولدى اليابان احتياطيات من الذهب تضاعفت ست مرات فى ست سنوات فقط(٢)

---

(١) تيدمان - آرثر : اليابان الحديثة ، ترجمة وديع سعيد ومراجعة على رفاعه الانصارى ص ٤٩ ، ٥٠ .

(2) Morton, W.S. Japan, Its History and culture. p. 181 .

غير أن اليابان واجهت بعد الحرب بعض المشكلات الخاصة بزيادة السكان ، فقبل نهضة الميجى كان تعداد السكان شبه ثابت عند رقم ثلاثين مليونا من الأنفس ولكن حركة التصنيع التى جاءت بعد النهضة شجعت ولاشك على زيادة عدد السكان فأصبحوا فى عام ١٩٢٠ ستة وخمسين مليونا ، ثم أصبحوا فى عام ١٩٣٠ أربعة وستين مليونا . ولما كانت الرقعة الزراعية قد تم إستثمارها إستثمارا كاملا ، فقد تدفق السكان الزائدون عن حاجة المناطق الريفية إلى المدن . وفى أواخر سنين الحرب كان فى اليابان ٢٣٠ مدينة مما يزيد عدد سكان كل منها على عشرة آلاف نسمة . ولم تمض سبع سنوات حتى زاد هذا العدد على الضعف .

وهكذا أصبحت مشكلة تدبير الأقوات اللازمة للبلاد التى يزداد تعداد سكانها نحو سبعمائة ألف نسمة سنويا أولى المشاكل التى بدأت تشغل بال رجال السياسة اليابانيين حينئذ ولم تجد اليابان لها مخرجا إلا عن طريق هجرة سكانها ، ولكن يلاحظ فى هذا الصدد أن الولايات المتحدة واستراليا والدول الغربية بوجه عام لم تكن لتسمح بهذه الهجرة إليها فى حين كان اليابانيون يكرهون الانتقال حتى إلى البقاع الخالية من السكان فى جزيرة هوكايدوا اليابانية .

لهذه الاسباب نجد اليابان – تلك الدولة الناهضة قد عجزت عن تدبير الغذاء الكافى لسكانها – مثلها فى ذلك مثل إنجلترا – فى الوقت الذى سدت فى وجهها طرق الهجرة وصار لزاما عليها إذن أن تستورد المواد الغذائية بكميات مضاعفة . وكانت هذه الحالة هى القوة الدافعة التى وجهت سياسة الاحزاب السياسية اليابانية على إختلاف نزعاتها ، وقد تطلع اليابانيون نحو منشوريا والصين بوصفهما مصادر للمواد الخام من ناحية وأسواقاً رائجة لتصريف المنتجات الصناعية اليابانية من ناحية أخرى فضلا عن إعتبارهما متصرفا لفائض السكان اليابانيين أو استجلاب المواد الغذائية منهما – الأمر الذى جعل اليابان تتهيأ لعملية توسع استعمارية كبرى ، وشرعت تبحث – شأنها شأن الدول الاستعمارية – عن العلل والمعاذير اللازمة لشن حرب استعمارية واسعة النطاق .

ب – الوضع السياسى لليابان بعد الحرب العالمية الأولى

رأينا فى الفصل الأول كيف سلَّم الحلفاء بمطالب اليابان نظير قيامها بإرسال مدمراتها إلى البحر المتوسط لمساعدتهم ضد حرب الغواصات الالمانية ، ولكن قبل أن تضع الحرب أوزارها كان الحلفاء يضمرون فى نفوسهم مخافة استفحال خطر اليابان فى المنطقة – الأمر الذى حدا بهم إلى إرسال سيبيريا عام ١٩١٨ .

١ - حملة سيبيريا

لقد دفعت تطورات الثورة البلشفية فى روسيا خلال عام ١٩١٧ كلا من إنجلترا وفرنسا

فى مؤتمر باريس الذى عقد بين الحلفاء فى ديسمبر من ذلك العام إلى اقتراح قيام اليابان بالتدخل فى سيبيريا وأن تندفع القوات اليابانية حتى تصل إلى روسيا . ورغم معارضة الولايات المتحدة لهذا الاقتراح فى بداية الأمر إلا إنها عادت وقبلت به شريطة ألا تخترق الجيوش اليابانية الأراضى الروسية وكان أسرى الحرب من التشيكوسلوفاكيين الذين أمكن فك الحصار عنهم قد رخص لهم بالعودة إلى أوطانهم بطريق سيبيريا والمحيط الهادىء وكانت هذه القوة من التشيك قد أنيط بها مقاومة البلشفيين الروس ، لكنهم كانوا فى الوقت ذاته بحاجة إلى المساعدة . ومن جهة أخرى كان فى فلاديفستك مستودع ضخم من الامدادات كان الحلفاء قد استطاعوا تكديسها هناك ويخشى أن تقع تحت طائلة الثوار البلشفيين أو الاسرى النمساويين والألمان .

لذلك سارعت اليابان بإرسال بارجتين حربيتين إلى ميناء فلاديفستك لحفظ النظام وتأمين حياة السلك القنصلى هناك ، ووصلت إحدى البارجتين فى ١٢ يناير ١٩١٨ ثم لحقت بها إحدى السفن البريطانية ، وفى فبراير من نفس العام تم تعيين الجنرال تاناكا الذى إشتهر بتخصصه فى المسائل الروسية رئيسا للجنة التخطيط الحربى فى سيبيريا . وما لبث تاناكا أن قدم بدوره إقتراحات بعقد معاهدة صينية – يابانية ووقعت المعاهدة فى مارس ١٩١٨ بهدف اشتراك الصين فى حملة يابانية إلى سيبيريا وتمكن اليابانيون من إستخدام وسائل مواصلات صينية والحاق مستشارين يابانيين فى الوحدات الصينية[1] .

ولما كان وزير الخارجية الأمريكى لانسينج (Lansing) قد طلب فى شهر يوليو ١٩١٨ من اليابان العمل على إنقاذ التشيكوسلوفاكيين المحاصرين فى المنطقة فإنه لم يكن من اليسير على الولايات المتحدة رفض إرسال هذه الحملة العسكرية اليابانية التى اقترحها تاناكا . ولذلك نزلت الفرق اليابانية الأولى فى فلاديفستك فى شهر أغسطس ، فلم تجد سوى عدة كتائب فرنسية وإنجليزية وأمريكية قليلة العدد ضعيفة العتاد ، وتم تعزيز هذه القوات من جانب اليابان حتى بلغت إحدى عشر فرقة واحتلت هذه الفرق المقاطعات البحرية فى وادى نهر آمور واندفعت تنتشر حتى بلغت بحيرة بايكال (Baikal) واستطاعت تقديم الدعم للأدميرال كولتشاك (Koltchak) وإن كان قد تم القبض عليه من جانب البلشفيين ولقى حتفه . ولما شعرت اليابان بأنها لن تستطيع أن تشن بمفردها حربا ضد السوفيت فى سيبيريا فإنها قامت بالجلاء عن مقاطعات بايكال وامور ، وإن كانت قد بقيت فى الجزء الشمالى من سخالين حتى عام ١٩٢٥ .

---

(1) Bersihand, R. Op. cit. p. 336 .

ويلاحظ أن الحلفاء سارعوا بإرسال قواتهم فى شهر يوليو ١٩١٨ إلى سيبيريا وربما كان الظن فى إرسال هذه القوات هو المساهمة فى إنقاذ القوات التشيكية المحاصرة وإقامة جبهة قتال شرقية ولكن ما دفعهم فى حقيقة الأمر وبدرجة أكبر إلى إرسال هذه الحملة هو الخوف الذى ساورهم من أن تنفرد اليابان بالعمل فى هذه المنطقة فتستأثر بالنفوذ هناك ، ذلك أن اليابان كانت قد بعثت فى شهر إبريل ١٩١٨ بقوة بحرية نزلت فى فيلاديفستك ، وإحتلتها وكان الزعماء العسكريون اليابانيون يرون أن هناك فرصة سانحة أمامهم لإحتلال سيبيريا فى ظل حالة الفوضى التى كانت سائدة فى روسيا بسبب إندلاع الثورة البلشفية أو على الأقل إقامة دولة صديقة فيها تكون بمثابة حاجز بينها وبين روسيا .

وعندما نزلت قوات الحلفاء إلى سيبيريا بعثت اليابان بقوة قوامها ٧٥٫٠٠٠ جندى أى ما يعادل ثلاثة أمثال الجنود الذين بعث بهم الحلفاء مجتمعين ، وعندما انسحبت قوات هذه الحملة الغربية عام ١٩٢٠ اذا بالجيش اليابانى يظل محتلا للأرض لم يبرحها . وقد عمد اليابانيون فى ذلك العام إلى إستغلال حادثة مقتل الرعايا اليابانيين فى بلدة نيكولايفسك فى سيبيريا واتخذوا ذلك ذريعة لإحتلال سخالين الروسية . ولكن النفقات الباهظة التى تكلفتها هذه العملية وضآلة ما تحقق منها أثار تذمرا شعبيا فى اليابان . ولكن رغم ذلك بقيت القوات اليابانية فى سيبيريا حتى جاء وقت انعقاد مؤتمر واشنطن عام ١٩٢٢.

٢ - مؤتمر واشنطن ١٩٢٢

لقد كان أهم ما يشغل بال اليابانيين أثناء الحرب العالمية الأولى فى حقيقة الأمر هو حصولهم على إجازة من الدول الأخرى بما تم لهم إحرازه من مكاسب فى الصين . ففى أوائل عام ١٩١٧ عقدت اليابان معاهدات سرية تعترف فيها هذه الدول بحق اليابان فى شانتونج والجزر التى كانت تستولى عليها المانيا فى المحيط الهادىء والواقعة شمالى خط الاستواء . أى أن اليابان أرادت أن تجعل لهذه المعاهدات السرية ، صفة الاعتراف العلنى .

وأثناء إنعقاد مؤتمر فرساى للصلح لم يكن الاهتمام الوحيد لليابان هو فقط الحصول على شانتونج وتلك الجزر التابعة لألمانيا ، وإنما كان إهتمامها منصبا كذلك على الحصول على بيان يصدر من المؤتمر بإعلان المساواة العنصرية . ولذلك قدم الوفد اليابانى إقتراحا بأن يتضمن ميثاق عصبة الأمم مادة تنص على هذه المساواة ، وتصدى لهذا الاقتراح كل من استراليا والولايات المتحدة ممثلة فى شخص رئيسها ولسون . وكان السبب فى ذلك خوف أستراليا من الغزو العنصرى للرجل الأصفر بإحتمال هجرته إليها مما يعمل على تخفيض مستوى معيشة أهلها . أما بالنسبة للرئيس الأمريكى فقد كان يعنيه بالدرجة الأولى عدم

استثارة الرأى العام الأمريكي حول هذه النقطة . ولذلك تم الاكتفاء باسترضاء اليابان عن طريق اسناد مهمة الانتداب على جزر المحيط الهادى إليها . ولكن ما يعنينا هنا هو طبيعة المسرح السياسى والعسكرى الذى مهد لإنعقاد مؤتمر واشنطن ، وما صدر عنه من قرارات وإنعكاساتها الدولية .

لقد كانت كل من اليابان وإنجلترا والولايات المتحدة خلال عام ١٩٢٠ فى سباق محموم نحو تدعيم سلاحها البحرى حيث باتت هناك تكهنات بقرب وقوع حرب بين اليابان والولايات المتحدة – الأمر الذى دعا الدول البحرية إلى عقد هذا المؤتمر فى نوفمبر ١٩٢١ من أجل النظر فى تحديد مدى التسلح البحرى درءا لوقوع حرب مستقبلا . وقد تمخض المؤتمر عن ثلاثة معاهدات تحكم الأوضاع السائدة فى منطقة الشرق الأقصى الذى كان محور هذه المحادثات .

ولقد استمر انعقاد هذا المؤتمر على مدى ثلاثة أشهر من نوفمبر ١٩٢١ حتى فبراير ١٩٢٢ . وتناول عدة مواضيع متشعبة بتفصيل كبير وقد حضر حفل الافتتاح الرئيس الأمريكى هاردنج (Harding) فى ١٢ نوفمبر وتم إنتخاب وزير الخارجية الامريكى تشارلز هيوز (Charles Hughes) رئيسا للجلسات الذى قيّم المؤتمر بعد ذلك فيما يتعلق بالمعاهدة البحرية الخاصة بتحديد الاساطيل بقوله « إنها ربما كانت أكبر خطوة للأمام فى التاريخ من أجل إقرار السلام فى المنطقة[1] .

وحضر المؤتمر مندوبون من بريطانيا وإيطاليا وبلجيكا والبرتغال واليابان والصين كما حضره ممثل هولندا بصفة مراقب ولكن لم توجه الولايات المتحدة الدعوة إلى روسيا بإعتبار أنها حادت عن معسكر الحلفاء[2] . أما المعاهدات الثلاثة التى تمخض عنها المؤتمر فكانت كالآتى :

أ - المعاهدة الأولى

وتنص على المحافظة على الاوضاع الراهنة فى المحيط الهادى انذاك ، ولقد تم توقيع هذه المعاهدة يوم ١٣ ديسمبر ١٩٢١ بين كل من فرنسا وانجلترا ، واليابان ، والولايات المتحدة واهم ما اسفرت عنه هذه المعاهدة انه صار مفهوما ضمنيا انها تنهى التحالف اليابانى – البريطانى ، تحت اصرار الولايات المتحدة التى كانت ضد هذا التحالف .

---

(1) The New Cambridge Modern History op. cit. p. 356 - 357 .

(2) Grousset, R. op. cit. p. 394 - 395

ب - المعاهدة الثانية

اما المعاهدة الثانية فتنص على انقاص أعداد وحمولات الاساطيل الحربية وان تكون نسبة الاساطيل بين الولايات المتحدة وانجلترا ، واليابان ، وفرنسا وايطاليا هى نسبة ٥ : ٥ : ٣ ١٫٧٥ : ١٫٧٥ على التوالى ، والا يزيد الحد الاقصى لحمولة السفن الحربية الكبيرة عن ٣٥ الف طن ، وحاملات الطائرات على ٢٧ الف طن ، واعلان هدنة بحرية لمدة عشرة اعوام قادمة . كذلك نصت المعاهدة على الابقاء على الاوضاع الراهنة بالنسبة للاستحكامات الممتدة بين هاواى وسنغافورة على وجه التقريب . وهذه المعاهدة الثانية تم توقيعها فى ٦ فبراير ١٩٢٢ من جانب الدول الخمس البحرية . وحقيقة الامر ان هذه المعاهدة افادت اليابان ، اذ جعلت من اسطولها قوة بحرية كبرى معترفا بها .

جـ - المعاهدة الثالثة

اما المعاهدة الثالثة التى اسفر عنها هذا المؤتمر الهام فقد تمثلت أهميتها فيما سمى بميثاق الدول التسع . والغرض منها هو إحترام سلامة أراضى جمهورية الصين وإستقلالها السياسى والادارى . وقد تم توقيعها فى ٦ فبراير ١٩٢٢ ونود الاشارة الى إنه فى نفس الوقت الذى كان فيه المؤتمر منعقدا دارت محادثات جانبية بين وفد كل من الصين واليابان حول اقليم شانتونج اسفرت عن موافقة اليابان على سحب قواتها من هناك فى غضون ستة أشهر وإعادة الاراضى المستأجرة ، كما اعيد خط سكك حديد تسنجتاو - تسينان الى الصين ، هذا بالاضافة الى قيام اليابان بالاعلان اثناء المؤتمر انها سوف تنسحب من سيبريا فى اسرع وقت ممكن[(١)] .

على أننا نلاحظ انه على الرغم من ان كل ما يتعلق بالصين هو امر حيوى وهام بالنسبة لروسيا ويثير اهتمامها بطريقة مباشرة ، فانها لم تدع لحضور المؤتمر فى الوقت الذى اتخذ فيه هذا المؤتمر قرارات تتعلق بمستقبل الصين اهمها :

- دعم حكومة بكين
- التأكيد على استمرار سياسة الباب المفتوح .
- العمل على تبديد مخاوف الصين من اى عدوان اجنبى .
- اعداد بعض المقترحات الخاصة بالغاء حق « امتداد القوانين » فى المستقبل بالنسبة للصين .

---

(١) تيدمان - أرثر : المصدر السابق ص ص ٥٥ ، ٥٦ .

ولقد حرصت الولايات المتحدة على ان يصدر عن المؤتمر قرارات ضمن بنود المعاهدات تدعو بطريقة غير مباشرة الى وضع نهاية للتحالف البريطاني – الياباني ، هذا التحالف الذى كان قد تم تجديده فى عام ١٩٠٥ ، وفى عام ١٩١١ . ولقد تراىء للولايات المتحدة فى عام ١٩٢٢ ان احدى مواد هذا التحالف تنص على دخول بريطانيا الحرب الى جانب اليابان فى حالة حدوث عدوان من جانب دولة ثالثة . اذن ماذا سيكون عليه الوضع لو ان هذه الدولة الثالثة كانت الولايات المتحدة ؟ امام هذا الافتراض الجديد أقرت بريطانيا ان معاهدة التحالف الودى البريطاني – الياباني لا يمكن تجديدها . ولكى تحقق بريطانيا للصين بعض أمانيها وتظهر لها حسن نواياها قبلت اعادة واى – واى – هاى اليها[1] .

واخيرا ، فان الهدف المتوخى من معاهدات فرساى ١٩١٩ ، ومعاهدات مؤتمر واشنطن ١٩٢٢ هو السعى الى حل المشكلات العالمية حول مائدة المفاوضات عقب الحرب العالمية الأولى . ولكن روح التعاون لم تكن سائدة بين من حضروا المؤتمرين . فالصين والولايات المتحدة كانتا تريان ان مصالحهما تقتضى رفض معاهدات فرساى فى اغلبها ، اما اليابان فقد ذهبت الى مؤتمر واشنطن كارهة متضررة ، اذا اعتبرت ان ما تمخض عنه المؤتمر من قرارات انما يعتبر تدخلا سافرا فى شؤونها فى منطقة الشرق الأقصى وآسيا برمتها ، كذلك أثار حفيظتها رفض الدول الاوروبية والولايات المتحدة مبدأ المساواة العنصرية الذى طرحته فى مؤتمر الصلح ، ولذلك نجد اليابان تعمل على تجاهل هذه الاتفاقات ، وتعمل فى نفس الوقت على تحصين ممتلكاتها فى المحيط الهادى وعلى تسليح نفسها باقصى قدر تتحمله امكاناتها الاقتصادية استعدادا ليوم نزال مشهود آمنت انه آت لا ريب فيه .

ولأن الهدف الرئيسى من انعقاد المؤتمر هو محاولة الولايات المتحدة الضغط على اليابان للتخلى عن بعض مكاسبها ، وهذا ما حدث فعلا ، اذ وعدت اليابان فى اتفاقات ملحقة ، بالجلاء عن كياوتشاو ، والاقليم البحرى ، ثم اضطرت فى النهاية الى القبول باعادة الخط الحديدى العابر لمنشوريا الى الصين ولذلك فان العسكريين اليابانيين ذوى النزعات التوسعية أظهروا إستياءهم الشديد . ويمكن القول بأن حقد اليابان على الولايات المتحدة بدأ منذ إنتهاء هذا المؤتمر .

---

(1) Grousset, R. Op. cit. P. 395

الفصل الرابع
الحرب اليابانية - الصينية (الثانية)

١ - جذور المشكلة

تضرب المشكلة الصينية – اليابانية بجذورها الى ما قبل الحرب العالمية الأولى ، وسبب هذه المشكلة هو أن اليابان قد اصبحت دولة كبرى على النسق الاوروبى وتزايد عدد سكانها تزايدا لا يتناسب بحال من الأحوال مع العدد القليل من المستعمرات الذى ورثته عن الالمان فى منطقة الشرق الاقصى أو فى فرموزا أو فى كوريا . بيد ان استيلاء اليابان على ميناء بورت – آرثر فتح اعينها على عملية التوسع الاستعمارى فى منشوريا . ولقد كانت منشوريا ارضا صينية . وكانت حكومة الصين الوطنية بزعامة تشيانج كاى شيك قد خرجت لتوها كما اسلفنا من حروب اهلية طاحنة فى نفس الوقت الذى بدأت اليابان فى شن حملة اقتصادية على منشوريا توطئة للاستيلاء عليها وابتلاعها .

لقد نمت صادرات اليابان ووارداتها مع منشوريا وقام اليابانيون بتنفيذ مشروعات اقتصادية وخطوط حديدية واسعة النطاق . وفى نفس الوقت هاجر الى منشوريا عشرات الالوف من اليابانيين . ومن ناحية أخرى نجد أن القيادة العسكرية اليابانية شديدة التحمس لتحقيق التوسع اليابانى فى منشوريا خلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين .

ونرى الوضع الداخلى فى اليابان قبيل اندلاع الحرب ممثلا فى اجراء انتخابات عامة فى عام ١٩٢٥ قبل تولى الامبراطور هيرو هيتو الحكم بعام واحد . وظل ذوو الاتجاهات المعتدلة ممسكين بزمام السلطة بزعامة شيديهارا (Shidihara) . ولكن بعد ان حل البارون تاناكا رئيسا للوزارة تصاعدت موجة الاتجاهات الفاشية بشكل واضح . وقد ورد فى « مذكرة تاناكا » الشهيرة والتى تمت ترجمتها – ما يؤيد الاحداث التى وقعت عام ١٩٤١ ، ١٩٤٤ فهناك مقتطفات من هذه المذكرة تنم عن فحوى هذه المذكرة باجمالها مثل : « من اجل ان تتولون جلالتكم المهمة التى انيطت بكم فى بعث عهد جديد فى الشرق الاقصى وانشاء امبراطورية على مستوى القارة . . . فانه بمجرد غزو الصين ، فان كافة اقطار آسيا الاخرى سوف تستسلم امامنا ، ولسوف يفهم العالم ان آسيا لنا ، ولسوف لا يجرؤ أحد على التدخل وحين نصبح سادة الصين فلسوف نغزو الهند وآسيا الصغرى وآسيا الوسطى . . وأوروبا . وأن أول ما ينبغى عمله هو ضمان السيطرة على منشوريا ومنغوليا[1] . . . » .

---

(1) Grousset, R. op. cit. P. 404

ولن نستطيع بطبيعة الحال ان نرى المشكلة فى إطارها الصحيح ، والمزاج السياسى الدولى الذى تحكم فيها دون ان نرى ما كانت عليه الأحوال فى اوروبا فى تلك الاونة . لقد انشغلت اوروبا منذ عام ١٩٣٥ بمشكلة اثيوبيا وظهور الفاشية فى ايطاليا ، وظهور هتلر على المسرح الاوروبى ، فضلا عن الحرب الأسبانية ، لذلك فان اهتمامات اوروبا بما يجرى فى منطقة الشرق الاقصى لم يلفت نظر اوروبا بالقدر المطلوب . ولم يكن يدور بخلد احد ما كان يحدث داخل الصين ، وكيف كان الشيوعيون هناك يعدون جيشهم فى تكتم شديد ، لذلك لم يكن هناك أى رد فعل اوروبى سريع ازاء سيطرة اليابان على منشوريا واقامة حكومة منشوكو على نحو ما سنرى .

وقامت الحكومة الامريكية بتقديم احتجاج واه لافتة الانظار الى سياسة الباب المفتوح ولكن الولايات المتحدة وجدت من الاحصاءات أن اليابان أكثر أهمية عن الصين بثلاثة اضعاف بالنسبة للتجارة الامريكية . لذلك لما قامت اليابان بالتحلل من معاهدة واشنطن لعام ١٩٢٢ التى كانت تنص على تحديد نسبة القوة البحرية فى المحيط الهادى ، كما خرجت كذلك من مؤتمر لندن الذى كان يطالب اليابان بتحديد حمولة اسطولها ، فان بريطانيا هى الاخرى لم تحرك ساكنا .

لقد كانت الدولة الوحيدة التى انزعجت ايما انزعاج من التقدم اليابانى هى روسيا السوفيتية . ولعلنا نذكر ان الدولتين كانتا قد تصادمتا منذ عام ١٨٩٤ وهذا التنافس اليابانى – الروسى اثار انتباه الدول الاوروبية كما اثار الولايات المتحدة بنفس القدر . وسوف نرى ان الدول الغربية بدأت تدرك ان قيام اليابان بدور الشرطى فى المنطقة لن يخضع بصفة دائمة للدول الاخرى وان اليابان ستحاول لامحالة ان تحظى بنصيب الاسد .

وقد حاولت الحكومة الصينية جاهدة – وكانت قد أصبحت عضوا فى عصبة الامم – جذب انتباه الدول الكبرى الى المخططات التوسعية اليابانية دون ان تتحرك هذه الدول اى تحرك إيجابى وذلك بسبب الأزمة الاقتصادية التى اجتاحت العالم عام ١٩٢٩ ، من ناحية بالاضافة الى نمو الفاشيه فى ايطاليا والنازية فى المانيا من ناحية اخرى هذا فضلا عن إنشغال الاتحاد السوفيتى بمشكلاته الداخلية ، وعدم إنضمامه الى عصبة الامم . يضاف الى كل ذلك ان عصبة الامم قد تدهورت مكانتها بوجه عام ، وخاصة بعد إنسحاب المانيا منها عام ١٩٣٣ وانسحاب ايطاليا منها عام ١٩٣٦[١] . ومن جهة اخرى نجد ان نسبة الصينيين

---

(١) د . عبد العزيز نوار ، د . عبد المجيد النعنعى : المصدر السابق ، ص ص ٥٩٥ ، ٥٩٦ .

الى جميع سكان منشوريا البالغ عددهم ٣٠ مليونا عام ١٩٣١ قد بلغت نسبة ٩٠ ٪ وهكذا تكون الصين قد احتفظت بمنشوريا ليس فقط بحق السيادة القانونية ، وانما كذلك بحق الاستيطان العنصرى .

ولقد تجلى الصراع الاقتصادى بين كل من الصين واليابان حول خطوط سكك حديد منشوريا . ففى حين تمسكت اليابان بموافقة الصين فى معاهدة ١٩١٥ المبرمة بينهما بالا تقوم بانشاء خطوط حديدية فى منشوريا تنافس الخطوط الحديدية التى تمتلكها اليابان ، فان الصين انكرت هذا الادعاء ، وشرعت فى بناء خطوط حديدية تنافس الخطوط اليابانية فى كل شيء فيما عدا نقل المنتجات الداخلية الى الموانيء التى تسيطر عليها الصين ، وكذلك نقل هذه المنتجات خارج بورت - آرثر .

وبتزايد المنافسات الاقتصادية بين اليابان والصين فى منشوريا تعددت فرص الاحتكاكات بين الشعبين فى منشوريا وتصاعدت الدعوة بين التوسعيين اليابانيين لاستغلال هذه الاحتكاكات من اجل شن هجوم شامل ضد الصين . وقويت هذه الدعوة فى اعقاب ارتفاع نسبة البطالة فى اليابان بسبب الازمة الاقتصادية الدولية . وهكذا اصبحت الحرب ضد الصين علاجاً مرتقباً لمشكلتى البطالة والكساد الاقتصادى القومى اليابانى ، وبخاصة لخلق مجالات لاستيعاب الفائض البشرى اليابانى المتراكم .

٢ - بدء الصراع الفعلى

لقد استغلت حكومة اليابان وقوع حادثة تخريب وقعت عند الخط الحديدى اليابانى فى منشوريا ، وبدون اعلان الحرب زحف الجيش اليابانى فى كوانتونج ليستولى على المواقع الاستراتيجية الرئيسية فى جنوب منشوريا فى شهر سبتمبر ١٩٣١ .

واستنجدت الصين بعصبة الامم مستندة الى نص المادة ١١ من الميثاق التى تحث على إتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع وقوع عدوان على سلامة إحدى الدول ، كما استنجدت بالولايات المتحدة إستنادا الى ميثاق عام ١٩٢٨ الذى كانت قد وقعته الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وايطاليا ، والمانيا ، والاتحاد السوفيتى ، واليابان الذى يقضى بمنع الحروب ، والعمل على تسوية المشكلات بين الدول بالطرق السلمية ، وهو الميثاق الذى عرف باسم ميثاق برياند كيلوج (Briand Kellog Pact) .

ولما تقدم تشيانج كاى شيك بشكوى الى عصبة الامم ، صدر قرار العصبة فى ٣٠ سبتمبر ١٩٣١ بالزام اليابان بسحب قواتها من الاراضي التى احتلتها مع تلطيف عبارة

الالزام هذه بتحفظ تقليدى يقول « على أن يكون ذلك بالكيفية التى تكفل سلامة الرعايا اليابانيين » ، مما قلل من فاعلية القرار .ثم ما لبث ان صدر قرار آخر فى ٢٤ اكتوبر يقضى بسحب القوات اليابانية ، الامر الذى رفضته اليابان(١) .

واثناء اعادة طرح القضية فى جنيف تفاقم الصراع بين الصين واليابان نتيجة مقاطعة البضائع اليابانية ، وتم قتل بعض اليابانين فى شنغهاى . وخاب ظن تشيانج كاى شيك فى فى الداخل ، ولكن تشيانج كاى شيك كان يرى دوما ان ينهى الوضع مع الشيوعيين قبل التصدى للغزاة اليابانيين . لذلك كان اسلوبه هو السعى للتفاهم مع العدو اليابانى ، ولذلك أيضا عرض فى ٣١ مايو ١٩٣٣ ان يجرى ابرام هدنة بين الصين واليابان تقضى بانسحاب القوات اليابانية والقوات الصينية من على جانبى السور العظيم تاركة فيما بينهما مساحة من الاراضى يمكن ان يقال انها ليست ملكا لاحد حسب التعبير المشهور (No Man's Land) .

وفى هذا الوقت بالذات تسرب الشيوعيون الى هونان والحوض الادنى لنهر اليانجستى وصارت نانكين مهددة ايضا . وظل تشيانج كاى شيك حتى نوفمبر عام ١٩٣٩ امام عدو متربص لا قبل له على صده مباشرة لذلك فانه عمد الى اللجوء الى فرض حصار قوى على الشيوعيين بعد ان ضيق عليهم الخناق فى نفس المناطق التى اختاروا احتلالها ولكنها لم تكن توفر لهم فى نفس الوقت المواد الغذائية اللازمة لحياتهم .

وخرج الشيوعيون جماعات صغيرة ، الواحدة تلو الأخرى من دائرة الحصار المضروبة عليهم وشرعوا فيما سمى فى التاريخ الصينى بالمسيرة الطويلة التى طوقت انباؤها الافاق بما تضمنته من مشقة بالغة ، ونظرا لعدد من قاموا بها ، والمسافة الهائلة التى قطعوها فى هذه المسيرة التى سنعرض لها مرة اخرى فى مكان آخر من هذا المؤلف واتخذت المسيرة اتجاه الجنوب أولا على أمل أن تتلقى بعض الدعم من إقليم فوكين ثم انحرفت المسيرة ناحية الغرب لتصعد بعد ذلك ومعها سلاحها وامتعتها ونساؤها واطفالها نحو الشمال عشرة الاف كيلو مترا سيرا على الاقدام واستمرت ما يزيد على سنة حافلة بالكوارث والمصاعب فى مقاطعة شانسى (Chensi)(٢) .

وتابعت القوات اليابانية زحفها للاستيلاء على كل منشوريا ، وبعد ان تحقق لها ذلك عملت على تكوين حكومة محلية ، واعلنت استقلال منشوريا تحت اسم جديد هو اسم

---

(1) Grousset, R. op. R.pp. 404-405.

(2) Grousset, R. Ibid. P. 467

منشوكو فى عام ١٩٣٢ . ووضع اليابانيون على رأس هذه الدولة المصطنعة امبراطور الصين السابق بو – يى (Pou-Yi) . ولم تكتف اليابان بذلك ، فتابعت توسعها ، واستولت على اقليم جيهول (Jehol) الذى يقع بالقرب من بكين .

على انه تجدر الاشارة الى ان تدهور قوة عصبة الامم كان فى حد ذاته سببا فى تزايد أطماع اليابان وعدم اكتراثها بالمجتمع الدولى وتجلى ذلك فى انسحابها من العصبة فى ٢٨ مارس ١٩٣٣ ، وشرعت فى القيام بدور سياسى كبير فى منطقة شرق اسيا مشابه لدور الولايات المتحدة الامريكية ، ومبدأ « مونرو » فى العالم الجديد ، وذلك بادعائها بانه لا يحق لدولة غير أسيوية ان تتدخل فى شئون الشرق الاقصى . وفى سبيل ذلك عملت على تنمية أسطولها البحرى ليكون نظيرا للأسطولين الامريكى والإنجليزى ، فخلق ذلك التصرف من جانب اليابان تسابقا رهيبا فى القوة البحرية بين هذه الدول .

ولكن كما رأينا فى حملة سيبريا ، ولما لم تنته الحرب العالمية الاولى بعد ، فان هذا النمو الاستعمارى اليابانى أدى إلى قيام الولايات المتحدة بتعديل سياستها تجاه الشرق الاقصى ، وخصوصا تجاه الاتحاد السوفيتى ، والتى وضعت اليابان كحاجز فى مواجهته فى اول الامر درءا لمخاطر الشيوعية . ثم بعد ذلك تعترف الولايات المتحدة بالاتحاد السوفيتى تمهيدا لوضع سياسة مشتركة امريكية – روسية لمحاربة الخطر اليابانى المشترك .

ومع ذلك . فان الولايات المتحدة طلبت من اليابان ان تبقى على سياسة الباب المفتوح فى الصين امام الجميع لكى تستفيد الدول الغربية من هذه السياسة على قدم المساواة . ولذا نجد الخطوات التى اتخذت لمناهضة اليابان ظلت لها صفة السلبية – الامر الذى جعل اليابان تقدم على خطوة جديدة اكثر خطورة على نفسها ، وهى محاولة وضع الصين بكاملها تحت السيطرة الاقتصادية اليابانية طوعا أو كرَها .

ورفضت الصين ان تصبح بمحض اختيارها بمثابة مستعمرة يابانية ، لذلك وقعت الحرب الصينية – اليابانية فى عام ١٩٣٧ ولقد تعللت اليابان فى ذلك بان أرواح اليابانيين تتعرض للخطر ، كما عمدت اليابان الى مباغتة الصين بضربة قبل ان تستكمل استعداداتها العسكرية بقيادة تشيانج كاى شيك الذى كان عدوا لدودا لليابانيين . ولما وقعت حادثة على الحدود بين القوات الصينية والقوات اليابانية عند مدينة أوين – بنج (Ouen - Ping) فى شهر يوليو ١٩٣٧ طالبت اليابان بسحب الجيوش الصينية من الشمال وكان معنى ذلك ان مصير الشمال الصينى سوف يكون شبيها بمصير منشوريا ، فرفضت حكومة تشيانج كاى شيك هذا

الطلب . وزحفت الجيوش اليابانية الى بكين واستولت عليها فى ١٨ يوليو ١٩٣٧ ، وعلى شنغهاى ونانكنج فى السنة التالية ، بل وعلى شمال الصين بأسره وجانب من الصين الوسطى ، وشواطىء الصين الجنوبية ، بينما لجأت حكومة تشيانج كاى شيك الى منطقة تشونج كينج (Tochung - King) لتعاود القتال بعد ذلك .

لقد كانت الصين ترتكز فى حقيقة الامر فى مجابهتها لهذا الغزو اليابانى على عدة مرتكزات منها :

أ – ان اليابان تود الانتصار فى حرب خاطفة للقضاء على قوة الكفاح الصينى وارغام الصين على قبول شروطها ، واذا باليابان تجد نفسها متورطة فى حرب طويلة المدى وعلى مساحات مترامية .

ب – ان القوات اليابانية عمدت الى السيطرة على المدن وعلى المواقع الاستراتيجية فقط ولكن الريف الصينى ظل بكامله تقريبا تحت سيطرة الصينيين بما يهدد اليابان بحرب عصابات تستنفد قواها .

جـ – ان اليابانيين كانوا يعتقدون ان حكومة تشيانج كاى شيك سوف تسقط بعد الضربات الاولى ، ولكن القائد العسكرى ظل مسيطرا على المقاومة الشعبية رغم التفوق اليابانى الساحق فى المعدات العسكرية .

د – ان سياسة اليابان الاقتصادية فى الصين بدأت تهدد امتيازات الدول الاوروبية فيها – الامر الذى يدعو الى زيادة تحرك هذه الدول ومعها الولايات المتحدة ضد اليابان .

ولقد استمرت هذه الحرب بين الصين واليابان الى ان وقعت الحرب العالمية الثانية لتصبح هذه الحرب جانبا من جوانب الحرب العالمية وجزءاً مهما للغاية بعد قيام اليابان بضرب بيرل هاربور فى عام ١٩٤١ . ولكننا قبل ان نتطرق الى الحديث عن معركة بيرل هاربور واهميتها قد يحسن بنا ان نلقى مزيدا من الضوء على اليابان على المسرح الاوروبى قبل دخولها معمعة الحرب العالمية الثانية .

٣ - اليابان على المسرح الاوروبى

كان العسكريون اليابانيون يظنون ان الجنود اليابانيين سوف يجرى استقبالهم فى كل ارجاء آسيا باعتبارهم رجال التحرير بالنسبة لهم أينما آتوا لتحريرهم من ربقة الاستعمار الغربى ، ومن ثم كانوا يتوقعون ان يقبل الآسيويون نوعا جديدا من العبودية طوعا فى ظل امبراطورية آسيا الكبرى (Empire de Grande Asie) ولقد كان الشعور القومى الآسيوى قد استيقظ فى كل ارجاء آسيا وفى الصين على وجه اخص . ومع ذلك فان الوسائل

والاساليب الاستعمارية التى اقدمت عليها اليابان فى كل من كوريا ومنشوريا لم تكن فى حقيقة الامر أكثر شفقة عما كانت تمارسه الشعوب البيضاء الاوروبية . وعلى كل حال فقد عمد الجيش اليابانى الى جر اليابان نحو عمليات غزو احاطها بالامال الوردية .

ولقد رأينا فيما سبق كيف بدأت اليابان تحتل اهمية كبرى على مسرح الاحداث الاوروبى وسنرى الان انها قامت بدور بارز وهام وتبوأت أهمية بين هذه الدول على النحو الاتى :

أ - علاقات اليابان مع كل من المانيا وروسيا

حين احتلت اليابان منشوريا وجد الاتحاد السوفيتى نفسه فى موقف شاذ فى منطقة الشرق الاقصى ، وذلك بالنظر الى أن الاتحاد السوفيتى يسيطر على الخط الحديدى الذى يمر فى شرق الصين . فبادرت روسيا الى عرض بيع هذا الخط على اليابان . وتمّ ذلك فى عام ١٩٣٥ . وتبقى الامور طبيعة عند هذا الحد ، لكن الخصومة الحقيقية بين اليابان والاتحاد السوفيتى نمت وترعرعت فى عام ١٩٣٦ ، وذلك حينما قامت اليابان بتوقيع ميثاق مناهضة « الكومنترن » بالاشتراك مع المانيا وايطاليا فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦ .

ولقد كانت اليابان تشعر بالعزلة حينما تحللت من التزامها بمعاهدة واشنطن البحرية نهائيا فى عام ١٩٣٥ ثم بانسحابها من مؤتمر لندن البحرى[1] . فى يناير ١٩٣٦ لذلك رأت فى انضمامها لميثاق « مناهضة الكومنترن » الشيوعى كسرا لهذه العزلة مع الغرب ، ولا سيما اذا اضفنا الى ذلك انسحابها من عصبة الامم . على أن ميثاق « مناهضة الكومنترن » كان يتضمن عدة مواد سرية تنص على التشاور فيما بين الدول الموقعة فى حالة قيام الاتحاد السوفيتى بالاعتداء أو التهديد بالاعتداء على أى واحدة منها . كما نص الميثاق ايضا على منع ابرام أى اتفاق سياسى مع الاتحاد السوفيتى .

ووقعت مناوشات بين اليابان وروسيا تمكن فيها الجيش اليابانى من فتح بعض الثغرات داخل « جيش الشرق الاقصى » السوفيتى . وفى يوليو ١٩٣٨ حاول كذلك الجيش اليابانى احتلال منطقة تقع على الحدود بين منشوكو وسيبريا كانت روسيا تدعى ملكيتها . ونشبت

---

(١) الواقع ان قرارات مؤتمر واشنطن لم تطبق الا على السفن الحربية الكبرى والطرادات الكبرى وفى عام ١٩٣٠ نصت قرارات مؤتمر لندن على تطبيق نفس المبدأ تقريبا على الفئات الاصغر حجما من السفن الحربية – والحق يقال ان نزع السلاح البحرى فقد كل أهمية عملية له بتخلى اليابان فى ديسمبر ١٩٢٤ عن اتفاقيتى واشنطن لعام ١٩٢٢ ولندن لعام ١٩٣٠ .

معركة ثانية ادركت فيها اليابان الا سبيل لها لمواجهة روسيا عسكريا فبادرت الى تسوية النزاع معها .

ولقد ترددت الانباء حينذاك بان المانيا عقدت فى ٢٣ اغسطس ١٩٣٩ ميثاق عدم اعتداء مع الروس – الامر الذى اظهر المانيا بمظهر من خرق ميثاق « مناهضة الكومنترن » . وبرغم ذلك فإن اليابان انضمت الى الميثاق الثلاثى ، الذى وقع فى برلين فى شهر سبتمبر ١٩٤٠ واعترفت اليابان بمقتضاه بحق المانيا وايطاليا فى تقرير مصير أوروبا وفى مقابل ذلك تعترف هاتان الدولتان باطماع اليابان فى فرض نظامها الجديد فى منطقة شرق اسيا(١) .

والعجيب فى الامر انه بعد توقيع هذا الميثاق تم تبادل مذكرات سرية بين اليابان والمانيا توافق فيها المانيا على أنه ليس هناك ما يدعو الى اعلان حرب ، اذا ما وقع اعتداء من دولة ثالثة ، ودعت المانيا لمساعدة اليابان على ابرام ميثاق عدم الاعتداء مع روسيا بل ان هتلر كان قد اصدر تعليمات مشددة بعدم تسرب الانباء الى اليابان حول نية المانيا مهاجمة روسيا . لذلك نرى ان وزير الخارجية اليابانى يقوم فى ١٤ ابريل ١٩٤١ بتوقيع ميثاق حياد مع روسيا مدته خمس سنوات . وبعد ذلك بأقل من شهرين دخلت المانيا الحرب ضد الاتحاد السوفيتى .

ب – علاقات اليابان مع الولايات المتحدة

لقد وقفت الولايات المتحدة عقبة كأداء فى سبيل التوسع الاستعمارى اليابانى نحو الجنوب اى جنوب شرق اسيا . وقد كانت لهفة اليابان فى التوصل الى معاهدة مع الروس كما حدث فى إبريل ١٩٤١ – بمثابة الحصول على نوع من الضمان بعدم حدوث اى اعتداء يأتى من الشمال ، إذ كان اليابانيون يعتقدون ان هناك فرصة مواتية وفرتها لهم الحرب العالمية الثانية لكى يتوسعوا صوب الجنوب .

أما وقوف الولايات المتحدة كعقبة كاداء فى سبيل التوسع اليابانى فى تلك الجهة فقد تمثل ذلك فى أن اليابان كانت تريد فى سنة ١٩٤٠ – ١٩٤١ ان تنتهى حربها مع الصين بنجاح ولكن مفتاح ذلك كان فى يد الولايات المتحدة لانها كانت تقدم المساعدات المادية والمعنوية لحكومة تشيانج كاى شيك من جهة ، ومن جهة أخرى نجد أنه حينما اصدر آريتا وزير الخارجية اليابانى بيانا يؤكد فيه قوة العلاقات الاقتصادية بين اليابان وجزر الهند الشرقية الهولندية ، كانت الولايات المتحدة تعمل فى نفس الوقت على تشجيع الهولنديين على

(١) بين ، آرثر : الشرق الاقصى ص ٢٢١ .

مقاومة اليابانيين ورفض مطالبهم . وكانت الولايات المتحدة تقتصر فى هذه الفترة التى بدأت فى عام ١٩٣٠ على تطبيق مبدأ عدم الاعتراف بأى تغيير يطرأ على منطقة شرق آسيا كنتيجة للحرب ، فاذا بها تعمد منذ يوليو ١٩٣٨ الى فرض حظر على شحن المواد الحربية لليابان ، ثم اتبعت ذلك فى عام ١٩٣٩ بفسخ المعاهدات التجارية التى كانت قائمة بينها وبين اليابان منذ عام ١٩١١ ، ثم لجأت الولايات المتحدة الى إجراء اكثر عنفا وهو قيامها بانشاء نظام يتم بمقتضاه ضرورة الحصول على ترخيص بتصدير البترول والمعادن لليابان .

أخذ اليابانيون يشعرون – والحالة هذه – انهم لكى يحققوا اهدافهم فى التوسع لابد لهم من القيام بعقد اتفاق مع الولايات المتحدة للتقريب بين وجهتى النظر . ودارت مفاوضات طويلة فى ربيع عام ١٩٤١ لتحقيق هذا الغرض اشترك فيها الادميرال اليابانى نومورا سفير اليابان فى الولايات المتحدة وكوردل هل وزير الخارجية الامريكية . وامتدت المحادثات لبضعة شهور حتى يوليو ١٩٤١ . ولم تسفر هذه المحادثات عن شىء ملموس . وقد تركز الخلاف فى اصرار الولايات المتحدة على انسحاب اليابانيين من الصين ومن الهند الصينية . وتم عقد مؤتمر امبراطورى فى ٢ يوليو ١٩٤١ قررت فيه الحكومة اليابانية تنفيذ خططها بشأن الهند الصينية حتى ولو كانت نتيجة ذلك اندلاع الحرب بينها وبين كل من انجلترا والولايات المتحدة .

وقد علم الامريكيون بهذا القرار الامبراطورى وذلك عن طريق اكتشافهم لمفتاح الشفرة التى استخدمها اليابانيون فسارعوا الى تجميد اموال اليابانيين فى الولايات المتحدة . وحذت كل من انجلترا وكندا حذو الولايات المتحدة . وهكذا وجد اليابانيون نفسها أمام موقف بالغ الحرج إذ أعلنت حكومة الهند الشرقية الهولندية من ناحية أخرى وجوب استخدام تراخيص لجميع انواع التجارة ، ومع ذلك فقد قامت اليابان باحتلال منطقة فى جنوب الهند الصينية فى ١٩ يوليو ١٩٤١ .

ولقد أرادت اليابان كما أسلفنا العمل على تحييد الموقف الامريكى فسعت فى ٦ اغسطس ١٩٤١ الى تقديم مقترحات جديدة للامريكيين تتعهد فيها بعدم التوسع منذ ذلك الوقت فصاعدا وان تترك الهند الصينية عندما تفرغ من حربها مع الصين – تلك الحرب الطويلة التى بدأت كما رأينا منذ عام ١٩٣٧ وان تضمن سلامة جزر الفلبين . وطلبت اليابان فى مقابل ذلك ان توقف الولايات المتحدة استعداداتها العسكرية فى منطقة الشرق الاقصى وان تلغى الحظر المفروض على التجارة ، وان تعترف بمركز اليابان فى الهند الصينية وان تمارس الضغط السياسى علي تشيانج كاى شيك من اجل إنهاء الحرب الصينية – اليابانية .

لكن فى ٨ اغسطس ١٩٤١ اى بعد انقضاء يومين من تقديم تلك الاقتراحات اليابانية اعلنت الولايات المتحدة رفضها لتلك المقترحات . وفى ٦ سبتمبر ١٩٤١ تم عقد مؤتمر امبراطورى تم الاتفاق فيه على الحد الادنى لما تطلبه اليابان والحد الاقصى لما يمكن ان تقدمه من تنازلات ، وتقرر ان تستعد اليابان لدخول الحرب اذا لم تظهر أية بادرة على نجاح المفاوضات فى أوائل شهر اكتوبر . وحث ما توقعته اليابان فى اكتوبر حيث قام وزير الخارجية الامريكية باستدعاء سفير اليابان ليسلمه مذكرة تعلن عدم ارتياح امريكا للاقتراحات المقدمة من اليابان فى سبتمبر ١٩٤١ . وكان تفسير ذلك فى نظر الجنرال توجو وزير الجيش اليابانى ان المفاوضات قد انتهت وان على اليابان ان تستعد للحرب

كان زعماء الجيش اليابانى يرون أن الحكمة تقضى بتوجيه ضربة قاصمة الى الامريكيين وذلك قبل انقضاء فصل الشتاء وان هذه الضربة ان لم يتم توجيهها فى ذلك الوقت فان على اليابان ان تنتظر سنة كاملة اخرى وحينذاك سوف يكون الحظر التجارى قد أثر فى امكاناتها .

وخلف توجو سلفه كونوى فى رئاسة الوزارة اليابانية وكان كونوى يعارض فى دخول الحرب . لذلك أرسلت اليابان تعليماتها الى الأدميرال نيمورا تنص على انه يجب ان تقبل الشروط اليابانية فى مهلة اقصاها ٢٥ نوفمبر ١٩٤١ والا سوف لا يكون فى مقدور اليابان منع تدهور الاوضاع . وبالطبع رفض وزير الخارجية الامريكى هذه الشروط فى ٢٦ نوفمبر . وفى أول ديسمبر انعقد مؤتمر امبراطورى للتصديق على قرار دخول اليابان الحرب . ومن ثم صدرت الاوامر التنفيذية باللاسلكى الى القوات اليابانية التى كانت قد نزلت بالفعل الى عرض البحر لضرب ميناء بيرل هاربور وهكذا تكيفت العلاقة بين اليابان والولايات المتحدة بان اكتشفت اليابان ان مفتاح توسعها صوب الجنوب وتحررها من ربقة الصدام مع الصين هو بين يدى امريكا . ولما لم تفلح اليابان فى التفاهم بطريق التفاوض مع الولايات المتحدة وصلت الى نقطة الصدام فى حرب فعلية .

ضرب بيرل هاربور ١٩٤١

لقد ظلت اليابان تسعى جاهدة للخلاص من الموقف المتأزم فى حربها مع الصين . وكان هناك عدد من القادة اليابانيين يرون ان تحسين الاوضاع مع بريطانيا وأمريكا هو أفضل حل لايجاد نوع من التوازن إزاء التهديد الروسى . كذلك كان هناك فريق مقتنع بأن المانيا سوف تكسب الحرب . وكان على رأس هؤلاء وزير الخارجية كونوى (Kenoe) . وكانت الشواهد

على ذلك متمثلة فى عملية اجتياح المدرعات الالمانية المشهورة (Blitzkrieg) بسرعة البرق والتى تمكنت فيها هذه المدرعات من اجتياح هولندا وبلجيكا وفرنسا فى الفترة من ١٥ مايو حتى ٤ يونيو ١٩٤٠ – الامر الذى بلغ ذروته فى تمكن المانيا من ارغام الحلفاء على اخلاء دنكرك .

كذلك نجد ان الغارات الجوية الالمانية على بريطانيا قد استمرت فى الفترة من اغسطس حتى نوفمبر ١٩٤٠ ، وبلغت هذه الغارات ذروتها فى شهر سبتمبر ١٩٤٠ حينما اخفق جورنج وسلاح الطيران الالمانى بالكاد – بعد ان كان على مقربة من حافة النصر – فى تحقيق تحطيم السلاح الجوى البريطانى . وبذلك لم يتحقق الحلم الالمانى فى غزو الجزر البريطانية الامر الذى لو كان قد تحقق فلربما انتهت الحرب لصالح الالمان .

لذلك جاءت الخطوة المتسرعة التى خطاها وزير الخارجية اليابانى ماتسوكا (Matsuka) بالاقدام على توقيع الميثاق الثلاثى (Tripartite Pact) مع كل من ايطاليا والمانيا فى نفس شهر سبتمبر ١٩٤٠ . وقد رأينا فيما سبق ان اليابان قامت بعقد اتفاقية حياد مع روسيا فى ابريل ١٩٤١ وظنت اليابان انها سوف تتنفس الصعداء مرة اخرى . ولكن فى شهر يونيو من نفس العام وبعملية مفاجئة تماما وجه هتلر اهتماماته لمهاجمة روسيا دون ان يخطر اليابان بذلك وبصرف النظر عن دوافعه لهذا التكتم فقد اسقط فى يد اليابان اذ وجدت نفسها أمام أحد امرين : اما ان تحترم التزاماتها طبقا للميثاق الثلاثى مع المانيا واما ان تحترم حيادها مع روسيا . وفضل اليابانيون ان يتمسكوا باتفاقهم مع الروس وحدث تعديل حكومى يابانى اسقط ماتسوكا من الحكومة وقد كان من اشد اليابانيين تعاطفا مع المانيا .

وفى هذا الظرف ظهر عامل اقتصادى دفع الامور دفعا نحو معركة بيرل هاربور . لقد تسببت الحرب الصينية – اليابانية التى استطال امدها فى شدة احتياج اليابانيين للبترول فى حين ان الولايات المتحدة قد فرضت حظرا فى عام ١٩٤٠ على تصدير عدد من المواد الاستراتيجية لليابان بدأتها بالحديد الخردة ثم اتبعت ذلك بالصلب واخيرا عمدت الى حظر تصدير البترول لليابان .

وحدث توتر داخلى فى اليابان بين دعاة الحرب ودعاة التفاوض . وقد استقر الرأى على بدء الاستعدادات الحربية فى شهر سبتمبر ١٩٤١ . وذكرنا ان نومورا (Nomura) وزير الدفاع اليابانى كان يجرى المباحثات فى واشنطن فى تلك الاثناء . وفى ١٧ اكتوبر اعلن توجو التعبئة العسكرية . لقد كانت الشروط الامريكية التى تلقاها نومورا متشددة فليس هناك اقل من انسحاب كافة القوات اليابانية من الهند الصينية والصين ، ومنشوريا . وفى أول ديسمبر

اجـتـمع المجلس الامـبـراطورى للدخـول فى الحـرب مـع الولايات المتـحـدة – اذا مـا كـان ذلك ضروريا .

وتم الهـجـوم المرتقب على بيرل هاربور من جانب الاسطول اليابانى والطـائرات اليابانية صبيحة يوم الاحد ٧ ديسمبر ١٩٤١ وكان ذلك الهجوم مفاجأة كاملة حتى ان نومورا نفسه لم يحط علما بما اقدمت عليه حكومته الا بعد ان عاد الى السفارة اليابانية فى واشنطن بـعد انقضـاء احدى جلسات المباحثات مع وزير الخارجية الامريكى كورديل هل ، الذى ظن بطبيعة الحال ان الامر كان يتضمن خديعة للامريكيين .

ونأتى الآن على حصيلة هذا الهجوم : لقد تمكن الاسطول اليابانى من ضـرب مـيناء بيرل هاربور فى سرعة مذهلة . والغريب ان الامريكيين لم يعيروا التـفـاتا للتـحـذيرات التى سجلتها أجـهزة الرادار الامريكية من اقتـراب بعض الطائرات . وتم تدمير سبـعة مـدمـرات حربية امريكيـة الى جـانب عدد كبير من الزوارق ، كـمـا أمكن لليـابانيين تدمـيـر نحـو نصف طائرات الولايات المتحدة فى هاواى . وفضـلا عن ذلك قام اليابانيون فى نفس الوقت بهجمـات مركزة على كل من الفلبين وهونج كونج والملايو . ففى الفلبين تم ضـرب الطـائرات الامريكيـة وهى جاثمة على ممراتها وامكن تدميرها تماما . وفى سنغافورة تم اغراق المدمرة البريطانية الشهيرة « برنس اوف ويلز » والباخرة الحربية « ريبالص »[1].

وبعد ان صـارت اليابان الآن حرة طليقة من أن أى تهديد بحرى امريكى تحركت بسـرعة فائقة على اتسـاع المحيط الهادى فسقطت هونج كونج فى أيديهم يوم ٢٥ ديسمبر . ومـانيلا فى ٢ يناير ١٩٤٢ وباتان فى إبريل ، وكور يجيدور فى مايـو . وتم الاستيلاء على سنغافـورة فى ١٥ فبراير . كذلك تم الاسـتيلاء على جـزر الهند الشرقيـة الهولندية (اندونيسيا) فى أوائل مارس ١٩٤٢ ، وبورما فى نهاية ابريل ١٩٤٢ . وفى خلال ستة شهور فقط من الهجوم الاول على بيـرل هـاربور كـانت اليـابان تـعـد العـدة للتـقـدم نحـو اسـتـراليـا . ولكن خطوط مواصلاتهـا أصـبـحت ممتدة كـمـا كانت استـعـدادات الولايات المتحدة تجرى على قدم وسـاق للهجوم المضاد[2] .

ولقد يتبـادر الى الذهن التسـاؤل عمـا كـان يدور فى أذهان القـادة العسكرين اليـابانيين حينذاك . لقد كان فى ظنهم ان يبادروا بعد ذلك باحتلال منطقة شرق اسيا ثم يتوقفون بعـد

---

(1) Morton, W.S. Op. cit. P. 197

(2) Morton, W.S. Ibid. P. 198

ذلك لاتخاذ موقف دفاعي بعد تثبيت مواقعهم . وكان فى تصورهم أن أمريكا وبريطانيا سوف لن يتسنى لهما النهوض من هذه الصدمة قبل انقضاء بضعة سنوات وبذلك تكون اليابان قد تمكنت من تنظيم مواردها لمواصلة الغزو وبناء قوة اقتصادية عسكرية تكفى لإرغام اعدائهم للسعى نحو الصلح ، كذلك كان هناك الامل فى انتصار الالمان على الساحة الاوروبية - الامر الذى يسفر بالتالى عن انهزام بريطانيا فتصبح عاجزة عن مساندة امريكا فى المحيط الأطلنطى ، الامر الذى يشغلها هى الاخرى عن المحيط الهادى ولننظر الان ماذا حدث ؟

حدث ان قوة الاقتصاد الامريكى قد وفر للامريكيين قوة ضاربة وجبارة ، وتمكن الجنرال ماك ارثر من الاندفاع فى فبراير ١٩٤٥ من غينيا الجديدة التى توقف عندها الزحف اليابانى الى مانيلا . وما لبثت القوات الامريكية ان تمكنت من الوصول الى اوكيناوا بفضل مجهود الأدميرال نيميتز واحتلاله جزيرة بعد آخرى فى المحيط الهادى خلال الفترة ثمن ابريل الى يونيو ١٨٤٥ وبذلك فان قوة الاقتصاد الامريكى انقذت امريكا من الانهيار وكأن اليابان قد نسيت شعارها القديم وهو« فيكوكو - كيوهى » . أى ان الدول الغنية هى التى تبنى الجيش القوى .

ويهمنا الان الحديث عن انعكاسات هذه الانتصارات اليابانية السريعة فى مستهل نشوب الحرب . بادىء ذى بدء فان أسطورة سيادة العنصر الأبيض قد انهارت من أساسها والى الأبد وبدأ اليابانيون وقد هزتهم نشوة هذه الانتصارات السريعة الحاسمة فى معاملة الهولنديين والبريطانيين والامريكيين الذين وقعوا فى الاسر باحتقار ومهانة متعمدة امام سكان البلاد الاصليين على اتساع منطقة المحيط الهادى فى كل من اندونسيا وتايلاند ، والملايو ، وهونج كونج والفلبين وفى مناطق أخرى .

والمهم أنه بعد معركة بيرل هاربور اكتسح اليابانيون امامهم كل شىء فى الجزر القريبة من الشاطىء الاسيوى واستولوا على جزر الفلبين نفسها وسنغافورة وبورما ولم ينته صيف عام ١٩٤٢ الا وقد اصبحوا على مرمى حجر من استراليا وبذلك زال النفوذ الامريكى والانجليزى من النصف الغربى للمحيط الهادى فى ظرف سنة واحدة .

وتجدر الإشارة إلى أن اليابانيين طرحوا منذ نوفمبر ١٩٣٨ فكرة إقامة نظام جديد فى شرق آسيا (Order nouveau en Asie Orientale) وأرادوا لهذا النظام أن يضم بين جناحيه كلا من الصين ومنشوكو واليابان ، الأمر الذى يعنى تكريس الزعامة اليابانية فى تلك المنطقة من العالم وسرعان ما قام الحكام اليابانيون بصياغة عبارة جديدة وهو إيجاد « منطقة الرخاء المشترك لشرق آسيا » (Sphére de Co-prosperité d'Est Asiatique) وذلك فى الوقت الذى أنشأ اليابانيون وزارة جديدة على نحو ما تفعل الدول الاستعمارية أطلقوا عليه

إسم وزارة آسيا الشرقية العظمى (Ministére de la grande Asie Orientale) وأصبح حلم الزعامة حقيقة واقعة على الأقل أمام أعين اليابانيين(1) .

الهجوم المضاد على اليابان

ينبغى الإشارة إلى أن النصر العسكرى الصاعق الذى حققته اليابان فى بيرل هاربور قد أحدث أثراً سيكولوجيا ضخما إنعكس أثره سلبا على اليابانيين فقد تسببت كارثة بيرل هاربور فى تلاحم الشعب الأمريكى الذى لا يزال حتى تلك اللحظة منقسما حول دخول الحرب العالمية أو عدم التورط فيها ، وصار الشعب الأمريكى موقنا بضرورة حمل السلاح لسحق اليابان والألمان على حد سواء .

وقد انهمكت الولايات المتحدة فى ديسمبر ١٩٤١ فى إعادة بناء قواتها العسكرية . وفى مايو ١٩٤٢ تمكنت الوحدات الامريكية والاسترالية من الإشتباك فى معركة « مرتجفة » مع الإسطول اليابانى . وفى يونيو من نفس العام تمكنت إحدى الأسراب الأمريكية من إلحاق هزيمة شديدة بالأسطول اليابانى لأول مرة . وكان هذا الأسطول يزمع السيطرة على جزيرة ميداوى (Midway) فى المنطقة الواقعة غرب هاواى .

وفى سبتمبر ١٩٤٢ كان اليابانيون يعبرون أدغال غينيا الجديدة للوصول إلى طرفها الجنوبى لكن زحفهم توقف بمعركة شرسة استمرت حتى شهر فبراير ١٩٤٣ . وفى نهاية الأمر أرغم اليابانيون على التقوقع عند وادى قنال فى شمال شرق استراليا وبذلك يكون الغزو اليابانى قد وصل إلى منتهى إتساعه منذ السنة الأولى من الحرب .

على أنه ينبغى ملاحظة أن اليابان منذ دخولها الحرب ضد الولايات المتحدة فى عام ١٩٤١ كانت تستخدم أقصى طاقاتها الاقتصادية وكانت قبل ذلك قد أجهدت قواها فى محاولة السيطرة الكاملة على الصين منذ أن احتلت أراضيها منذ عام ١٩٣٧ . وقد استخدمت الصين لأول مرة حرب العصابات لإنهاك اليابانيين . وعلى ذلك فإنه كان على اليابان إن تجند كافة مواردها من الطاقة البشرية وكان عدد سكان الولايات المتحدة ضعف عدد سكان اليابان من جهة كما كانت طاقتها الاقتصادية عشرة أضعاف طاقة اليابان الاقتصادية من جهة أخرى .

وكان من المستطاع فى المراحل الأولى للحرب أن تعوض الروح القومية اليابان عن النقص فى الوسائل المتاحة . لكن استمرار الانهاك أثر ولاشك على الروح المعنوية . ومع ذلك

---

(1) Reischauer, Histoire de Japon et des Japonais p. 238 .

فلقد حارب اليابانيون بشراسة مذهلة ولم يترددوا أمام الموت . لكن تفوق العتاد الامريكى كان أكبر من شجاعة الجنود ، فقد استخدمت الولايات المتحدة الغواصات وعمدت إلى بث الألغام فى الموانىء الاستراتيجية . وقرب نهاية عام ١٩٤٤ كان قد تم عزل معظم الحاميات اليابانية وأصبحت هدفا سهلا للقصف الأمريكى وإشتد شعور اليابانيين بنقص الامدادات من المواد الخام .

لقد كانت المعركة الكبرى التى تعتبر نقطة تحول فى مسار الحرب هى التى تمت فى ليتى(Leyte) فى وسط الفلبين فى ٢٠ أكتوبر والتى تمكن الحلفاء فيها من إنزال ربع مليون جندى وخسرت اليابان فى هذه المعركة الحاسمة أغلب ما تبقى لها من أسطولها فى محاولة لصد هذا الغزو المضاد . وفى يناير ١٩٤٥ نزلت القوات الامريكية بالقرب من مانيلا واستولى الامريكيون على مانيلا بعد معركة شرسة وتجمعت القوات الامريكية فى أوكيناوا .

ولما شعر اليابانيون بقرب غزو بلادهم لم يترددوا فى قذف آخر ما لديهم من طائرات على السفن الأمريكية ، وكما حدث لليابانيين فى تاريخهم القديم بهبوب الأعاصير التى انقذت بلادهم من الغزو المغولى عام ١٢٨١ والذى أطلق اليابانيون عليهم إسم الكاميكاز Kamikaze قام الطيارون اليابانيون بطلعات انتحارية مذهلة أطلق عليها نفس الإسم تبركاً بها . ولكن التفوق العسكرى الأمريكى إنتهى بالتغلب على هذه البطولة الخارقة وتم الاستيلاء النهائى على جزيرة أوكيناوا فى يونيو ١٩٤٥ وقد خسرت اليابان فى هذه المعركة نحو ١١٠,٠٠٠ جندى .

فى هذا الظرف كانت ألمانيا قد استسلمت فى ٧ مايو وأصبح واضحا أن اليابان لن تكسب الحرب ، ومع ذلك ظلت الروح المعنوية بين المدنيين عالية ، وظل الشعب اليابانى يقبل برباطة جأش منقطعة النظير كافة أنواع الحرمان والكوارث فقد صمم هذا على النضال حتى النهاية .

والحقيقة أنه منذ حلول عام ١٩٤٤ كانت حاشية الامبراطور تدرك تفاقم الوضع العسكرى وتسعى إلى إبرام هدنة . وفى يوليو ١٩٤٤ تمكنوا من إجبار الجنرال توجو على التنازل عن رئاسة مجلس الوزراء .

ومنذ شهر يونيو ١٩٤٤ دعا الامبراطور إلى عقد مجلى أعلى للحرب للنظر فى وقف القتال وطلب وساطة الاتحاد السوفيتى . ولكن الولايات المتحدة أعلنت عدة مرات عن إصرارها على التسليم غير المشروط لكل من اليابان والمانيا ثم أكدت ذلك فى إعلان بوتسدام فى ٢٦ يوليو ١٩٤٥ الذى حدد التسليم غير المشروط .

وكان على اليابان أن تفقد كل ممتلكاتها الاستعمارية وأن تشرب من نفس الكأس ويجرى إحتلال أراضيها حتى تصبح دولة مسالمة تماما ومنزوعة السلاح . وهكذا اقتربت الحرب العالمية الثانية من نهايتها المحتومة . ولكن الامريكيين دون تفكير عميق فى عواقب قرارهم القوا قنبلتين ذريتين على كل من هيروشيما ونجازاكى فى ٦ ، ٩ أغسطس ١٩٤٥ على التوالى . ويكفى أن نشير إلى حجم الدمار الذى ألحقه إسقاط هاتين القنبلتين ، وهو فقد اليابان ٢٠٠,٠٠٠ نفس بشرية وإدخال العالم كله إلى العصر النووى[1] . وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى مؤتمرين هامين فى تاريخ الحرب العالمية الثانية بوجه عام وبمصير اليابان بوجه خاص وهما مؤتمر القاهرة لعام ١٩٤٣ ومؤتمر يالتا لعام ١٩٤٥ .

مؤتمر القاهرة ١٩٤٣

بعد أن منيت اليابان كما رأينا خلال عام ١٩٤٢ بالهزائم المتلاحقة التقى تشيانج كاى شيك فى القاهرة بكل من ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى والرئيس الأمريكى روزفلت ، وتمخض هذا اللقاء عن إعلان القاهرة فى أول ديسمبر ١٩٤٣ . وقد تضمن الإعلان تأكيد هؤلاء القادة لإرادتهم على مواصلة الصراع ضد اليابان ، حتى يتسنى استعادة كافة الأراضى التى استولت عليها بالقوة ، مثل منشوريا ، وفرموزا وجزر البسكادور « التى ينبغى إعادتها إلى الصين » . وكذلك تحرير كوريا « التى ينبغى أن تصبح مستقلة » . ولم تشارك روسيا فى هذا اللقاء الهام . ولكن توافرت فى حقيقة الأمر فرصة سانحة أمام الزعيم السوفيتى ستالين فى ٤ يونيو ١٩٤٤ . وهذه الفرصة تمثلت فى نزول قوات الحلفاء فى نورماندى ، وأصبح وضع القوات الالمانية مزعزعا ، ومن ثم أصبحت اليابان هى العدو الوحيد المتبقى أمام الحلفاء . ومع ذلك فإن الصين لم تكن فى وضع يحقق لها القيام بالهجوم . وكان ماوتسى تونج قد أكد فى ١٢ يونيو من نفس العام لمنافسه تشيانج كاى شيك مساندته غير المشروطة للصراع ضد اليابان ، كذلك عاجلت المنية وانج تسينج (Wang Tsing) فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٤ وكان مواليا لليابان مخلفا حكومة قد أصابها الوهن . كل ذلك مهد الطريق أمام ستالين لحبك مناورة سياسية غاية فى البراعة والدهاء بالدعوة إلى مؤتمر يالتا .

مؤتمر يالتا والمخطط السوفيتى

إختار ستالين هذا الظرف المناسب لتوجيه الدعوة إلى مؤتمر يالتا فى ٣ فبراير ١٩٤٥ ، فدعا حلفاءه البريطانيين والأمريكيين لهذا المؤتمر فى حين لم يوجه الدعوة إلى الصين وكان

---

(1) Reischauer. E, Histoire du Japon et des Japonais p. 250 .

ذلك أمرا مقصودا لأن ما سيتمخض عنه المؤتمر سوف يكون على حساب الصين ، الأمر الذى يبدو واضحا من استعراض شروط يالتا التى كانت كما يلى : (إن زعماء القوى الكبرى الثلاث ، الإتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا العظمى قد إتفقت على : أنه بعد إنقضاء ثلاثة أشهر من استسلام ألمانيا وإنتهاء المعارك فى أوروبا يدخل الاتحاد السوفيتى الحرب ضد اليابان إلى جانب الحلفاء بشرط :

١ – أن يظل الحفاظ على الوضع الراهن فى منغوليا الخارجية « أى جمهورية منغوليا الشعبية) .

٢ – ان يستعيد الاتحاد السوفيتى الحقوق السابقة التى اغتصبت منه عن طريق الهجوم اليابانى الغادر لعام ١٩٠٤ اى :

أ – ان يعاد الجزء الجنوبى من سخالين والجزر المجاورة الى الاتحاد السوفيتى .

ب – ان يجرى تدويل ميناء دايرين التجارى ، وان يجرى الحفاظ على المصالح المتعاظمة للاتحاد السوفيتى فى هذا الميناء وان يعاد استئجارميناء بورت ارثر كقاعدة بحرية للاتحاد السوفيتى .

جـ – ان يعاد استغلال الحظ الحديدى لشرق الصين ، والخط الحديدى لجنوب منشوريا باعتبارهما منفذا لميناء دايرين وذلك عن طريق انشاء شركة صينية – سوفيته على أساس أن يجرى الحفاظ على المصالح المتعاظمة للاتحاد السوفيتى وان تحتفظ الصين بكامل سيادتها على منشوريا .

د – ان يجرى تسليم جزر الكوريل الى الاتحاد السوفيتى ويبقى مفهوما ان الشروط المتعلقة بمنغوليا الخارجية ، وكذلك الموانىء والسكك الحديدية المشار اليها بعاليه تستلزم موافقة الجنرال تشيانج كاى شيك ، وطبقا لما يراه المارشال ستالين يسعى الرئيس «روزفلت» للحصول على هذه لموافقة .

ويتفق زعماء القوى الكبرى الثلاث على أنه يجب تحقيق مطالب الاتحاد السوفيتى « دون مناقشة » بمجرد أن تتحقق هزيمة اليابان .

ويعلن الاتحاد السوفيتى من جانبه استعداده لان يبرم مع حكومة الصين « الوطنية » ميثاقا للصداقة والتحالف من أجل تقديم المساندة للصين بقواتها المسلحة لتحريرها من نير اليابانيين[1] .

على أن السياسة السوفيتية كانت تهدف من وراء عقد مؤتمر يالتا الى تحقيق هدفين على مرحلتين : أولهما القطيعة مع اليابان وادارة ظهرها اليها ثم ابرام معاهدة جديدة مع الصين من اجل تثبيت اقدامها فى منشوريا .

----

(1) Grousset, R. op. cit. pp. 408-419

فأما بالنسبة للمرحلة الأولى ، فان معاهدة عدم الاعتداء التى كان الاتحاد السوفيتى قد أبرمها مع اليابان ومدتها خمس سنوات يمكن التحلل منها باشعار يبلغ لليابان قبل انقضاء هذه السنوات الخمس بعام واحد اى فى ١٣ ابريل ١٩٤٥ . وهذا ما بدا واضحا حيث قام وزير الخارجية السوفيتى مولوتوف باستدعاء سفير اليابان فى موسكو ليوضح له ان الامور قد تغيرت تغيرا جذريا منذ توقيع المعاهدة المذكورة فى عام ١٩٤١ . ذلك ان المانيا قد هاجمت الاتحاد السوفيتى الذى وجب عليه التحالف مع انجلترا والولايات المتحدة ، وهاتان الدولتان تعتبران فى حالة حرب مع اليابان . . . وان الاتحاد السوفيتى قد أصبح والحالة هذه – يتمسك بحقه فى فسخ المعاهدة طبقاً للمادة ٣ من الميثاق المذكور .

وأما بالنسبة للمرحلة الثانية – وهى تحقيق التقارب مع الصين من اجل ترسيخ اقدام السوفيت فى منشوريا – فان الاوضاع دفعت بهذا التقارب دفعا . ففى مؤتمر سان فرانسيسكو فى ابريل ١٩٤٥ حيث كان الحلفاء يسعون الى ارساء قواعد منظمة الامم المتحدة ، قام السوفيت بعقد عدد من الاجتماعيات الودية مع الصينيين ، وعملوا على تشجيع اطلاق العنان للشائعات القائلة بان الاتحاد السوفيتى ينوى القيام باعلان الحرب على اليابان . ولما استسلمت المانيا فى ٧ مايو ١٩٤٥ كان الأمر يقتضى الاسراع فى تحقيق هذا الهدف ، لأن اليابان طلبت من روسيا السوفيتية التوسط بينها وبين الحلفاء ، لما لاحظت ان الاتحاد السوفيتى لم يكن ضمن الحلفاء الثلاثة الاخرين المجتمعين فى برلين ، وانه لم يوقع على اعلان بوتسدام فى ٢٦ يوليو ١٩٤٥ ذلك الاعلان الذى اعلنت فيه كل من الصين وانجلترا والولايات المتحدة انها لا ترضى بديلا عن تسليم اليابان تسليما غير مشروط . ولذلك فمنذ حلول ٨ اغسطس اعلن مولوتوف للسفير اليابانى ان تحالف الاتحاد السوفيتى مع الحلفاء يستلزم انضمامها الى اعلان بوتسدام – الامر الذى يعنى ان الاتحاد السوفيتى يعتبر نفسه منذ ٩ اغسطس فى حالة حرب مع اليابان .

واذا علما ان القنبلة الذرية الأولى القيت على هيروشيما فى ٦ أغسطس وان القنبلة الثانية القيت على نجازاكى فى ٩ اغسطس ، وان المعاهد الصينية – الروسية ابرمت فى ١٤ اغسطس ١٩٤٥ – ، فان حرب السوفيت ضد اليابان تكون لم تستغرق ستة ايام كاملة حققت فيها توقيع المعاهدة المنشودة مع الصين . وقد نصت المعاهدة ان تكون مدتها ٣٠ عاما ، ولم تتضمن سوى ثمانية مواد تضمنت ضرورة مواصلة النضال ، وعدم توقيع اى سلام منفرد . . . الخ ولكن ملحقات المعاهدة هى التى كانت اكثر اهمية من المعاهدة ذاتها ، اذ انها تضمنت تقديم المساعدة العسكرية والمادية والمعنوية لحكومة الصين « الوطنية » (فقط) . اما بالنسبة لشرق الصين وميناء بورت ارثر ، فكانت تشغل ثلاثة ملاحق تحوى عشرين مادة عن « الملكية المشتركة » ، و « الادارة المشتركة » لخط السكك الحديدية .

ولقد كانت الصين يراودها الامل ان تتضمن المعاهدة تحديدا حول التاريخ الذى تجلو فيه القوات الروسية عن منشوريا . ولكن الملاحق لم تشر من قريب أو بعيد الى ذلك ، وان كان الجلاء الروسى لم يتم الا فى ٣ مايو ١٩٤٦ - اى بعد ثمانية شهور من استسلام اليابان .

استسلام اليابان (١٠ اغسطس ١٩٤٥)

بعد ان اشرنا الى مؤتمر يالتا ، فقد يحسن الاشارة ايضا الى مؤتمر بوتسدام وانذار بوتسدام الشهير . فرغم وفاة الرئيس روزفلت تم افتتاح مؤتمر سان فرانسيسكو فى موعده المحدد فى ٢٥ ابريل ١٩٤٥ - لوضع ميثاق الامم المتحدة وبعد افتتاح هذا المؤتمر بوقت قصير سلمت المانيا تسليما بدون قيد أو شرط . وفى ٢٦ يوليو ١٩٤٥ اذاعت امريكا وبريطانيا والصين بيان بوتسدام الذى دعت فيه هذه الدول اليابان الى الاستسلام دون قيد أو شرط والا واجهت الدمار العاجل والشامل . ولكن اليابان تباطأت فى الاستجابة لهذا النداء - الامر الذى اسفر عن القاء القنبلة الذرية الاولى على هيروشيما فى ٦ اغسطس ١٩٤٥ والقنبلة الثانية فى ٩ اغسطس ١٩٤٥ . وفى خلال الفترة بين القاء القنبلة الاولى والقنبلة الثانية دخلت روسيا الحرب ضد اليابان وبدأت فى مهاجمة منشوريا .

وانعقد مؤتمر امبراطورى ياباتى فى ساعة متأخرة من ليل ٩ اغسطس للنظر فى امر قبول بيان بوتسدام ، وانتهى الامر الى ان قبلته اليابان بشرط واحد هو الا يتضمن المساس بسلطات صاحب الجلالة الامبراطور باعتباره السيد الاعلى للبلاد . ولكن الرد الامريكى كان عنيفا ، اذ تضمن القول « انه من اللحظة التى يتم فيها الاستسلام يصبح الامبراطور والحكومة اليابانية خاضعين للقائد العام للحلفاء » .

وما لبث ان انعقد مؤتمر امبراطورى اخر صباح يوم ١٤ اغسطس اصدر فيه الامبراطور اوامره بقبول العرض الامريكى برغم معارضة العسكريين اليابانيين لذلك . وفى ظهر اليوم التالى اذيع بيان الاستسلام على الامة اليابانية . ثم فى ٣٠ اغسطس بدأ الامريكيون فى الوصول الى ارض اليابان نفسها . وفى سبتمبر ١٩٤٥ اقيم الاحتفال الرسمى لاستسلام اليابان على ظهر الباخرة الامريكية ميسورى فى خليج طوكيو . وهكذا كتب على اليابان ان تنتحر فى الحرب العالمية الثانية .

لقد رأينا اليابان فى اقل من اربعة شهور خلال عام ١٩٤٢ قد اصبحت مسيطرة على امبراطورية استعمارية يقطنها حوالى ٥٠٠ مليون نسمة توفر لها معظم انتاج العالم من المطاط ، ٧٥ ٪ من القصدير ، وكميات هائلة من البترول والتانجستين ، وغير ذلك الكثير من المعادن والمواد الاستراتيجية الاخرى ، الامر الذى جعل طوكيو تقوم بانشاء وزارة جديدة

« لآسيا الكبرى » . وعلى الرغم من هذه الانتصارات فان اليابان ترددت كثيرا امام غزو الهند . وقد كان ذلك هو الوقت الذى تعد فيه المانيا لهجومها باتجاه القوقاز . وكان من المتصور ان يكون هناك جهد يابانى – المانى مشترك تتصل فيه القوات اليابانية مع القوات الالمانية فى مكان ما يقع ما بين البحر الاسود والهند ، وكان اليابانيون – والحالة هذه – قد تقدموا على الالمان فى الوصول الى تلك المنطقة المنشودة . ولكن الالمان امكن صدهم فى ستالينجراد ، لذلك فان اى تفكير من جانب اليابان لمهاجمة الهند تبدد تماما[1] .

نقطة اخرى نود ان نشير اليها فى ختام حديثنا عن إندحار اليابان فى الحرب العالمية الثانية وهى ان اليابان فى مخططها الاستعمارى واحلامها الواسعة تجاهلت عدة حقائق واسست خطتها على عدة احتمالات ، فاما عن هذه الحقائق التى تجاهلتها فهى انه ما كان اليابان ان تحتفظ بمستوى مجهوها الحربى لمدة طويلة نظرا لان الاقتصاد اليابانى كان يعتمد بصفة اساسية على وارداتها من البترول والفحم ، والحديد الخام ، والبوكسايت ومواد استراتيجية اخرى كثيرة . ولم يغب عن ذهن الولايات المتحدة هذه الحقائق فقامت القوات البحرية والجوية الامريكية باقامة نطاق حول جزر اليابان بلغ من القوة حدا منع هذه الواردات من الوصول الى اليابان . والحقيقة الثانية التى تجاهلتها وما كان ينبغى ان تغيب عن ذهنها تمثلت فى قوة الاقتصاد الامريكى كعمق استراتيجى للقوات الامريكية الضاربة ونسيت اليابان « فوكوكو – كيوهى » ذلك الشعار الذى طالما رددته .

أما الاحتمالات التى اسست عليها اليابان خططها فقد كانت متمثلة فى ظنها باحتمال هزيمة الروس فى اوروبا فى خريف عام ١٩٤١ – الامر الذى دعا اليابان الى اتخاذ موقفها المتشدد تجاه الولايات المتحدة ، كذلك كان يراودها الأمل فى ان تحرز المانيا نصرا ساحقا على الساحة الأوروبية وهو ما لم يتحقق .

وهكذا نجد اليابان قد فقدت فى ظل الاحتلال كل ما كان لها من ممتلكات وعادت اراضيها الى ما كانت عليه عام ١٨٩٤ ، على الرغم من ان عدد سكان اليابان كانوا حينذاك ٤٢ مليونا ، ولكنهم فى ظل الاحتلال بلغوا ٧٠ مليونا ، فاسترجعت روسيا ممتلكاتها التى فقدتها فى عام ١٩٠٥ مثل بورت ارثر وجزر الكوريل والجزء الجنوبى من سخالين . اما كوريا فقد جرى تقسيمها الى قسمين ، القسم الشمالى ويحتله الاتحاد السوفيتى ، والقسم الجنوبى وتحتله الولايات المتحدة . اما جزر المحيط الهادى التابعة لليابان فقد ضمتها الولايات المتحدة الى ممتلكاتها .

---

(1) Grousset, R. Ibid. p. 410

الفصل الخامس
أوضاع المنطقة عقب الحرب العالمية الثانية

أولا : بالنسبة لليابان

١ - احتلال اليابان

رأينا كيف كانت هزيمة اليابان من صنع امريكا وان كان ستالين قد أراد أن يسهم واحد من قواده بنصيب فى المسؤولية على قدم المساواة مع القائد الامريكي دوجلاس ماك ارثر ، ولكن ستالين لم يستطع فرض ارادته هذه . ففى ١٢ اغسطس ١٩٤٥ تمت الموافقة على تعيين ماك آرثر قائدا اعلى لقوات الحلفاء وانعقد بعد ذلك مؤتمر وزراء الخارجية فى موسكو خلال شهر ديسمبر ١٩٤٥ تم خلاله انشاء لجنة خاصة للشرق الأقصى (Far Eastern Commission) تضم مندوبين عن ثلاثة عشر دولة ، كما تم تأليف مجلس رباعى من كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والصين والكومنولث البريطانى. واجتمع هؤلاء المندوبون فى طوكيو وكانت مهمتهم استشارية بحته[1] .

وحقيقة الأمر ان سياسة احتلال اليابان ارتكزت على اساس وثيقتين امريكيتين : أولهما «وثيقة السياسة الامريكية لليابان بعد التسليم » مؤرخة فى ٢٩ اغسطس ١٩٤٥ ، وثانيهما وثيقة « التوجيه السياسى لفترة ما بعد التسليم » ، وهى مؤرخة فى ٨ نوفمبر ١٩٤٥ .

ولقد تضمنت الوثيقة الامريكية الثانية أن يكون الهدف النهائى لاحتلال اليابان هو تهيئة المناخ الذى يوفر اكبر قدر ممكن من الضمانات لكى لا تصبح اليابان مرة اخرى خطرا يهدد سلام العالم وامنه وان يسمح لها بان تصبح عضوا مسالما ومسؤولا فى اسرة الامم ، « وانه لمن المرغوب فيه ان تعمل الحكومة اليابانية بشكل يتمشى الى أقصى حد ممكن مع مبادىء الحكم الذاتى الديمقراطى » .

٢ - كيفية تصفية الاستعمار اليابانى

لقد كان إحتلال اليابان يرمى فى المقام الأول الى قصر سيادتها على جزرها الأربعة الرئيسية وهى : هوكايدو وهونشو ، وشيكوكو ، وكيوشو بالاضافة الى جزر صغرى آخرى يجرى تعيينها ولذلك فقد جرى تجريد اليابان – طبقا لبيان القاهرة الصادر فى نوفمبر

---

(1) Morton, W.S. op. cit. pp. 203 - 204

١٩٤٣ من كل جزر المحيط الهادى التى كانت واقعة تحت الانتداب اليابانى ، وكوريا ، ومنشوريا ، وبرمودا ، والبسكادور ، كما سيطرت الولايات المتحدة على جزر أوكيناوا . وفى شهر ابريل ١٩٤٧ تولت الولايات المتحدة امر الوصاية الاستراتيجية على الجزر اليابانية الواقعة فى المحيط الهادى . اما روسيا فقد استولت – تنفيذا لاتفاق يالتا فى فبراير ١٩٤٥ – على جزر كوريل وجنوب سخالين .

وحتى لا ترتاش اجنحة اليابان مرة اخرى فقد كانت عملية احتلال اليابان تضع نصب عينيها القضاء على الاداة الحربية اليابانية فى المقام الأول . ولذلك فقد تم الغاء وزارتى الجيش والبحرية ، كما تم تسريح افراد الجيش وجنود البحرية واعيد الى اليابان نحو ستة ملايين ونصف مليون جندى وبحار ومدنى يابانى من مناطق ما وراء البحار كذلك تمت مصادرة جميع أنواع الذخيرة والمهمات الحربية ، كما تم تدمير جميع الطائرات فى نفس الوقت الذى تم فيه حظر انتاج اى نوع منها . وتم كذلك حظر البحوث العلمية المتعلقة بالاغراض الحربية الى جانب الحد من انتاج صناعات اخرى كصناعات الصلب والعدد والالات .

وبمجرد ان بدأت عملية الاحتلال ، قامت حركة ضخمة تهدف الى اعتقال كافة من يشتبه فى امرهم بان يكونوا من مجرمى الحرب . وقام القائد الاعلى لقوات دول الحلفاء (Supreme Commander Allied Powers) فى شهر يناير ١٩٤٦ بتشكيل محكمة عسكرية دولية للشرق الاقصى قدم اليها ٢٨ زعيما يابانيا للمحاكمة ، وانتهت المحاكمات فى شهر ابريل ١٩٤٥ ، ولكن الاحكام لم تصدر الا فى شهر نوفمبر من نفس العام. وصدر الحكم على توجو وستة اخرين من الزعماء بالاعدام شنقا وعلى ١٦ من الزعماء الاخرين بالسجن مدى الحياة وعلى احد الزعماء بالسجن عشرين عاما وعلى زعيم اخر بالسجن ٧ اعوام . ومات اثنان من المتهمين واصيب اخرون بالجنون . والى جانب هذه المحاكمات الكبرى عمدت كل دولة من الدول المتحالفة الى محاكمة بعض اليابانيين ممن اتهموا بجرائم ضد قوانين الحرب وضد الانسانية ، وأدين نحو ٤٢٠٠ يابانى فى هذه المحاكمات ، تم اعدام ٧٠٠ شخص من بينهم .

وفى اوائل خريف عام ١٩٤٦ بدأت الحكومة اليابانية – بايعاز من القائد الاعلى لقوات الحلفاء – العمل على اعداد دستور جديد يجرى النص فيه بدقة على أن تكون سلطة السيادة فى يد الشعب ، وان يكون الامبراطور رمزا للدولة ، وان يستمد سلطاته من ارادة الشعب . ولكن لعل اهم مادة فى الدستور اليابانى الجيد هى المادة التاسعة المشهورة ، والتى صاغها الجنرال ماك ارثر بنفسه والتى تنص على منع الحرب ، وحظروا استخدام القوة كما حظرت الاحتفاظ بقوات برية وبحرية او اى طاقة حربية اخرى .

٣ - التحول فى الموقف الامريكى تجاه اليابان

يستوقف النظر تحول طبيعة الدور الذى باتت تنتظره الولايات المتحدة من اليابان بعد الحرب العالمية الثانية ، فهى بعد أن تم لها هزيمة اليابان نرى ان تقرير « بولى » بشأن التعويضات فى عام ١٩٤٦ يوصى بنقل جانب كبير من المنشآت الصناعية اليابانية الى اقطار اسيوية اخرى ، واخذت الولايات المتحدة تفكر فى كيفية تعويض اليابان عما اصاب اقتصادها بهذه الصورة . لذلك رأت التريث فى هذه الفكرة - فكرة نقل المصانع اليابانية الى بقية اقطار اسيا . وكانت الحرب الباردة بين المعسكرين الغربى والشيوعى آخذة فى ذلك الوقت فى التزايد ، لذلك لم تجد الولايات المتحدة فى الصين التى انحازت بوضوح الى المعسكر الشيوعى استعدادها للقيام بالدور المنشود الذى تبحث امريكا عنه لتكون كركيزة لها فى اسيا ، ومن ثم كان اختيارها لليابان لهذا الغرض - الامر الذى حدا بالولايات المتحدة الى تغيير موقفها تجاه هذا البلد المهزوم .

وحقيقة الامر ، ان بوادر هذا التبدل للموقف الامريكى ظهر واضحا . ففى مايو ١٩٤٧ من خلال خطاب القاه دين أتشيسون وكيل وزارة الخارجية الأمريكية عرض فيه لفكرة جعل اليابان مصنعا لاسيا ، وعلى الفور قامت بعثات امريكية بوضع دراسات مفصلة وتقارير دقيقة وضافية عن اليابان ، واوصت هذه الدراسات بالامتناع عن نقل المصانع اليابانية الى بلدان اسيا الاخرى كما كان مخططا له من قبل . وبدأت تظهر الاهتمامات الامريكية بالسياسة الاقتصادية اليابانية منذ ذلك التاريخ حتى عام ١٩٤٩ ، ثم البدء فى تنفيذ برنامج يابانى للتقشف بهدف اعادة الاقتصاد اليابانى للوقوف على قدمية وتولى الاشراف على تنفيذ هذا البرنامج المستمر جوزيف دودج ، أحد رجال المال الأمريكيين المشهورين .

ونلاحظ فى هذا الصدد ان الولايات المتحدة الامريكية كانت تهدف قبل الحرب الكورية فى ٢٥ يونيو ١٩٥٠ الى تقوية الاقتصاد اليابانى بغية تلافى حدوث اية اضطرابات اجتماعية فى اليابان قد تعمد الشيوعية الدولية الى استغلاله حتى لا يصبح مصير اليابان كمصير الصين الشيوعية ، واما بعد نشوب الحرب الكورية فاننا نجد ان النظرة الامريكية وبالتالى الهدف الامريكى قد تبدل من حيث النوعية . فقد انصب اهتمام الولايات المتحدة الامريكية باليابان هذه المرة لكى تكون اداة عسكرية ومن ثم سمحت بانشاء جيش يابانى ولكنه لم يكتب له ان يصبح جيشا قويا لعدم استمرار توافر الاسباب والدوافع لذلك .

٤ - معاهدة الصلح اليابانية ١٩٥١

كانت نظرة الولايات المتحدة الى منطقة الشرق الأقصى منذ بدأت تركز اهتماماتها نحو المنطقة انها المجال الذى يحق لها وحدها ان تنفرد به ولهذا فان اليابان حينما استسلمت ،

قامت الولايات المتحدة باخضاعها لاشرافها التام . ولكنها ما لبثت ان تذكرت جهود حلفائها فتراءى لها ارضاؤهم ولو من ناحية المظهر ، فاقترحت عليهم تشكيل « لجنة استشارية لشؤون الشرق الاقصى » على ان يكون لها الاشراف النهائى الكامل والسيادة الفعلية .

انبرى الاتحاد السيوفيتي لمعارضة هذا الوضع الذى رأى فيه انفراد الولايات المتحدة بالسيطرة الفعلية ، لذلك عمدت الولايات المتحدة الى دعوة وزراء خارجية الدول الكبرى الثلاث فى موسكو فى ديسمبر ١٩٤٥ لبحث هذا الموضوع . وقرر المؤتمر تكوين لجنة سميت « لجنة الشرق الأقصى » كما اسلفنا ، وتضم ممثلى الدول الحليفة . ولكن هذه اللجنة لم يكن لها فى حقيقة الامر الحق فى مناقشة قرارات القائد الامريكى بالاضافة الى ذلك قرر المؤتمر انشاء ما يسمى باسم « مجلس اليابان الحليف » أو « المجلس الرباعى » برئاسة الجنرال ماك ارثر وعضوية الاتحاد السوفيتى وبريطانيا والصين . واسند الى هذا المجلس مهمة مساعدة الجنرال الامريكى فى تنفيذ شروط الصلح مع احتفاظ القائد الامريكى بحق اتخاذ ما يراه من قرارات بصفته السلطة التنفيذية الوحيدة للدول الحليفة فى اليابان . لذلك نجد أنه حتى هذا المجلس لم تكن له سلطة فعلية بجانب سلطة القائد الاعلى الامريكى .

وخلال الاعداد لعقد معاهدة الصلح طرأ خلاف شديد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى حول من يملك حق البت فى اجراءات مفاوضات الصلح . ففى حين اصر الامريكيون أن يكون ذلك من شأن « لجنة الشرق الاقصى » فان الاتحاد السوفيتى اصر على احقية مجلس وزراء الخارجية فى البت فى هذا الموضوع وبان تتخذ قراراته بالاجماع . ونتيجة لذلك تأجلت معاهدة الصلح حتى عام ١٩٥١ .

يهمنا أن نشير فى هذا المقام إلى ان الولايات المتحدة ظلت تحسن الظن فى الصين «الوطنية» أول الامر فى امكانية الاعتماد عليها لدرء الخطر الشيوعى فى منطقة الشرق الاقصى ، ولكن سرعان ما تبين لها انها اضعف من أن تتصدى لهذا الخطر . لذا عمدت الى تغيير سياستها تجاه اليابان فرأت ضرورة إنهاء الاحتلال واعداد اليابان لتكون الحليف الذى يعتمد عليه بعد ان تقوم باتخاذ كافة التدابير الكفيلة بعدم احياء الروح العسكرية اليابانية مرة اخرى .

لهذا بدأت الولايات المتحدة التفكير منذ عام ١٩٤٧ فى عقد معاهدة صلح مع اليابان سواء شارك فيها الاتحاد السوفيتى أم لم يشارك . وفى نفس الوقت كان من المستحيل دعوة

الصين لتوقيع هذه المعاهدة حيث كان هناك خلاف بين الولايات المتحدة وحلفائها حول واحد من نظامى الحكم يمكن اعتباره ممثلا للصين . فلقد كانت الولايات المتحدة تعترف بالصين الوطنية فى حين كانت بريطانيا وبعض الحلفاء الآخرين يعترفون بجمهورية الصين الشعبية فى بكين ممثلا للصين رغم دخولها فى حرب كوريا ضد الولايات المتحدة حينذاك . ومن جهة اخرى كان من الواضح ان كلا من موسكو وبكين سوف لا يوافقان بحال من الاحوال على شروط معاهدة السلام من المنظور الامريكى وبخاصة احتفاظ الامريكيين بقواعد عسكرية على أرض اليابان[1] .

ومنذ عام ١٩٥٠ كان هنا ميل واضح من جانب حكومتى كل من الولايات المتحدة واليابان لعقد صلح منفرد بشرط ان توفر الولايات المتحدة الضمان لليابان ضد اى هجوم شيوعى سواء من الداخل ام من الخارج . وتمهيدا لذلك عمد وزير الخارجية الامريكى جون فوستر دالاس الى عقد معاهدة مع الفلبين فى ٣٠ اغسطس ١٩٥١ ثم اعقبها توقيع « ميثاق امن المحيط الهادى » بين الولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلندة يرمى الى مجابهة عودة الروح العسكرية اليابانية[2] .

وفى ٢٠ يونيو ١٩٥١ وجهت الولايات المتحدة الدعوة الى ٥٢ دولة لعقد مؤتمر فى سان فرانسيسكو ، وتم توقيع المعاهدة فى سبتمبر ١٩٥١ ولم يمتنع عن التوقيع من هذه الدول الاثنين والخمسين التى جرى تمثيلها فى المؤتمر سوى روسيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وقد تضمنت المعاهدة النقاط التالية :

١ – تنازل اليابان عن ملكيتها لجزيرة سخالين وجزر الكوريل وفرموزا كما تتنازل عن انتدابها على الاقاليم التى ندبتها عصبة الامم السابقة لادارتها .

٢ – موافقةِ اليابان على اقتراح الولايات المتحدة الذى يقضى بوضع جزيرة ريوكيو ويونين تحت وصاية الامم المتحدة على أن يعهد بادارتها الى الولايات المتحدة ، كما تعترف اليابان باستقلال كوريا استقلالا تاما .

٣ – قبول اليابان دفع التعويضات التى فرضت عليها على أن تراعى حالتها الاقتصادية بحيث لا تثقل كاهل ميزانيتها .

٤ – حصلت اليابان على حق الدفاع عن نفسها وعلى حق عقد اتفاقيات مع الدول الاخرى لوضع قوات اجنبية « تكون فى اغلب الاحتمالات امريكية » فوق اراضيها . اما فيما

---

(1) Reischauer E. op. cit. p. 342.

(٢) د . محمد محمود السروجى : سياسة الولايات المتحدة الخارجية ص ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

يتعلق بالعلاقات بينها وبين الصين فان ذلك يجرى تحديده بمقتضى معاهدة تعقد بين اليابان « والصين الوطنية » أو بين اليابان والصين الشعبية ، ولا تطالب اليابان فيها بدفع تعويضات ولكنها توافق على وضع طاقتها الفنية وصناعاتها فى خدمة الدول التى دمرتها الحرب للقيام بالخدمات الصناعية ، وانقاذ الصين الغارقة فى ديونها . اما بالنسبة للممتلكات اليابانية فى الخارج فيجرى نقل ملكيتها الى الصليب الاحمر الدولي لتوزع على اسرى الحرب الذين ذاقوا الاهوال فى المعسكرات اليابانية .

٥ – تضمنت المعاهدة نصا بانسحاب القوات الاجنبية من اراضى اليابان بعد تسعين يوما من توقيع المعاهدة ، الا اذا تم ابقاء تلك القوات بناء على معاهدة خاصة (وهذا ما حدث بالفعل) ، اذ انتهزت الولايات المتحدة فرصة عدم وجود قوات يابانية تكفى لحماية البلاد وعقدت مع اليابان فى ٨ سبتمبر ١٩٥١ « معاهدة امن » تخول لها ابقاء قواتها فى اليابان بصفة مؤقتة حتى تتمكن اليابان تدريجيا من تحمل عبء الدفاع عن نفسها[١] .

ولقد كان من المنتظر ان تعترض كل من استراليا ونيوزيلندة ، على هذه المعاهدة المقترحة ولكن هذا الاعتراض تضاءل بعد ان اطمأنت الدولتان بعد توقيع ميثاق الدفاع المتبادل فى ذلك الوقت بينها وبين الولايات المتحدة فى حين اعلنت الفلبين شكواها من جراء عدم الحصول على التعويضات التى كانت تطمع فى الحصول عليها :

ولما كانت معاهدة الصلح وسياسة احتلال اليابان لا تستلزم ايه عقوبات أو اجراءات انتقامية ، فان رئيس الوزراء اليابانى يوشيدا (Yoshida) قبل شروطها ووصفها بأنها « عادلة وسخية » واعرب عن ان اليابان تنحاز مع كتلة العالم غير الشيوعى . ومن الجدير بالذكر انه فى نفس وقت ابرام معاهدة الصلح قامت الولايات المتحدة بابرام معاهدة امن (Security Treaty) مع اليابان تنص على تمركز القوات الامريكية داخل اليابان وحولها ، وذلك لتحقيق اغراض الامن الداخلى والخارجى لليابان . واعقب ذلك اتفاق منفصل لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع روسيا عام ١٩٥٦ . وفى هذا الظرف تم انضمام اليابان الى الامم المتحدة[٢] .

٥ - المشكلة الفيتنامية

أ - بداية المشكلة

كان العسكريون ورجال السياسة من اليابانيين يطمعون فى الاستيلاء الكامل على

---

(١) د . محمد محمود السروجى : نفس المصدر ص ٢٣٠ .

(2) Morton, W,S op. cit. p. 207

منطقة الشرق الاقصى بكاملها كما رأينا . وعندما سقطت فرنسا عام ١٩٤٠ امام الاجتياح الالمانى فى الحرب العالمية الثانية انتهزها اليابانيون فرصة سانحة وقاموا بالاستيلاء على شمال الهند الصينية ثم تقدموا بعد ذلك جنوبا حتى وقعت الهند الصينية بكاملها فى ايديهم .

وبعد استسلام اليابان عاد النفوذ الفرنسى الى الهند الصينية ولكن بصورة اكثر ضعفا بكثير وحاولت فرنسا حينئذ التوصل الى اتفاق مع الزعماء الفيتناميين ولكن حزب فيت منه (Viet Minh) اعلن استقلال البلاد وقيام جمهورية مؤقتة فى اغسطس ١٩٤٥ وشن حربا ضارية ضد الفرنسيين .

وتصاعدت الحركة الوطنية تحت زعامة « هوشى منه » فى الهند الصينية ضد الفرنسيين وبلغت مبلغا خطيرا عام ١٩٤٦ عندما لجأت فرنسا الى قمعها بالقوة فاندلعت الحرب الاهلية ورضخت فرنسا للثوار بتقديم بعض التنازلات فاعلنت قيام دولة فيتنام تحت حكم الامبراطور « باوداى » .

ثم كانت فرنسا تتلفت حولها الى معين لها فى هذا المأزق ولم يكن مؤهلا لهذا الدور سوى الولايات المتحدة والتى لم تكن على تعاطف كامل مع الفرنسيين ، ولكن الاوضاع فى المنطقة دفعتها دفعا لهذا التعاطف . فكانت هزيمة تشيانج كاى شيك واستيلاء الشوعيين على الصين حافزا لها على مؤازرة فرنسا وتحمل ثلاثة ارباع الحرب فى تلك المنطقة .

وكان المنعطف الخطير فى الحرب فى ١٣ مارس ١٩٥٤ عندما هاجمت قوات فيت منه قلعة « ديان بيان فو » بشكل مكثف وبدأت القوات الفرنسية تترنح اما هذه الهجمات ، الامر الذى دعا الولايات المتحدة الى التحرك السريع نحو الهند الصينية وكان عليها الخيار بين امرين : اما القيام باعاقة تقدم الشيوعيين من الشمال الى الجنوب وامامها مهاجمة الصين نفسها . ولكن الرأى العام الامريكى لم يكن مستعدا لقبول هذا الاتجاه . ولذلك انتهت الحرب بفشل فرنسا ووقوع شمال الهند الصينية فى قبضة الشيوعيين . وقبلت توقيع اتفاقية الهدنة فى ٢٠ يوليو ١٩٥٤ التى تقضى بان يكون خط عرض ١٧ شمالا حدا يفصل بين فيتنام الشمالية الشيوعية بقيادة حزب فيت منه ، وبين فيتنام الجنوبية الموالية للغرب .

والواقع أن الدور الصينى فى مناصرة الفيتناميين الشماليين كان بارزا ، فاذا ما انتهت الحرب الكورية تحولت المساعدات الصينية الى القوات الشيوعية مما كثف هجماتهم على قلعة ديان بيان فو بشكل ارعب الفرنسيين . وسنرى فى الباب الثالث أن الصين اعتمدت سياسة عرقلة المعونات الروسية لفيتنام لتستأثر هى بالجهد الحربى في مساعدة الفيتناميين .

ب - مؤتمر جنيف ١٩٥٤

الواقع أن الهدف من هذا المؤتمر فى جنيف كان للنظر فى عقد معاهدة الصلح الكورية من ناحية ، وكذلك تسوية موضوع الحرب فى فيتنام من جهة اخرى . وقد انعقد المؤتمر قبل سقوط قلعة « ديان بيان فو » . لذلك كانت أولوية البحث للمسألة الكورية .

واتى انعقاد مؤتمر جنيف استجابة لرغبة الدول الاربع الكبرى وهى : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وبريطانيا وفرنسا ومعهم وفد يمثل الصين الشعبية وذلك فى ٢٦ ابريل ١٩٥٤ .

ولم يحرز المؤتمر النجاح المأمول وذلك ان مندوبى كوريا الجنوبية اصروا على تحقيق الوحدة بين شطرى كوريا مع اجراء انتخابات حرة تجرى تحت اشراف الامم المتحدة فى حين رفض الكوريون الشماليون هذا الاقتراح . ولذلك انتهت الحرب الكورية بالعودة الى خط التقسيم الأول ٣٨ درجة شمالا وتنازل الولايات المتحدة عن توحيد كوريا طبقا لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٧ اكتوبر ١٩٥٠ . اما بالنسبة للمسألة الفيتنامية فلم يتم إحراز أى تقدم يذكر نظرا لانعقاد المؤتمر قبيل سقوط قلعة « ديان بيان فو » كما اسلفنا . وبذلك تكون المشكلة الفيتنامية احدى التركات المثقلة التى خلفتها لنا الحرب العالمية الثانية فى منطقة الشرق الاقصى .

٦ - اوضاع اليابان الاقتصادية عقب الحرب العالمية الثانية

من الأمور التى تستحق الاعجاب ما حققه الاقتصاد اليابانى بعد الحرب العالمية الثانية بمجرد ان تبددت الصعوبات التى واجهتها اليابان . وكما حدث تماما ايام عهد الميجى فان النمو الاقتصادى قام على اكتاف خليط من الحكومة ومن أصحاب المشروعات الخاصة . وكانت المساعدات الامريكية ذات اهمية سواء على صعيد المساعدات الحكومية أو المساعدات الخاصة . فنرى البنوك اليابانية تقدم سلفا تجارية بشروط ميسرة فى الوقت الذى تقوم فيه الحكومة اليابانية بتقديم تيسيرات ضريبية بحيث نجد ان معدل النمو الاقتصادى يتزايد فى المتوسط سنويا بنسة ١٠ ٪ فى الفترة الممتدة من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٥ أى على مدى خمسة عشر عاما متصلة . ونجد ان الارقام المقارنة فى نفس الفترة بالنسبة للبلاد الاخرى كانت كما يلى : المانيا الغربية ٦ر١ ٪ ، وفرنسا ٣ر٥ ٪ ، وانجلترا ٤ر٢ ٪ ، والولايات المتحدة ٣ر٢ ٪ .

واذا ما تطرقنا الى ارقام الناتج الاجمالى القومى نجد أن هذا الرقم الذى كان فى عام ١٩٤٦ مبلغ ٣ر١ مليار دولار صار فى عام ١٩٥١ مبلغ ١ر١٥ مليار دولار وصار فى عام ١٩٥٢ ، ٩ر١٥ مليار دولار ثم فى عام ١٩٥٨ صار الناتج القومى الاجمالى ١٦٧

مليار دولار . على ان عملية تزايد حجم التجارة الخارجية اليابانية الى مناطق ما وراء البحار كان عملية مخططة تخطيطا دقيقا . فقد قام خبراء الحكومة اليابانية بالاشتراك مع بنك اليابان المركزى بدراسة الأوضاع بالنسبة لعدد محدود من الصناعات ، ثم قام هذا الفريق من الخبراء بعمل دراسة للسوق العالمية ، وقاموا بتخطيط اماكن وصول الصادرات اليابانية من تلك المصانع . ووضعوا ضوابط للسيطرة على نوعية الصادرات . وبدون توجيه هذه الاهتمامات الدقيقة نحو دراسة تفاصيل نوعية الصادرات بدرجة تفوق ما كان عليه الحال قبل الحرب فما كان يتسنى للصادرات اليابانية ان تغزو الأسواق العالمية فى مجالات جديدة تتمثل هذه المرة فى المعدات والآلات الاليكترونية والقاطرات وصناعة العدسات وحتى فى الصناعات الثقيلة مثل صناعة الصلب وبناء الناقلات العملاقة .

ولنلقى الان نظرة على ارقام الصادرات ، فنجد ان صادرات عام ١٩٥١ من ناحية القيمة والتى بلغت ١٣٥٤ مليون دولار ، قد اصبحت عام ١٩٦١ مبلغ ٤٢٣٥ مليون دولار ونجد رقمى الواردات بالنسبة لهذين العامين هما ١٩٩٥ مليون دولار ، ٥٨١٠ مليون دولار على التوالى . ولكن يلاحظ ايضا ان نسبة ٦٠ ٪ منها تشكل مواد خام .

ونختم هذا الفصل بنقطة هامة تفسر سر هذه القفزات الثابتة للنمو الاقتصادى ، وهو قيام الصناعات الكبرى اليابانية بابرام عقود فرعية بينها وبين بعض المؤسسات الاصغر حجما فى الوقت الذى تركز فيه المؤسسات الصناعية الكبرى جهودها فى نواحى خاصة بالتصنيع أو التجميع أو التسويق واهم ما يمكن ان تجنيه الشركات الصغرى هو ضمان توزيع منتجاتهم ، ثم ضمان حصولها على خبرات ودراسات وابحاث لتطوير السلع . وفى حين تطمع ان تحقق الشركة الصغرى الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع موظفيها فضلا عن انها تستطيع ممارسة عملية التشغيل على هامش صغير من رأس المال يمكن ان تقترضه من البنوك بسهولة بضمان الشركة الكبرى القابضة(١) .

ثانيا : بالنسبة للصين

١ - المسيرة الشيوعية الكبرى وزعامة ماوتسى - تونج

حينما باشرت اليابان عدوانها على الصين عام ١٩٣٧ ، كانت احدى الشروط الهامة التى اشترطتها الولايات المتحدة للعودة الى علاقاتها الودية مع اليابان هى جلاء اليابان الكامل عن الصين وعن الهند الصينية ، ولكن اليابان كما رأينا اعلنت الحرب على الولايات المتحدة فى

---

(1) Morton : W.S. Ibid, pp. 207 - 208

٧ ديسمبر ١٩٤١ ، ثم احتلت هونج كونج وماليزيا وبورما وصار الطريق الوحيد الذى يمكن ان يصل الصين بالحلفاء مقطوعا فلم يكن من المستطاع انزال الامدادات للصين الا بواسطة الطائرات من أعلى جبال الهيملايا . وكانت روسيا هى الأخرى منهمكة فى صراع صعب لم يمكنها من ارسال اية امدادات للصين .

ومن ناحية اخرى كانت الولايات المتحدة بحاجة ماسة الى استمرار المقاومة الصينية لليابانيين اثناء الحرب العالمية الثانية من اجل شل حركة أكبر عدد ممكن من اليابانيين وانشغالهم فى هذه المقاومة . لذلك اشتد اهتمام الولايات المتحدة بهذا الوضع المتردى بين الصينيين الشيوعيين والصينيين « الوطنيين » . ولذلك تقابل المارشال تشيانج كاى شيك مع الرئيس الاريكى رزوفلت ، وونستون تشرشل فى القاهرة (من ٢٢ - ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣) للتباحث فى كيفية مواصلة الحرب وعن الشروط الواجب فرضها على اليابان .

ولقد كانت رغبة الدول المتحارية تتمثل فى الحصول من الصين على اقصى جهد حربى ، لذلك تبارت هذه الدول فى التنازل عن حقوق امتداد القوانين (Exterritoriatlité) التى كانت تكفلها المعاهدات القديمة . ولهذا شرعت هذه الدول فى ابرام عدد من المعاهدات بينها وبين الصين فى عام ١٩٤٣ . وكانت اهم هذه الدول هى انجلترا والولايات المتحدة(١) .

واستسلمت المانيا للحلفاء فى ٧ مايو ١٩٤٥ كما اشرنا ، وفى ٢٦ يوليو ١٩٤٥ انضمت الحكومة الصينية التى كانت قائمة فى منطقة تشانكنج (Chunking) الى الانذار المرسل من بوتسدام لليابان من جانب كل من تشرشل وروزفلت . وفى ٩ اغسطس كانت روسيا قد دخلت فى حرب مع اليابان . واخيرا استسلمت اليابان رسميا فى ١٥ اغسطس . وفى هذا الظرف لم يكن مخولا سوى للقوات الصينية الحكومية تلقى وثيقة التسليم من القوات اليابانية المستسلمة المتمركزة فى الصين . وتم تسليم هذه الوثيقة رسميا فى ٩ سبتمبر ١٩٤٥ .

المهم فى الامران عملية تجميع القوات اليابانية المهزومة ثم نزع اسلحتها كانت تتطلب بضعة اسابيع مع تعاون القوات الامريكية بقيادة الجنرال ويدماير (Wedmyer) . وكان على القوات الصينية الحكومية ان تحكم صلتها مع القوات الشيوعية شمالى النهر الاصفر وذلك من اجل نزع سلاح اليابانيين . ولكن القوات الشيوعية كانت تفضل ان تشرع وحدها فى هذه العملية . وفى شهر ديسمبر ١٩٤٤ حضر شو إين لاى (Chou En-Lai)

----

(1) Mourin : M. Histoire des Grandes Pouissances de 1919 - 1958 pp 554 - 555.

الرجل الثانى بعد الزعيم ماوتسى - تونج الى منطقة شانكنج طالبا من تشيانج كاى شيك تأليف حكومة ائتلافية تمثل كافة الاتجاهات المذهبية فى الصين ، لكن تشيانج كاى شيك رفض هذا العرض .

وعاد شو إين لاى فى ٢٥ يناير ١٩٤٥ مقدما مقترحاته لعقد مؤتمر يضم كافة الاتجاهات توطئة لتشكيل حكومة ائتلافية ، ولكن تشانج كاى شيك اصر على الحصول من الشيوعيين الصينيين على ضمانات بخضوعهم قانونيا لسلطته المدنية والعسكرية ورفض التعامل على قدم المساواة مع الحكومة الشيوعية التى كانت قائمة حينذاك فى مقاطعة ينان (Yenan) . واصر الشيوعيون هم الاخرون على عدم خضوع قواتهم لاوامر حكومة ديكتاتورية . حينذاك دعا تشيانج كاى شيك الزعيم ماوتسى تونج للذهاب الى شانكنج فاستجاب لهذه الدعوة ووصل الى شانكنج فى نهاية شهر اغسطس للتفاوض فى هذا الشأن ووقع الزعيمان اتفاقات بقيت حبرا على ورق ، ذلك ان المعارك بين « الشيوعيين » ، و « الوطنيين » كانت قد استؤنفت اشد ضراوة عند سور الصين العظيم[1] .

وظلت الحرب سجالا فى اول الامر ، اذ دخل « الوطنيون » الى ينان معقل «الشيوعيين» واجبروا قوات ماوتسى - تونج على ان تنحسر باتجاه الشمال وان تتقوقع فى جيوب متناثرة لكنها لم تستطع محاصرتها تماما للسيطرة عليها ثم تصفيتها وكان تشيانج كاى شيك فى هذا الظرف منهمكا فى منشوريا . فاتجه ماوتسى تونج بعد ذلك نحو الجنوب الى الصين الوسطى حتى وصل الى اليانجستى ليستجمع قواته للشروع فى هجوم ضخم على ميمنة وميسرة قوات العدو . وقد اسهمت الاسلحة التى تركها له الروس والتى كانت تستخدمها القوات اليابانية المهزومة فى منطقة كوانتونج والاسلحة التى تم الاستيلاء عليها من ايدى « الوطنيين » فى بلوغ ماوتسى - تونج مرحلة التعادل فى التسليح مع قوات تشيانج كاى شيك وما لبث ان انضمت الى قوات الشيوعيين بعض القوات المنغولية ومجموعة اخرى من الفلاحين .

ولقد انعكست اثار المعارك بصورة جلية فى حزب الكومنتانج ، حيث شعر انصار تشيانج كاى شيك ان الوضع المالى لن يمكنهم من مواصلة القتال فى تلك الحرب الاهلية الضروس التى وصفوها بانها حرب ابادة مما ترك اثره على الروح المعنوية لهذه القوات وصار التصدع داخل حزب الكومنتانج امرا لا سبيل الى تلافيه . على أنه مما تجدر الاشارة اليه ان القطيعة بين الكومنتامج والحزب الشيوعى الصينى صارت حقيقة واقعة وواضحة منذ عام ١٩٢٧ . وكانت الصورة منذ ذلك التاريخ كما يلى : كان تشيانج كاى شيك يعتقد فى

---

(1) Mourin, M. op. cit. p. 561

فاعلية المدن من ناحية والتسلح العصرى والمساعدة الامريكية من ناحية اخرى . اما الزعيم الشيوعى ماوتسى تونج فكان يؤمن ايمانا لا يرقى اليه شك باهل الريف المسلحين بالرماح والذين يعتمدون على انفسهم فحسب الى جانب ما امكن الاستيلاء عليه من اسلحة من ايدى الوطنيين وما تركته القوات اليابانية .

وقاد ماوتسى – تونج الثورة منذ بدايتها فى احدى ضواحى كيانجسى ومن خلال معاركه الأولى وعلى مدار سبع سنوات اتضحت امامه معالم الخطة التى تحققت بها انتصاراته والمتمثلة فى تركيز القوة عند الهجوم وتشتتها عند الانسحاب ، ثم دحر العدو عن طريق المباغتة ، وتجنب الوقوع فى مفاجأته . وفى ذلك يقول ماوتسى تونج « حين يتقدم العدو نتراجع نحن ، وحين يتوقف نعكر عليه صفو هدوئه ، وحين يتعمد العدو تجنب المعركة ننقض عليه ، وحين ينسحب نلحق به[١] . وبهذا الاسلوب امكن لجيش ماو ان يصمد امام قوة تفوقه عشر اضعاف .

على ان زعامة ماوتسى – تونج ارتبطت بيوم أول اكتوبر ١٩٤٣ الذى انطلقت فيه المسيرة التاريخية التى قاسى افرادها الاهوال حتى انهم حينما بلغ بهم الجوع وعدم وجود المؤن مبلغا جعلهم يأكلون أوراق الشجر أو نعال احذيتهم بعد ان يقوموا بغليانها فى الماء حتى لجأوا الى حمالات اسلحتهم الجلدية وأحزمة بنادقهم يتبلغون بها حتى تبلغ المسيرة منتهاها[٢] .

على ان ماوتسى – تونج قام فى نوفمبر من عام ١٩٤٧ باعادة تنظيم قواته فعين مندوبين سياسيين مع قواد الجيش . وعمل على تحديد اهدافه السياسية وتعليماته العسكرية وتبلورت هذه التعليمات فى الحرب الثورية المتمثلة فى حرب وحدات العدو المتشتتة أو المنعزلة والسيطرة الكاملة فى العام الأول على المناطق الريفية وعلى مناطق الاقطاع القديمة وليس على المدن الكبرى . ثم تجنب الدخول فى معارك الاستنزاف او العمليات العسكرية المرتجلة . وجعل العدو يستنفد اكبر قدر من موارده المادية . وكسب تقدير ومحبة الفلاحين ومساعدتهم فى اشغالهم وتسهيل امدادهم بالمواد الغذائية ، وطرح المبادىء السياسية والشعارات لتحريرهم حيث لا يستطيع « الوطنيون » المعارضة فى منحهم الاراضى التى نادت الثورة الشيوعية بان الارض لمن يفلحها[٣] .

---

(١) بريفيت الان : يوم تنهض الصين . يهتز العالم ، ترجمة هنرى زغيب ، ص ٣١ .

(٢) بريفيت الان : نفس المصدر ص ٣٣ .

(3) Mourin, M. op. cit. p. 561

وسرعان ما شرع الشيوعيون فى تطبيق هذه المبادىء التى انصبت على ديموقراطية توزيع الاراضى الزراعية على ايدى الفلاحين من ايدى الملاك . وشرعت قوات ماوتسى - تونج فى أول الامر فى قتل بعض هؤلاء الملاك أو سجنهم . ولكن الزعيم ماو أصدر اوامره بمنع هذه الاعمال العنيفة ، وامر بانشاء اقتصاد اقليمى فى المناطق التى وقعت تحت سيطرة قواته، وشرع فى اصدار عمله ثابتة ، ونظام صارم لمراقبة اسعار السلع مما اثار اعجاب الصينيين فى الوقت الذى كان التضخم النقدى المحموم يشكل حركة النشاط الاقتصادى فى المناطق التى تقع تحت سيطرة الحكومة « الوطنية » .

وفى بداية عام ١٩٤٨ قام الشيوعيون بتشكيلات اكثر عددا وافضل تسليحا بمهاجمة منشوريا وموكدن ثم قاموا بتطهير شانتونج ، واستعادوا اقليم بينان واحتلال مدينة كايفنج عاصمة مقاطعة هونان (Honan) واستمرت المعارك طيلة العام (١٩٤٨) فى مساحات شاسعة ، واقبل عدد كبير من القوات « الوطنية » على الفرار . وبعد معركة ضارية وطويلة فى فصل الشتاء فى منطقة سوشو (Su Show) . امكن ابادة افضل ما لدى الوطنيين من قوات ، واقبل قائد القوات الوطنية على تقديم مقترحات بالتسليم سرا تاركا للقوات الشيوعية امر الاستيلاء على بكين . وفى فبراير ١٩٤٩ اوكل تشيانج كاى شيك الى محافظى المقاطعات التي لم يتمكن الشيوعيون من الاستيلاء عليها الامر بالدفاع عن ممتلكاتهم ، وكان ذلك نهاية المقاومة المنتظمة من جانب « الوطنيين » .

ولقد كانت المشكلة التى تلت هذا التسابق المحموم من اجل السيطرة على الصين المحتلة هو ايجاد اساس لتوحيد الصين . وشغل هذا الامر بال الامريكيين على وجه الخصوص . ففى اكتوبر ١٩٤٥ فشلت كافة الجهود الرامية الى تحقيق الصلح بين الطرفين الصينيين المتنازعين بسبب اصرار الشيوعيين على السيطرة على الاقاليم التى وقعت تحت قبضتهم ، بالاضافة الى اصرارهم على اشتراكهم فى الحكومة الوطنية ولهذا بعث الرئيس الامريكى ترومان بالجنرال مارشال بغرض التوفيق بين الطرفين فقام بعقد هدنة بين الجانبين فى يناير ١٩٤٦ وتم طرح الموضوعات التالية للبحث :

أ - تنظيم اقامة حكومة مؤقتة تجمع بين وجهات النظر المختلفة من يسارية ويمينية .

ب - عقد جمعية وطنية يتم انعقادها فى شهر مايو ١٩٤٦ .

جـ - الشروع فى تنفيذ عدة اصلاحات سياسية واجتماعية .

د - توحيد الجيوش فى جيش صيني واحد يضم كلا من العناصر « الوطنية » و«الشيوعية» معا .

ولكن بحلول شهر مارس كانت فرص الاتفاق قد تبددت حيث انسحب الروس من منشوريا ليمهدوا الطريق امام الشيوعيين الصينين لاحتلالها ، وقد استمرت الحرب الداخلية

بعد ذلك سجالا ، وعلى نطاق واسع رغم كل ما بذله الامريكيون من جهود فى سبيل التوفيق بين الطرفين .

٢ - استيلاء الشيوعيين على السلطة فى الصين

لقد كان فى حوزة « الوطنيين » فى نهاية الحرب العالمية الثانية اكثر من ثلاثة ملايين جندى مدربين فى غالبيتهم تدريبا امريكيا ويحملون اسلحة امريكية ، اما الشيوعيون فلم تكن فى حوزتهم سوى قوة ضعيفة المعدات لا تتجاوز فى عددها نصف عدد قوات « الوطنيين » ، ولكنها كانت قد حصلت على كميات ضخمة من الاسلحة والذخائر حيث تمكنت من السيطرة على المناطق التى كان يحتلها اليابانيون فى شمال الصين ، وفى منشوريا . وكانت الروح المعنوية للشيوعيين عالية جدا لانهم جمعوا بين الدعاية الناجحة والقيادة الملهمة القادرة ، بالاضافة الى التأييد الشعبى الواسع ، فلم يحل نهاية عام ١٩٤٨ الا وكانت الصين تقريبا فيما يلى نهر اليانجستى شمالا فى قبضة الشيوعيين . وبعد ذلك بعام واحد انهارت مقاومة الوطنيين فيما عدا جزيرة فرموزا واقليمى سينكيانج والتبت فى اقصى الشرق . وفى ٢٢ يناير ١٩٤٩ سقطت العاصمة بكين فى قبضتهم بعد انسحاب تشانج كاى شيك الى نانكنج ثم الى كانتون ثم الى هنكو وشنغهاى ، وبهذا النصر الحاسم تم اعلان قيام جمهورية الصين الشعبية فى ٢١ سبتمبر ١٩٤٩ .

على أنه مما تجدر الاشارة اليه ان انهيار الصين الوطنية بقيادة تشيانج كاى شيك وضع الولايات المتحدة فى حرج بالغ ، اذ كانت الولايات المتحدة قد قدمت الى الكومنتانج مبالغ من الدولارات لم تنل فى مقابلها سوى عداوة الحكومة الشيوعية الجديدة ، ونتج عن اصرار الشيوعيين الصينيين على عدواتهم لأمريكا أن أصبح اعتراف امريكا السياسى بالحكومة الجديدة امرا مستحيلا . ومع ذلك فان ضياع الامل فى الصين الوطنية من جهة ، وواقع ان فرموزا لا تعتبر رسميا ذات اهمية استراتيجية للدفاع عن مركز الولايات المتحدة فى شرق اسيا – كل ذلك جعل من العبث استمرار امريكا فى تأييد تشيانج كاى شيك فى معقله الجديد والاخير الذى فر اليه فى فرموزا . وكان من الطبيعى ان تتطلع الصين الى اعادة بنائها الاقتصادى بعد ثمانية سنوات من الحرب (١٩٣٧ – ١٩٤٥) ولما كان النصر قد تحقق للشيوعيين ، وكان الاتحاد السوفيتى قد اضحى دولة صناعية كبرى يتطلع للحصول على نصيبه من الصين ، فقد دأبت الصحافة السوفيتية منذ مارس ١٩٤٥ على القول بانه يجب على الولايات المتحدة التخلى عن سياستها التوسعية في الصين وطالبت بعقد مؤتمر سوفيتى

- انجليزى - امريكى لدراسة اعادة بناء الصين وتجهيزها[1] .

٣ - الاتفاق الصينى - السوفيتى ١٩٥٠

بعد ان تمت السيطرة لماوتسى - تونج رئيس الجمهورية الشعبية الجديدة ورئيس وزرائه شو - إن لاى على الصين كان على هذين الرجلين ان يواجها مشكلات ضخمة تتعلق باعادة بناء دولة مزقتها الحروب الداخلية ، اذ اصبح ملايين السكان يواجهون الموت جوعا فضلا عن تأثير التضخم النقدى الهائل على جموع السكان الذى كان شديد الوطأة بشكل لا يحتمل .

ولقد كانت الصين الشعبية تعتمد على تأييد الأقاليم الزراعية ، ولم يكن بين زعماء الشيوعيين من يتزود بالمعلومات والخبرة اللازمة لاقامة مراكز صناعية كبرى ، وها هى ذى الصين الشعبية الشيوعية ، وقد اصرت على معاداة الولايات المتحدة الامريكية والغرب بوجه عام ، فلم يكن امامها من تطلب منه العون سوى الاتحاد السوفيتى . ففى فبراير ١٩٥٠ عقدت الصين معاهدة جديدة للصداقة والدفاع المتبادل مع الاتحاد السوفيتى بعد مفاوضات دامت تسعة اسابيع ، وفى الاتفاقات الاضافية التى عقدت فى نفس الوقت تعهد الاتحاد السوفيتى بأن يعيد الى الصين السكك الحديدية والممتلكات الأخرى التى كانت قد استولت عليها فى منشوريا ، وأن يعيد الى الصين ايضا ميناء بورت ارثر ودايرين قبل اواخر عام ١٩٥٢ . وفوق ذلك منح الإتحاد السوفيتى للصين قرضا قدره ٣٠٠ مليون دولار لشراء معدات لصناعة السكك الحديدية على أن تحصل منها فى مقابل ذلك على المواد الاولية والشاى والذهب والدولارات الامريكية .

يضاف الى ما تقدم ما تردد عن ان الرئيس ماوتسى - تونج وعد ستالين فى ملحق سرى بالمعاهدة بان يمده بمئات الالوف من العمال الصينيين للعمل فى سيبيريا ، كما تزود روسيا الصين بالمستشارين العسكريين والفنيين وفى مذكرات متبادلة ضمن المعاهدة تعهد الطرفان بضمان استقلال جمهورية منغوليا الشعبية[2] .

---

(١) رونوفان ، ب : تاريخ القرن العشرين (ترجمة د . نور الدين حاطوم) الطبعة الثانية ص ٥٥١ .

(٢) بين ، تشستر المصدر السابق ص ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

الباب الثالث

الصين المعاصرة وتطور علاقاتها الدولية

الفصل الأول

العلاقات الصينية - الامريكية « المعاصرة »

المسألة الكورية

لعل من المناسب الاشارة الى المسألة الكورية ، لما لها من اثر فى العلاقات بين الصين والولايات المتحدة طالما اننا اتخذناها علامة على طريق تطور هذه العلاقة على نحو ما سيأتى بعد .

١- جذور المشكلة

فى حين كانت كل من واشنطن وباريس ولندن وموسكو تقيم احتفالاتها بالانتصار عام ١٩٤٥ على دول المحور ، كانت هناك مشكلة تنمو وتختمر فى احد اركان منطقة الشرق الاقصى التى لم تكن تحظى باى اهتمام نظرا لعدم بروزها على الساحة العسكرية أو حتى فى مجالات التفاوض . واصبحت كوريا - كما هو حال تاريخها الطويل - منطقة تتبارى بشأنها الدول الكبرى وكان المتنافسان فى هذه المرة هما الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة.

ومنذ عام ١٩١٠ ضمت اليابان اليها كوريا بعد انتصارها على كل من الصين وروسيا على التوالى . غير أن هزيمة اليابان عام ١٩٤٥ قد حول كوريا الى منطقة للفراغ السياسى، وفى مؤتمر وزراء الخارجية المنعقد فى موسكو فى ديسمبر ١٩٤٥ قرر الحلفاء وضع كوريا تحت وصاية كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا والصين على أن تحصل كوريا من خلال هذه الوصاية على استقلالها بعد خمس سنوات .

وكانت وجهة النظر السوفيتية ترى ان كوريا الموالية لها أو حتى المقسمة بحيث يكون الجانب الشمالى منها فى ايدى دولة صديقة بمثابة منطقة عازلة تجعل الاتحاد السوفيتى فى مأمن من أى هجوم يقع عليه من ناحية كوريا التى تقع بالقرب من حدوده . اما وجهة النظر الامريكية فكانت تود لو ان تصبح كوريا بلدا صديقا مواليا لا يقع تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى ، لذلك اهتمت الولايات المتحدة بالمشاركة فى ادارة كوريا . ومن جهة اخرى كان لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى حق مشروع فى اجلاء القوات اليابانية عن كوريا .

ومن خلال سعى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لتحقيق مصالحهما والاشراف على اجلاء اليابانيين ، قامت الدولتان بارسال قواتهما الى كوريا ، وكان ذلك بمثابة

بذر بذور المتاعب . فتقدمت الولايات المتحدة من جانبها باقتراح ان يكون خط عرض ٣٨ درجة شمالا كخط حكمى مؤقت يفصل بين القوات السوفيتية والقوات الامريكية فى كوريا . وعلى ذلك احتلت القوات السوفيتية الجزء الشمالى منها حتى ذلك الخط ، واحتلت القوات الامريكية الجزء الجنوبى من كوريا بما فيها العاصمة سيئول(1) .

بيد ان حكومة الولايات المتحدة بادرت من جانبها بعرض المسألة على الجمعية العامة للامم المتحدة فى عام ١٩٤٧ مطالبة الحكومة السوفيتية بدعوة كل من ممثلى كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية لحضور المناقشات ، ولما رفضت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا الطلب ، انسحب الاتحاد السوفيتى ومن يدور فى فلكه من الدول الاشتراكية مقررين عدم الاشتراك فى نظر المسألة وبالتالى عدم التصويت عليها .

وبعد مناقشات مضنية قررت الجمعية العامة باكثرية الاصوات تشكيل لجنة دولية اسميت « اللجنة المؤقتة للأمم المتحدة فى كوريا » انيط بها مهمة الاشراف على اجراء انتخابات عامة تمهيدا لتأليف الحكومة من شطرى كوريا والعمل على جلاء قوات الاحتلال .

ولقد باشرت « اللجنة المؤقتة » اجراء هذه الانتخابات فى كوريا الجنوبية فى ١٠ مايو ١٩٤٨ واسفرت عن فوز ما سمى « بالرابطة القومية للتحقيق الناجز لاستقلال كوريا » وذلك باغلبية المقاعد . واسند الى زعيمها « سينجمان رى » مهمة تشكيل الحكومة . اما فى كوريا الشمالية فقد تشكلت لجنة برئاسة كيم – ال سونج لاعداد مشروع الدستور . واجريت انتخابات عامة فى كوريا اشترك فيها الكوريون الجنوبيون من الشيوعيين وتكونت جمعية اطلق عليها اسم « جمعية شعب كوريا باسره » تضم من الشماليين ٢١٢ عضوا ومن الجنوبيين ٣٦٠ عضوا وعلى اثر ذلك تشكلت حكومة جمهورية كوريا الشعبية فى سبتمبر ١٩٤٨ . وسارع الاتحاد السوفيتى بالاعتراف بها فضلا عن قيام الصين بذلك ايضا .

سعت الولايات المتحدة الى ضم كوريا الجنوبية الى الامم المتحدة وحذا الاتحاد السوفيتى نفس الحذو بالنسبة لكوريا الشمالية . بيد ان كلا من الدولتين عمدتا الى استخدام حق الڤيتو ضد الاخرى مما اسفر عن رفض مجلس الامن قبول اى من الكوريتين عضوا فى المنظمة .

---

(1) Danovan, R, Tumultuous Years, lst ; ed, p. 89

وفى ديسمبر ١٩٤٨ اعلن الاتحاد السوفيتى سحب قواته من كوريا الشمالية وفعلت الولايات المتحدة نفس الشيء بالنسبة لكوريا الجنوبية ، مما جعل الموقف مشابها بعض الشيء للوضع الذى ساد المانيا عقب الحرب العالمية الثانية . وبذلك اصبح خط عرض ٣٨ درجة شمالا بمثابة حد سياسى يفصل بين المنطقتين تقوم على جانبه حكومتان فى حالة عداء وتنافر .

ب - نشوب الحرب الكورية

ما لبثت العداوة التى زرعت على جانبى خط عرض ٣٨ درجة شمالا ان اتخذت مظهر الحرب الفعلية عندما تخطت قوات كوريا الشمالية هذه الحدود ، فطالبت الولايات المتحدة بعرض الامر على مجلس الامن . فاعلن الاتحاد السوفيتى عدم مشاركته فى نظر القضية الا بعد ان تحصل الصين الشعبية على مقعدها فى مجلس الامن . وفى هذا الظرف صدر قرار مجلس الامن داعيا الى وقف القتال والانسحاب الى ما وراء خط عرض ٣٨ درجة شمالاً .

بيد ان النزاع قد اتخذ له منعطفا خطيرا حين كلفت الولايات المتحدة الجنرال ماك آرثر القائد العام لقوات الحلفاء فى اليابان بدعم القوات الكورية الجنوبية بالسلاح والعتاد واعدادها للقتال . وفى هذه الاثناء كانت قد وردت تقارير « لجنة الامم المتحدة فى كوريا » التى اشرنا اليها تدين كوريا الشمالية بالعدوان مما جعل الولايات المتحدة تتخذ خطوة جديدة نحو تقديم طلب لمجلس الامن لاصدار قرار بفرض عقوبات ضد كوريا الشمالية . وصدرت بالفعل موافقة المجلس على مشروع القرار باغلبية الاصوات فى ٢٧ يونيو ١٩٥١ .

لم يمض على القرار المذكور اكثر من يومين حتى أصدر الرئيس الامريكى ترومان اوامره الى الجنرال ماك آرثر بانزال قوات برية فى الأراضى الكورية فضلا عن محاصرة شواطئها . وزيادة على ذلك فقد اصدر اوامره بان يقوم سلاح الطيران الامريكى بضرب الاهداف العسكرية فى كوريا الشمالية .

جـ - مراحل الحرب الكورية

يمكن تقسيم هذه الحرب إلى ثلاثة مراحل لكل مرحلة سمة خاصة . فالمرحلة الأولى تتسم بعزوف الأمريكيين عن محاولات السلام والتردد حتى تدخلت الصين . وأما المرحلة الثانية فتميزت بدخول الصين الحرب حين بات الخطر على أبوابها . اما المرحلة الثالثة فتتميز بادراك الولايات المتحدة للمخاطر الكبرى الناجمة عن تهور الجنرال ماك آرثر وتصميمه على ضرب الصين ، وانتهت هذه المرحلة بتسوية النزاع جزئيا على نحو ما سنرى .

أ - المرحلة الاولى منذ قيام الحرب حتى تدخل الصين

كان الرئيس الهندى جواهر لال نهرو قد قام بمحاولات سلمية فى عام ١٩٥٠ لحل هذا النزاع الذى صار يتخذ ابعادا كبيرة مقترحا قبول جمهورية الصين الشعبية عضوا فى الامم المتحدة مقابل اجراء تسوية مقبولة للنزاع الكورى . وقبل الاتحاد السوفيتى هذا العرض على أن يتولى الخمسة الكبار حل النزاع ، لكن الولايات المتحدة رفضت فكرة قبول الصين عضوا فى الامم المتحدة رفضا قاطعا . وفشلت المساعى الهندية .

وحقيقة الامر ، فان الولايات المتحدة كانت تواجه فى هذه المرحلة مشكلة حرجة تتمثل فى ترددها فى اتخاذ أى الموقفين : الاكتفاء بصد العوان دون اجتياز خط عرض ٣٨ درجة شمالا ام مواصلة تقدمها شمالا عبر هذا الخط ؟

الا ان ماك آرثر ما لبث ان اصدار اوامره لقوات كوريا الجنوبية باجتياز هذا الخط ولحقت بها قوات الامم المتحدة . وبذلك تنتهى هذه المرحلة من الحرب الكورية التى تحولت فيها الولايات المتحدة من الدفاع نحو الهجوم .

ب - المرحلة الثانية : من بداية التدخل الصينى حتى عزل الجنرال ماك ارثر (ابريل ١٩٥١)

ما أن رأت الصين أن قوات الامم المتحدة قد اجتازت خط عرض ٣٨ حتى بادرت بالتدخل بمباركة الاتحاد السوفيتى حيث قد بدأ واضحا ان قوات الامم المتحدة هذه تقع تحت السيطرة الكاملة للولايات المتحدة . ولم تقبل الصين ان تقترب هذه القوات من حدودها . فبادرت بارسال موجات ضخمة من الصينيين على شكل متطوعين صينيين الى جبهة القتال . ازاء هذا التدخل الصينى اصبح ميزان القوى مختلا وانقلبت الحال فى غير صالح قوات الامم المتحدة . وحاول ماك آرثر عبثا ان يتقدم بقوات الامم المتحدة للتصدى للقوات الصينية الزاحفة .

فكر ماك آرثر فى طلب التصريح له بضرب الصين جوا ، لكن حلفاء امريكا عارضوا هذه الفكرة مخافة ان يؤدى ذلك الى تدخل السوفيت وتتسع رحى الحرب حتى تشمل الميدان الأوروبى فى وقت لم تكن الولايات المتحدة أو حليفاتها على ادنى استعداد للدخول فى حرب عالمية ثالثة .

غير ان الصين كانت تشترط لوقف القتال شروطا لم تكن لتقبلها الولايات المتحدة بحال من الاحوال . من امثال ذلك قبولها عضوا فى الامم المتحدة والتخلى عن فرموزا ، والانسحاب الى ما وراء خط عرض ٣٨ درجة شمالا . وامام موقف الصين المتشدد ، فكر

الرئيس الامريكي ترومان فى استخدام القنبلة الذرية ضدها[1] .

وفى ٢٠ يناير ١٩٥١ وافقت اللجنة السياسية للامم المتحدة بناء على اقتراح الولايات المتحدة بطبيعة الحال على اعتبار الصين الشعبية دولة معتدية ، واصر الجنرال ماك آرثر على رأيه من أن احراز النصر لا يتأتى الا بضرب الصين ضربة قاصمة فعرض على سلطات كوريا الشمالية - دون الرجوع الى حكومته - إما عقد هدنة والا امتداد عملياته الحربية الى قلب الصين . وأمام هذه التهور الواضح أصدر الرئيس ترومان قراره فى ١٠ ابريل ١٩٥١ بعزل ماك ارثر من كافة سلطاته .

جـ - المرحلة الثالثة : وتشمل الفترة من عزل ماك ارثر حتى التسوية الجزئية للنزاع :

كان لعجز الطرفين ، الامريكي والصينى عن كسب معركة حاسمة فى كوريا اكبر الاثر فى لجوء الطرفين للتفاوض ولا سيما بعد ان اعلن مندوب الاتحاد السوفيتي فى الامم المتحدة ان التعايش السلمي بين النظامين الرأسمالى والاشتراكى امر ممكن وان بالامكان حل المشكلة الكورية بسحب قوات الطرفين من على جانبى خط عرض ٣٨ درجة شمالا . وبدأت المفاوضات فى ١٠ يوليو ١٩٥١ بين كل من ممثلى الولايات المتحدة وكوريا الشمالية والمتطوعين والصينيين .: وعرض الشيوعيون مقترحاتهم التى تتلخص فيما يلى :

١ - وقف اطلاق النار فورا وقبل الشروع فى مفاوضات الهدنة .

٢ - اعتبار خط عرض ٣٨ درجة شمالا بمثابة حد فاصل من الوجهة العسكرية على ان تترك مسافة عشرة كيلو مترات على جانبى هذا الخط كمنطقة منزوعة السلاح .

٣ - سحب جميع القوات الأجنبية من كوريا فى اسرع وقت .

وتعثرت المفاوضات بين الطرفين وقتا طويلا حتى اقدمت الصين من جانبها فى ٢٠ مارس ١٩٥٣ على خطوة جديدة فى طريق حل المشكلة ، فاقترح شو إين - لاى قبول المشروع الهندى الخاص بتسليم الاسرى لدولة محايدة . ومن ثم تمكن الجانبان الامريكي والكورى الشمالى من تبادل عدد من الاسرى .

وفى ٧ يونيو ١٩٥٣ تم توقيع اتفاق بخصوص الخط الفاصل للهدنة ، وهو خط ينحرف قليلا عن خط عرض ٣٨ درجة شمالا ، ويقطعه من ناحية الغرب ومن الجنوب الغربى باتجاه الشرق والشمال الشرقى . وفى النهاية امكن توقيع اتفاق الهدنة فى (بانمونجوم) على أن يفصل بين الجيشين منطقة مجردة من السلاح عرضها اربعة كيلو مترات توطئة لعقد مؤتمر سياسى فى ظرف ثلاثة شهور لايجاد التسوية الشاملة للمشكلة الكورية .

---

(١) د . محمد السروجى : المصدر السابق ص ٢٤٧ .

وكانت النتيجة ان وقعت الولايات المتحدة فى ٧ اغسطس ١٩٥٣ معاهدة دفاع بينها وبين كوريا الجنوبية وقام الإتحاد السوفيتى من جانبه بنفس الشىء بالنسبة لكوريا الشمالية . ولكن اختلاف وجهات نظر الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا - بشأن الهدف من عقد المؤتمر السياسى لتسوية المشكلة حال دون انعقاده اذ كانت الولايات المتحدة تهدف من وراء عقده الى توحيد كوريا فى نهاية الامر فى حين كانت بريطانيا ترى ان الهدف من عقده ينحصر فقط فى حماية كوريا الجنوبية من العدوان الشيوعى . ونكتفى بهذا القدر بالنسبة للحرب الكورية التى تركت بصماتها واضحة على العلاقات الصينية - الامريكية .

١ - طبيعة العلاقات قبيل الحرب الكورية

لقد رأينا كيف اتبعت الولايات المتحدة سياسة الباب المفتوح منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وقاومت كل محاولة للسيطرة على الصين من جانب كل من اليابان وروسيا على وجه الخصوص . وفى عام ١٨٩٩ بعد ان تمكنت الولايات المتحدة من ضم كل من هاواى وبورت ريكيو ، وجوام ، والفلبين ، حاول وزير الخارجية الامريكى جون هاى (John - Hay) توكيد سياسة الباب المفتوح فى الصين .

وفى عام ١٩٠٠ حينما كانت روسيا تحاول مد نفوذها على الصين ، وقامت باحتلال منشوريا ، وجهت الولايات المتحدة اقتراحا لدعم الصين وسلامة اراضيها ، واصبحت هاتان الركيزتان وهما سياسة الباب المفتوح ، وضمان سلامة الصين واراضيها اساس علاقة الصين مع الولايات المتحدة . ومن هذا المنطلق جابهت الولايات المتحدة السياسة التوسعية الروسية فى منشوريا فى الفترة ١٩٠٢ - ١٩٠٣ ، كذلك دعت الى احترام حياد الصين اثناء نشوب الحرب الروسية - اليابانية ١٩٠٤ - ١٩٠٥ . وزيادة على ذلك اقترحت تحييد خط حديد منشوريا فى عام ١٩٠٨ لمنع اى سيطرة اجنبية انفرادية فى المنطقة . وأثناء الحرب العالمية الأولى قاومت الولايات المتحدة محاولة اليابان فرض سيطرتها على الصين من خلال الواحد والعشرين مطلبا المشهورة التى مثلت رغبتها فى السيطرة على الاراضى الالمانية فى الصين .

وفى عام ١٩٢٢ حاولت الولايات المتحدة ان تضفى على سياسة الباب المفتوح الصفة الشرعية فى معاهدة « الدول التسعة » التى انبثقت عن مؤتمر واشنطن . ثم اشفعت كل ذلك فى عام ١٩٢٨ بالاعتراف بالحكومة الصينية الوطنية الجديدة . وواصلت الولايات المتحدة هذه السياسة حين قامت اليابان عام ١٩٢١ بغزو منشوريا . فقام وزير الخارجية الامريكى ستيمسون (Stimson) بابلاغ اليابان ان الولايات المتحدة سوف لا تعترف بأية اتفاقيات يكون من شأنها الحاق الاذى بحقوق الولايات المتحدة فى الصين بما فى ذلك ضمان سلامة الصين.

وبعد ان شرعت اليابان فى الحرب مع الصين على نطاق واسع عام ١٩٣٧ ، اعلن الرئيس الامريكى روزفلت فى حديث له فى اكتوبر رفضه لمثل هذه المواقف العدوانية من جانب اليابان . وشرعت الولايات المتحدة فى عام ١٩٣٩ فى استخدام السلاح الاقتصادى ضد اليابان حتى انتهى الامر عام ١٩٤١ كما أوضحنا فى الباب الثانى إلى طلب سحب القوات اليابانية من الصين ، والى قيام الولايات المتحدة بتجميد الاموال اليابانية الموجودة فيها ، وكانت هذه الخطوات سببا فى استثارة اليابان ، الامر الذى اسفر عن ضرب بيرل هاربور عام ١٩٤١ .

وكانت الولايات المتحدة تهدف الى اعاة بناء الصين لتقوم بدور ايجابى لحفظ السلام فى المنطقة . واتى مؤتمر القاهرة ١٩٤٣ لتتعهد فيه كل من الولايات المتحدة وبريطانيا باعادة كافة الأراضى التى استولت عليها اليابان فى الصين (وهى منشوريا وفرموزا وجزر البسكادور وكذلك منحها مقعدا فى مجلس الأمن على قدم المساواة مع الدول الاربع الكبرى وهى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا) .

وفى اعقاب الحرب العالمية الثانية اصبح الوضع فى الصين متبلورا فى جيشين متناحرين، جيش الوطنيين بقيادة تشيانج كاى شيك . والجيش الشيوعى ، وكان يوحد بين هذين الجيشين مرحليا التصدى للعدوان اليابانى . ولما زال هذا الخطر الاجنبى اشتدت روح العداوة بين الجانبين . وحقيقة الامر فإن الامريكيين لم يتخلوا عن تشيانج كاى شيك ، ولكن الامر كان يقتضيه ان يقدم بعض التنازلات والامتيازات الاقتصادية للامريكيين نظير الدعم المالى الفورى من جانبهم . ولم يكن ذلك فى مقدور تشيانج كاى شيك اذ كان دخول الصين الحرب من اساسه يرمى الى التخلص من الوصاية الاقتصادية اليابانية فان من العسير اذن استبدال وصاية قديمة باخرى جديدة . اما الامريكيون فكان فى ظنهم أنه بعد ابعاد اليابان عن السوق الصينى الضخم سوف يحلون هم محلهم بطريقة تلقائية ولكن خاب ظنهم حينما رأوا ان تشيانج كاى شيك عمد الى الحد من الاستيراد وانتهج سياسة مخالفة الاتفاقات السابقة معهم . وبعد محادثات مضنية قام الامريكيون بمغادرة الصين فى بداية عام ١٩٤٧[1] .

ويلاحظ أنه قبل سيطرة الشيوعيين على دفة الحكم فى الصين عام ١٩٤٩ كانت العلاقات الامريكية – الصينية علاقة مودة وصداقة ، وساندت الولايات المتحدة الحكومة الوطنية الصينية . ولكن على الرغم من مواقف الصداقة الامريكية هذه تجاه الصين فقد كان جانب كبير من الصينيين يعتبرون هذا النفوذ الأمريكى ما هو الا جانب من النفوذ الغربى الاستعمارى الذى يصيب الصين فى سيادتها وتقاليدها العريقة . ولكن يلاحظ من جهة أخرى

---

(1) Dubarbier, G. La Chine Moderne. p. 119

ان الولايات المتحدة لم تأخذ دور الصدارة لان مركزها كان ضعيفا نسبيا ، فلم تكن لها اهداف استعمارية مثل كل من انجلترا وروسيا واليابان . ولكن الولايات المتحدة كانت قد حصلت عام ١٩٤٤ على معاهدة مع الصين سميت بمعاهدة « وانجهيا » (Sino-American Treaty of Wangahia) تحصل فيها الولايات المتحدة على شرط الدولة الأولى بالرعاية ، لكى تتمتع بأية حقوق أو مزايا تمنحها الصين للدول الأخرى ، ولذلك فانه حينما سعت كل من بريطانيا والدول الاخرى الى مد نطاق قوانينها فى الصين حصلت الولايات المتحدة على نفس هذه المزايا بطريقة تلقائية .

لكن الغموض اكتنف العلاقات الصينية – الامريكية عقب الحرب العالمية الثانية ذلك ان الولايات المتحدة كان تسعى للتوسط بين « الوطنيين » و« الشيوعيين » الصينيين وكانت تسعى لدعم الحكومة المستقلة من الوطنيين من ناحية ومحاولة جذب الشيوعيين للتوصل الى حل وسط ، الامر الذى كان يبشر بفشل المساعى الأمريكية من حيث البداية فخسرت الولايات المتحدة كلا من الطرفين فلا « الوطنيون » شعروا بان الولايات المتحدة قد منحتهم العون الكامل ولا الشيوعيون احسوا بان الامريكين كانوا محايديين فى مساعيهم ، وانهم بدلا من ذلك تدخلوا فى الشؤون الداخلية للصين وانهم يميلون نحو الوطنيين . وتفجر الوضع نتيجة لتناقض السياسة الامريكية – اذ بينما كان ظاهرها الحياد بين الفريقين المتصارعين على السلطة فانها كانت تقدم لتشيانج كاى شيك كافة احتياجاته من الأسلحة والعتاد فبلغت القوات الامريكية فى الصين ٦٠٫٠٠٠ جندى فى بادىء الأمر ثم ارتفع عددها ليصل بعد شهور قليلة الى ١٤٣٫٠٠٠ جندى[(١)] .

وحينما دخلت الولايات المتحدة والصين الحرب العالمية الثانية كان الزعيم الشيوعى – ماو تسى تونج يأمل فى المساعدة الامريكية للجهد الحربى الصينى ، وان يحصل على مؤازرة الولايات المتحدة لصالح الشيوعيين فى الداخل . وخلال عامى ١٩٤٤ – ١٩٤٥ كان يرواد الشيوعيين امل تمركز قوات امريكية على الشاطىء الصينى وقال ماوتسى تونج للامريكيين «نحن سوف نستقبل مساعداتكم بالشكر فى أى وقت ، الان وفى المستقبل» . فقد كان الشيوعيون الصينيون فى تلك الاونة ينظرون صوب الولايات المتحدة اكثر من نظرهم ناحية الاتحاد السوفيتى سواء بالنسبة للعون الدبلوماسى أو العون العسكرى اذ لم يكونوا يتوقعون عونا ذا قيمة من الروس الذين كانوا منهمكين فى أوروبا ولم يقدموا اى عون للصينيين منذ أن وقعوا ميثاق الحياد مع اليابان فى عام ١٩٤١ .

---

(١) د . محمد محمود السروجى : سياسة الولايات المتحدة الخارجية ص ١٣٦ .

وحينما اقتربت نهاية الحرب العالمية الثانية استعد الوطنيون والشيوعيون للدخول فى حرب اهلية صريحة . وفى اغسطس ١٩٤٥ حين القت الولايات المتحدة قنبلتها الذرية على اليابان ، ثم دخول موسكو الحرب وتسليم اليابان تحرك كل من الخصمين الصينيين للاستيلاء باقصى سرعة على الاراضى لتثبيت مركزه والاستيلاء على الاسلحة التى خلفها اليابانيون المهزومون .

فى هذا الظروف ارسل الرئيس ترومان الجنرال مارشال للتوسط فى الصراع الداخلى فى الصين . وفى شهر يناير ١٩٤٦ تم التوصل الى اتفاق لوقف اطلاق النار ومحاولة تكوين حكومة ائتلافية لكن القتال استؤنف مرة أخرى خصوصا فى الشمال الشرقى من الصين عند منشوريا ، الأمر الذى دعا مارشال الى العودة الى بلاده فى يناير ١٩٤٧ خائبا . وبمجرد ان استسلمت اليابان فى اغسطس ١٩٤٥ وجه الشيوعيون الصينيون جانبا كبيراً من افضل جيوشهم نحو الشمال الشرقى للصين وفى منغوليا الداخلية حيث تم الاتصال بينهم وبين القوات السوفيتية وفى هذا الظرف سلم السوفيت كميات هائلة من الاسلحة اليابانية للشيوعيين وعملوا كذلك على توقيت انسحابهم من الأماكن الاستراتيجية الهامة لكى يستولى عليها الشيوعيون بسهولة ، الامر الذى ادى فى نهاية الامر الى سيطرة الشيوعيين عام ١٩٤٩ على الصين واعلان حكومتهم فى ٢١ سبتمبر ١٩٤٩ بعد سقوط بكين فى قبضتهم وانسحاب تشيانج كاى شيك الى نانكنج ثم الى كانتون ، وهنكو ، وشنغهاى على التوالى ثم فراره الى فرموزا . واقتصرت سلطة الحكومة الوطنية على جزيرة فرموزا وجزر البسكادور وبعض الجزر الساحلية الأخرى .

ولقد ظل الموقف الامريكى منذ عام ١٩٤٩ تجاه الصين مبنيا على الافتراض التالى : انه من الوجهة القانونية ، فان الصين « الشيوعية » ليست موجودة ، ولكن بالنسبة للواقع فان نظامها ليس سوى نظام مرحلى عارض . يؤيد ذلك التصريح الصادر من وزير خارجية امريكا جون فوستر دالاس فى نوفمبر ١٩٤٩ بقوله : « اننا نستطيع بثقة ان نعتبر الشيوعية الدولية التى تقضى بانصياع الصين لها مرحلة عابرة لن تستمر ، وعلينا نحن انفسنا وعلى حلفائنا ، والشعب الصينى ان نبذل اقصى ما فى وسعنا لتحقيق هذا الهدف[1] » . وكانت حكومة تايوان فى نظر الولايات المتحدة حتى ذلك التاريخ هى الحكومة التى تمثل الصين .

---

(1) Mende, T. La Chine et son Ombre p. 286

ولقد كان هناك دافع سياسى واخر عاطفى وراء هذا الموقف الامريكى تجاه الصين . فلقد كانت الغالبية العظمى من الشعب الامريكى تعتقد اعتقادا راسخا بأنه يربط الشعبين رابطة عميقة من الصداقة لا يضاهيها اية صداقة فى العالم . ولقد كان التعاطف الامريكى فى الثلاثينيات من هذا القرن واضحا مع الشعب الصينى اثناء صراعه ضد العدوان اليابانى. اما بالنسبة لتشيانج كاى شيك وزوجته التى نشأت فى الولايات المتحدة (ولقد اعتنقت هى وزوجها الديانة المسيحية) فقد كان ذلك ضمانا اضافيا .

وكذلك تسببت معركة بيرل هاربور عام ١٩٤١ فى دخول الولايات المتحدة الحرب الى جانب الصينيين وهكذا ظل الشعب الصينى على مدار ما يقرب من عشرين عاما ، وعلى رأسه تشيانج كاى شيك محل الحب والصوب للشعب الامريكى . ثم يأتى بعد ذلك عام ١٩٤٩ فتنقلب الاوضاع فجأة مما جعل الشعب الامريكى يبحث فى دهشة عن سر هذا التغيير .

٢ - العلاقات بين البلدين اثناء الحرب الكورية

لم يتوقف التوتر بين الصينيين والامريكيين عن التصاعد وصار اكثر تفجرا بوجه اخص اثناء الحرب الكورية عندما رفضت الصين اطلاق سراح الطيارين الامريكيين الذين كانت قد احتجزتهم . واثناء شتاء عام ١٩٥٤ - ١٩٥٥ حينما خول الكونجرس الامريكى للرئيس أيزنهاور التصرف حسبما يراه ضروريا للدفاع عن تايوان والبكسادور ، ادركت الصين ان اصرارها على موقفها قد لا يجديها شيئا وانه سوف يتسبب فى الاضرار بامنها فى نفس الوقت الذى ادركت فيه ان الدول الاسيوية المحايدة لن تستطيع مديد العون اليها . ولقد تجلت رغبة الصين واضحة جلية فى احداث تغيير فى موقفها اثناء مؤتمر باندونج فشرعت فى اجراء اتصالات بلوماسية محدودة بين سفرائها والسفراء الامريكيين اولا فى جنيف ثم بعد ذلك فى وارسو .

وأثناء هذه الاتصالات كانت امريكا تمارس ضغطها على الصين لكى تعلن انها سوف لا تعمل على تحرير تايوان بالقوة فى حين طالب الصينيون بعقد مؤتمر سياسى موسع من وزراء خارجية الصين وامريكا حيث يتم مناقشة كافة المشكلات المعلقة بين البلدين(1) .

ولقد كان الامريكيون يدركون جيدا قبل نشوب الحرب الكورية عام ١٩٥٠ ان الشيوعيين الصينيين رغم اقامتهم حكومتهم الشيوعية فى اكتوبر عام ١٩٤٩ فان هناك نزعتين متعارضتين : أولهما النزعة الشيوعية السوفيتية فى السيطرة ، والنزعة القومية الصينية المتصاعدة .

---

(1) Mende, Ibid. p. 287

وان الشقاق سوف يدب لا محالة بين النزعتين ، لذلك حينما اعد الشيوعيون الصينيون انفسهم فى مستهل عام ١٩٥٠ لغزو تايوان اعلنت الحكومة الامريكية انها سوف لا تتدخل عسكريا لمنع هذا الغزو .

لكن الموقف تغير كثيرا نتيجة النشوب المفاجيء للحرب الكورية فى يونيو ١٩٥٠ . فحينما تقدمت الحرب ، ومالت الكفة ضد الكوريين الشماليين خشى الصينيون من التهديد المباشر لمنطقة شمال شرقى الصين . وحدثت نقطة تحول حاسمة فى شهر سبتمبر واكتوبر ١٩٥٠ حينما بدا أن قوات الامم المتحدة (التى ايقنت الصين انها قوات تابعة للولايات المتحدة) يمكن لها عبور خط عرض ٤٨ درجة والتوجه شمالا . وخشيت الصين من احتمال انهيار نظام الحكم الشيوعى القائم فى كوريا الشمالية ، اذ كانت الصين تعتبرها بمثابة منطقة عازلة (Buffer) لازمة لأمن الصين .

لذلك وجهت الصين تحذيرا للامريكيين انهم اذا عبروا خط عرض ٣٨ درجة فان الصين لن تقف مكتوفة الايدى . وحينما تجاهلت الولايات المتحدة هذا التحذير الصينى تحركت موجات من « المتطوعين » الصينيين الى كوريا الشمالية ولم تلبث فترة وجيزة حتى صارت الحرب الكورية صراعا عسكريا واضحا بين الولايات المتحدة والصين .

٣ - استمرار المواجهة بين الولايات المتحدة والصين عشرون عاما

عملت الحرب الكورية اذن على خلق جو متبادل من الشك والريب بين الصين والولايات المتحدة مما نجم عنه استمرار من المواجهة المكشوفة بين البلدين امتدت كما سنرى لنحو عشرين عاما خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن . ففى الفترة التى اعقبت الحرب الكورية كانت سياسة الولايات المتحدة تجاه الصين تتمثل فى محاولة احتوائها (Containment) حسبما خطط لذلك وزير الخارجية الامريكى دالاس بهدف عزلها ثم تقليل نفوذها الخارجى حتى لا تمثل ضغطا على جيرانها ، وحتى تكون الظاهرة الصينية مجرد ظاهرة عرضية زائلة(١) .

ولتنفيذ هذه السياسة عمدت الولايات المتحدة الى تعزيز انشاء شبكة من التحالفات العسكرية من كل من اليابان وكوريا الجنوبية ، وتايوان ، بالاضافة الى دول السيتو (Seato) المؤلفة من تايلاند ، والفلبين والباكستان كأعضاء آسيويين ، وكذلك حلف الانزوس (Anzus) (المكون من استراليا ونيوزلندة بالاضافة الى الولايات المتحدة) . وهذه الاحلاف بطبيعة الحال كانت بمثابة عزل واحتواء للصين . اما الصين فقد كان يضايقها ويستثير مشاعرها

---

(1) Barnett, A.D. China and The Major Powers in East Asia p.179.

استمرار الدعم الامريكى لنظام حكم الصين الوطنية الذى وقعت معه واشنطن معاهدة دفاعية فى عام ١٩٥٤ . وكانت الصين تستند فى مواجهة هذا التهديد المحدق بها الى معاهدتها مع الاتحاد السوفيتى . ولكنها ما لبثت ان قامت ببناء قوتها الذاتية .

وعقب انتهاء الحرب الكورية ، واثناء الفترة ١٩٥٤ – ١٩٥٥ حاولت الصين عن طريق الضغط العسكرى المحدود ازاحة الولايات المتحدة من المنطقة المجاورة للصين اى من تايوان بوجه خاص ، وبعد ان فشلت الصين فى ذلك اتخذت سياسة اكثر ليونة ومرونة فى الفترة من ١٩٥٥ – ١٩٥٦ بهدف تحقيق اهدافها فى تايوان بالاسلوب السياسى . ولكن هذه السياسة فشلت بدورها فعاد الصينيون مرة اخرى يجربون الضغط فى عام ١٩٥٨ مما اثار ازمة كبرى فى مضيق تايوان للمرة الثانية ، ذلك ان الولايات المتحدة اعلنت تعبئة قواتها فى المنطقة وعادت الصين مرة اخرى الى اسلوب التفاوض .

ولكن يلاحظ انه اثناء التفاوض المباشر مع الامريكيين اصبحت الصين اكثر تشددا وميلا الى اتخاذ مواقف دفاعية فى نفس الوقت . وقد تبلور هذا الموقف نظرا لتصاعد حدة النزاع بين الصين والاتحاد السوفيتى آنذاك – الامر الذى اسفر عن فقدان الصين لدعم موسكو ، مما جعل بكين فى وضع رأت فيه نفسها محاصرة يجرى الضغط عليها من كل من واشنطن وموسكو على حد سواء . وعقب حلول عام ١٩٦٠ حينما اتضح الصدع الصينى – السوفيتى، بدأ الخطر الصينى يتضاءل حجمه امام اعين الامريكيين ، مما جعل الساسة الامريكيين فى النصف الاخير من عام ١٩٦٠ هم الذين يتوجهون نحو بكين للتفاوض معها .

٤ - تطور العلاقة نحو التفاوض

لقد كانت أول مرة يتم فيها جلوس الامريكيين والصينيين الشيوعيين حول مائدة المفاوضات بعد عام ١٩٤٩ فى كوريا حينما كانت الحرب الكورية تجرى على اشدها وحيث أدرك الطرفان فى عام ١٩٥١ ان قيام اى من الطرفين بتحقيق نصر حاسم سوف يؤدى الى توسيع رقعة الحرب بدرجة كبيرة . لذلك اجتمع العسكريون من الامريكيين ومن كوريا الجنوبية ومن الصين ، ومن كوريا الشمالية فى شهر يونيو ١٩٥١ لمناقشة وقف اطلاق النار – الامر الذى اسفر عن توقيع هدنة بانمونجوم (Panmunjom) فى يونيو ١٩٥٣ .

وفى شتاء عام ١٩٥٣ / ١٩٥٤ اتجهت انظار الصين والولايات المتحدة بل والعالم فى غالبيته الى دول الهند الصينية حينما بلغت الحرب الاهلية الدائرة هناك منذ اعقاب الحرب

العالمية الثانية حدا حرجا . ولكن نلاحظ ان الصينيين لم يجدوا فى هذه الحرب الدائرة فى الهند الصينية تهديدا مباشراً لهم بمثل ما حدث بالنسبة للحرب فى كوريا الشمالية التى كانت تعتبر كمنطقة عازلة كما اشرنا من قبل .

٥ - بداية الانفتاح الامريكى على الصين

كان الرئيس الامريكى يقوم برحلة امتدت لبضعة اسابيع طاف فيها حول العالم اواخر يوليو وبداية اغسطس ١٩٦٩ توقف فيها فى كل من فيتنام الجنوبية وخاصة جوام (Guam)، والهند ، والباكستان ، ورومانيا . وعمد الرئيس الامريكى اثناء وجوده فى كل من اسلام اباد وبوخارست الى الكشف عن فكرته الداعية الى الانفتاح نحو الصين امام كل من الرئيس الباكستانى يحيى خان والرئيس الرومانى نيكولاى تشاوشيسكو ، موضحا ايضا ان الولايات المتحدة بسبيل الجلاء الكامل عن فيتنام وانه يريد التحدث الى الصين فى هذا الخصوص . وقد وعد كل من يحيى خان وتشاوشيسكو اللذين كانا يحتفظان بعلاقات ودية مع بكين ابلاغ هذه المشاعر الى المسؤولين الصينيين .

وحينما هبطت طائرة نيكسون فى جوام أوضح الرئيس الامريكى سياسته هذه التى صار يطلق عليها اسم مبدأ نيكسون (Doctrine Nixon) والتى تتضمن رسالة موجهة للصين بان عصر التدخل الامريكى فى الحروب الهامشية قد ولى الى غير رجعة . وألمح نيكسون ان الولايات المتحدة مستعدة فى ذات الوقت للوفاء بتعهداتها بالمال والمعدات لحلفائها ولكن ليس بالرجال - الا فى حالة ما يكون الخطر الذى يلحق بحلفائها اتيا من جانب دولة نووية . ويقتضى تطبيق هذا المبدأ حتمية تخفيض التواجد الامريكى فى اسيا . وقد اشفع نيكسون هذا الاتجاه بالاعلان عن عدة اشارات نحو التصالح مع الصين تضمنت ما يلى :

انه ابتداء من ٢١ يوليو ١٩٦٩ صدرت التعليمات تجيز لرجال الجامعات الامريكيين والصحافيين والطلبة والعلماء ، واعضاء الكونجرس مد صلاحية جوازات سفرهم تلقائيا للسفر الى الصين ، وكذلك السماح للسياح الأمريكيين بالشراء فى حدود مائة دولار من البضائع الصينية .

وفى ٨ اغسطس ١٩٦٩ عبر وزير الخارجية الامريكية روجرز عن رغبة الحكومة الامريكية فى استئناف محادثات وارسو التى كانت قد بدأت منذ عام ١٩٥٥ بين الصين وبين الولايات المتحدة .

وفى ٧ نوفمبر ١٩٦٩ قامت الحكومة الامريكية بوقف الدوريات البحرية فى مضيق تايوان، وكانت هذه الدوريات تجرى على قدم وساق منذ نشوب الحرب الكورية اى منذ نحو ١٩ عاما .

وفى ١٥ ديسمبر ١٩٦٩ صدرت التعليمات بزيادة الحد الاعلى المسموح به بشراء البضائع الصينية لتكون منذ ذلك التاريخ بغير حدود .

المهم ان هذه السلسلة المتوالية من الاشارات التى وجهتها حكومة نيكسون قد تزامنت مع التصادم العسكرى بين الصين والإتحاد السوڤيتى على طول الحدود الممتدة بين البلدين حتى كانت الدولتان ان تداخلا فى حرب معلنة بينهما .

وفى بداية اكتوبر ١٩٦٩ ابرق كيسنجر الى السفير الامريكى فى وارسو والتر ستوسل (Waltr Stoessel) لابلاغ السفير الصينى هناك بالرغبة الامريكية فى استئناف مباحثات وارسو ، وتم بالفعل تقابل السفيرين فى السفارة الصينية فى العاصمة البولندية فى ١١ ديسمبر ١٩٦٩ . وتم الاتفاق على استئناف محادثات وارسو . ولاول مرة كان رد الصينيين ايجابيا على استئناف الاتصالات الدبلوماسية مع الامريكيين . والجدير بالذكر ان ذلك لم يكن حبا فى امريكا بقدر ما كان خوفا من التهديد السوڤيتى ، حينما كانت المحادثات بين بكين وموسكو قد وصلت فى شهر ديسمبر ١٩٦٩ الى طريق مسدود ، وشرعت موسكو بالقيام بهجمات عسكرية جديدة اعتبرتها بكين تهديدا خطيرا بالحرب .

وعمد الرئيس نيكسون الى التقدم خطوة جديدة تمثلت فى اشارة جديدة صادرة من الرئيس نيكسون هذه المرة ، اذ ارسل نيكسون الى الكونجرس تقريرا خاصا تحت عنوان «سياسية خارجية امريكية جديدة للسبعينيات واستراتيجية جديدة نحو السلام » .

ولقد احتوى الجزء الخاص بالصين من هذا التقرير اطراء واضحا وتلميحات كثيرة منها : « . . . الى شعب عظيم مفعم بالحياة» ، « . . . والشعب الصينى الموهوب المثقف » ، منوها فى هذا التقرير عن روابط الصداقة التاريخية مع الشعب الصينى . وكان هذا الجزء قد صيغ وتم تصحيح عباراته عدة مرات من طرف كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى ، كما تضمن تعهدا من جانب الولايات المتحدة الامريكية باتخاذ « كافة التدابير المستطاعة لتحسين علاقتنا مع بكين[1] ». بيد ان نيكسون لم يستخدم فى هذا التقرير الاسم الرسمى للصين « جمهورية الصين الشعبية » تاركا ذلك لمرحلة قادمة من نفس العام

رد الفعل الصينى على الاشارات الامريكية

لقد كان أول رد فعل صينى تجاه هذه الاشارات الامريكية الاولى قد وضع فى الاحتفال بالعيد القومى الصينى الذى يقام فى أول اكتوبر من كل عام ، حيث ظهر الزعيم الصينى ماوتسى – تونج مبتسما وقد بلغ من العمر ٧٧ عاما وظهر بالقرب منه على منصة

---

(1) Kalb, M. B. Kissinger; ses origines ; sa formation ; son ascension ; son apogée . p. 222

الاحتفالات الكاتب الامريكى المشهور ادجار سنو (Edgar Snow) الذى كان قد ذهب فى أواسط الثلاثينيات الى القيادة الشيوعية الصينية فى يينان كمراسل عسكرى ، والذى صار فى ذلك الحين صديقا للرئيس ماوتسى - تونج . وقد فهم المسؤولون الامريكيون ان الزعيم الصينى قد منح مباركته للتحول الصينى تجاه واشنطن . وقد تحدث ماو مع ادجار سنو فى ذلك اللقاء فى موضوعات شتى أهمها أن الخلافات الايديولوجية الصينية - السوفيتية وصلت الى درجة لم تعد منذ ذلك الوقت قابلة للتصالح .

ولم تغفل وسائل الاعلام الامريكية هذه الاشارات من جانب الرئيس ماوتسى تونج ومنذ ذلك التاريخ تخمرت فى ذهن الرئيس الامريكى ومستشاره كيسنجر فكرة العمل فى سرية تامة للوصول إلى أن تكون المحادثات مع بكين على اعلى مستوى بدلا من عقدها فى وارسو.

وكانت فرصة جديدة تمثلت فى حضور عشرات من رؤساء الدول فى نهاية شهر اكتوبر ١٩٧٠ الى نيويورك للاحتفال بالذكرى السنوية الخامسة والعشرين لانشاء هيئة الامم المتحدة. وكان من بين هؤلاء الرؤساء الرئيس الرومانى نيكولاى تشاوشيسكو والرئيس الباكستانى يحيى خان . كذلك كان هذان الرئيسان يوم ٢٤ اكتوبر من بين ٢١ رئيس دولة دعتهم الحكومة الامريكية لعشاء رسمى فى البيت الابيض . وانتهز الرئيس الامريكى الفرصة للتحادث مع الرئيس الباكستانى الذى كان قد عقد النية لزيارة الصين فى وقت قريب جدا فطلب اليه الرئيس الامريكى ابلاغ المقترحات الامريكية للمسؤلين الصينيين ، معربا عن رغبته فى القيام بزيارة للصين فى وقت يجرى تحديده فى المستقبل القريب .

ومن الجدير بالذكر انه فى نفس اليوم ألمح المسؤولون الامريكيون الى تحول كبير فى السياسة الامريكية تجاه السماح بانضمام الصين للأمم المتحدة ، وقد تجلى ذلك فى اعلان زيجلر بأن «الولايات المتحدة تعارض انضمام حكومة بكين اذ من شأن ذلك طرد جمهورية الصين منها». وبمعنى آخر تكون الولايات المتحدة قد تبنت موقفا جديدا مؤداه السماح بوجود حكومتين بالصين . وهذا يعنى فى حد ذاته اتجاها جديدا اذا قيس بوجهة النظر الامريكية الرسمية التى كانت سائدة حتى ذلك الوقت بان تايوان هى وحدها التى تمثل الصين فى الامم المتحدة[1] .

رحلة كيسنجر للصين

فى ذات مساء من ربيع عام ١٩٧١ سلم السفير الباكستانى فى واشنطن آغا هلالى مذكرة مكتوبة بخط اليد موجهة الى كيسنجر - هذه الرسالة التاريخية كانت عبارة عن

---

(1) Kalb, M. B. Ibid. p. 225

مذكرة فى مظروف مغلق بالشمع الاحمر ، دون مقدمة تحوى عبارات التحية المعتادة وبدون اى توقيع . كانت هذه الرسالة فى حقيقة الامر علامة هامة فى طريق التبادل الدبلوماسى بين البلدين تضمنت دعوة « مبعوث امريكى » للقدوم الى بكين لاجراء لقاءات تتم على مستوى عال مع المسؤولين الصينيين ، واقترحت المذكرة اسمين : روجرز او كيسنجر وعلى الفور وقع اختيار الرئيس الامريكى على كيسنجر .

ومن ذلك التاريخ بدأ التنفيذ العملى للعمل فى سرية تامة والشروع فى اجراء سلسلة من التحركات الرامية الى تهيئة الجمهور الامريكى نحو عملية انفتاح تاريخى باتجاه الصين . وفى حين تكتم الامريكيون كل خطوة فى هذا السبيل كان الصينيون يعمدون الى الاعلان عن هذا الاتجاه .

وجاءت فرصة دفعت بعملية الاتصال خطوة نحو الامام ، وتمثل ذلك فى وجود تصفية نهائية للمباراة الدولية لكرة الطاولة (البنج بونج) فى يوم ٦ ابريل ١٩٧١ فى اليابان ، وبادر المسؤوليون عن الفريق الصينى بدعوة الفريق الامريكى للقيام بجولة فى ربوع الصين ، وسرعان ما تحولت هذه الاشارة الرياضية الى اشارة سياسية فى سبيل تحسين العلاقات الصينية – الامريكية . واستفسر السفير الامريكى فى طوكيو من واشنطن عن امكانية جعل جوازات السفر الامريكية صالحة لزيارة الصين وجاء الرد بسرعة مذهلة بالايجاب .

وفى مساء نفس اليوم دعا نيكسون الى عقد جلسة استثنائية لمجلس الامن القومى وطلب الى مستشاره كيسنجر عرض الخطوط العريضة للسياسة الامريكية الجديدة ازاء الصين . غير أنه لم يتم احاطة اى عضو من اعضاء مجلس الامن القومى – سوى روجرز – بشأن الدعوة السرية التى قدمها الصينيون لارسال مبعوث امريكى على مستوى عال ، كما لم يتم احاطة اى عضو سواه بالرد الامريكى المؤقت على هذا العرض ، وان كان اغلبية اعضاء مجلس الامن القومى قد صفقوا بوجه عام استحسانا لمبادرة الرئيس نيكسون تجاه الصين ، فما بعد .

ولقد عكف الرئيس نيكسون ومستشاره كيسنجر بمفردهما على قراءة المذكرات السرية التى ترد من بكين ويستعرضان معا المسائل التى يحتمل اثارتها من خلال المفاوضات السرية المرتقبة مع الصين ، وكان ابرز هذه المسائل هى : سياسة الولايات المتحدة الجديدة ازاء تايوان ، وانضمام بكين الى هيئة الامم المتحدة ، وانسحاب الجنود الامريكيين من الهند الصينية وكذلك درجة تطبيع العلاقات بين واشنطن وبكين .

لقد تحدد موعد الزيارة الرسمية التى يقوم بها كيسنجر لتكون فى الفترة من ٩ - ١١ يوليو ١٩٧١ . وقد احيطت هذه الزيارة باعلى درجة من الكتمان . وقد غادر كيسنجر القاعدة الجوية فى أندروز فى أول يوليو . وسرت به هذه الرحلة - التى اضيف الى سريتها درجة عالية من التمويه - إلى الوصول فى ٨ يوليو الى العاصمة الباكستانية اسلام أباد . وكان الرئيس يحيى خان على علم كامل بالمذكرات السرية المتبادلة بين واشنطن وبكين كما كان على علم تام بخط سير الرحلة ذاتها .

وفى اسلام اباد زار كيسنجر الرئيس يحيى خان زيارة مجاملة . ولقد كان من المعتقد لدى الاوساط السياسية ان وجهة هذه الرحلة هو لباكستان الشرقية حيث كانت الازمة بين الرئيس يحيى خان وبين حكام اقليم البنغال قد توترت الى حد بعيد . ولم يدر بخلد احد ان كيسنجر فى طريقه لزيارة الصين . وفى اطار التمويه الكامل لهذه الرحلة المثيرة كان الامر يقتضى ان يعتذر كيسنجر - تحت دعوى الارهاق من هذه الرحلة الطويلة - عن حضور عشاء كان قد اقيم على شرفه . وواقع الامر ان هذا العشاء كان قد اقيم بهدف الغائه . كذلك اقتضى الامر - امعانا فى التمويه - ان يذهب كيسنجر الى استراحة فى اعالى الجبال فى منطقة ناتيا - جالى (Nathia-Gali) على ارتفاع ٢٨٠٠ للاستجمام السريع . بل ان الحكومة الباكستانية،امعانا منها فى التمويه اعلنت ان كيسنجر سوف يضطر الى مد اجل اقامته فى هذه الاستراحة بسبب وعكة صحية ألمت به .

ولكى تستكمل المسرحية السياسية فضولا كان ينبغى ان يكون ذهاب كيسنجر الى ناتيا - جالى المدعى زيارته لها - على مرأى ومسمع من الجميع . لذلك اقتضى الامر ان يكون هناك موكب ضخم من السيارات رافعا العلمين الامريكى والباكستانى ، وان يسير هذا الموكب فى شوارع اسلام اباد ومن هناك الى الجبل . وقد اوكل امر هذه العملية الى وكيل وزارة الخارجية الباكستانية الذى كان يشغل منصبين دبلوماسيين من قبل فى بكين ، وانيطت به مهمة الاشراف الكامل على هذه الخدعة . ومما يذكر فى هذا الصدد أنه تم استدعاء طبيب باكسانى لمعالجة كيسنجر بعد ان تأكد وكيل الخارجية الباكستانى من ان هذا الطبيب لا يستطيع التمييز بين شخصية كيسنجر وبين اى شخص اوروبى اخر . ومن مفارقات القدر ان الطبيب عالج بالفعل شخصا من اعضاء الخدمة السرية الامريكية الذى كان يعانى فعلا من المرض الذى قيل أن كيسنجر كان يشكو منه .

وحقيقة الامر ان كيسنجر لم يذهب أبداً الى ناتيا - جالى بعد لقائه مع يحيى خان بعد وصوله الى اسلام اباد ، فكان قد انسحب الى قصر الضيافة وظل هناك حتى حلول الساعة الثانية والنصف صباحا حيث ذهب إلى وكيل الخارجية الباكستانية السلطان محمد خان ليذهبا سويا الى مطار اسلام اباد حيث تقلع طائرته من هناك الى بكين .

وقد وصل الاثنان بالفعل الى مطار اسلام اباد بعد الثانية صباحا بقليل ليستقل كيسنجر الطائرة الباكستانية التى دخلها قبل اقلاعها مباشرة اربعة من كبار المسؤولين الصينيين ارسلهم شواين – لاى وكانوا مقيمين فى العاصمة الباكستانية فى سرية تامة .

ووصلت الطائرة التى تقل كيسنجر الى بكين فى وقت الظهر تماما ، وسرعان ما تم اللقاء بينه وبين رئيس الوزراء الصينى شو إين لاى . وانصبت المحادثات الاولية على ثلاثة مبادىء اساسية هى : اعتبار تايوان جزءا من الصين وان يتم تقرير مصيرها السياسى من جانب الصينيين انفسهم وكان ذلك يعد تنازلا كبيرا من جانب الولايات المتحدة اذ كان يعنى قلب سياسة استمرت عليها الولايات المتحدة على مدى عشرين عاما كاملا ، كانت تعامل فيها تايوان كبلد مستقل .

اما المبدأ الثانى فى المحادثات فكان ينصب على مستقبل فيتنام الجنوبية بان يتم تقرير مصيرها السياسى من جانب الطرفين الفيتناميين المتنازعين بعد وقف اطلاق النار .

وكان المبدأ الثالث والاخير ينصب على أن تجرى تسوية المسائل الاسيوية بالطرق السلمية. وكان هذا المبدأ لا يتعلق فقط بتقسيم كوريا ، ولكنه كان يتعلق بالتوتر على طول الحدود الصينية – السوفيتية واذن فقد كانت تايوان مسألة حيوية وهامة بالنسبة للولايات المتحدة فى حين كان النزاع الصينى – السوفيتى مسألة حيوية وهامة بالنسبة للطرفين الصينى والامريكى على حد سواء .

وبينما كانت هذه المحادثات دائرة على قدم وساق ، قدم شواين – لاى الدعوة الرسمية للرئيس نيكسون لزيارة الصين . وقد قبل كيسنجر الدعوة نيابة عن الرئيس نيكسون . ولكنه اوضح ان الزيارة ينبغى ان تتم قبل شهر مايو ١٩٧٢ اخذا فى الاعتبار ان الرئيس الامريكى نفسه كان قد اصدر تعليماته بان رحلة هامة كهذه بالنسبة للسلم العالمى ، من ناحية وبالنسبة لمستقبل العلاقات الصينية – الامريكية من ناحية اخرى لا ينبغى الخلط بينها وبين الحملة الانتخابية الامريكية الرئاسية لعام ١٩٧٢ .

وعلى اية حال فقد صدر البيان المشترك فى ختام المحادثات على النحو الاتى والذى اذيع فى وقت واحد فى كل من بكين وواشنطن :

« لقد اجريت محادثات بين رئيس الوزراء شواين – لاى والدكتور هنرى كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون لشؤون الامن القومى فى بكين فى الفترة من ٩ – ١١ يوليو ١٩٧١ . وعلما بالرغبة التى عبر عنها الرئيس نيكسون فى زيارة الصين الشعبية ، فان رئيس الوزراء شواين – لاى قدم باسم حكومة جمهورية الصين الشعبية دعوة للرئيس نيكسون لزيارة الصين فى وقت مناسب قبل حلول شهر مايو . ولقد قبل الرئيس نيكسون بغبطة هذه

الدعوة ، إن الاجتماع الذى تم بين حكام الصين والولايات المتحدة يهدف الى تطبيع العلاقات بين البلدين ، وان يسمح ايضا بتبادل وجهات النظر التى تهم الجانبين[1] » .

اصداء البيان المشترك

وواقع الامر ان العلاقات بين الولايات المتحدة ونظام الحكم فى تايوان كانت ادق المسائل المطروحة بالنسبة لبكين وواشنطن . ذلك ان التنازلات التى قدمها كيسنجر الى شواين لاى حين اقر ان تايوان تشكل جزءا من الصين - ذهبت هذه التنازلات الى حد الاقتراب من حل هذه المسألة الحادة ولكنها لم تصل فى ذات الوقت الى حد التعهد الامريكى بذلك . فقد كان على الولايات المتحدة ان تتخذ اجراءين فى هذا الصدد : أولهما البدء فى تخفيض حجم الحامية الامريكية التى كانت تبلغ ٩٠٠٠ جندى امريكى فى تايوان . اما الاجراء الثانى فكان يتعلق بالسياسة الامريكية بالنسبة لموضوع تمثيل الصين فى الامم المتحدة .

وكما سبقت الاشارة فان تايوان ظلت على مدى اثنين وعشرين عاما تعتبر هى الصين فى الامم المتحدة بفضل جهود الولايات المتحدة ومساندتها الواضحة . ونظرا لان كيسنجر قد اقر بان تايوان ما هى الا مقاطعة صينية فان هذا الزعم يكون قد تقوض من اساسه . وإذن فان هذا التبدل فى الموقف الامريكى تجاه تايوان يتطلب انتهاج الولايات المتحدة لسياسة جديدة . والحقيقة هى ان الولايات المتحدة صارت تميل منذ خريف عام ١٩٧٠ نحو وجود نظامين للصين وبالتالى ان يمثل الصين فى الامم المتحدة نظامان . وها هى الولايات المتحدة تجد نفسها فجأة - منذ اغسطس ١٩٧١ تعلن على لسان وزير خارجيتها سياسة خارجية جديدة . اذ اعلن انه منذ ذلك التاريخ فصاعدا فان الولايات المتحدة سوف تساند دخول بكين الى الامم المتحدة ، وكذلك مطالبتها بمقعد الصين فى مجلس الامن ، ولكنها سوف تعارض فى الوقت ذاته اية محاولة ترمى الى حرمان تايوان من انضمامها للامم المتحدة أو من مقعدها فى الجمعية العامة .

وفى بكين اوضح كيسنجر لشو إين - لاى بصورة اجمالية السياسة الامريكية الجديدة، واوضح له ضمنا ان الولايات المتحدة سوف تحاول الحفاظ لتايوان على مقعدها فى الامم المتحدة على أن تناضل بكين لمعارضة هذا الجهد والتغلب عليه ان تيسر لها ذلك ، وان على الجانبين ان يقبلا ما تحكم به الامم المتحدة حينذاك[2] .

---

(1) Kalb, M. B. Ibid. P. 242 .

(2) kalb, M. B. Ibid. P. 244.

رحلة الرئيس نيكسون الى الصين

بدأت هذه الرحلة التاريخية فى ٥ اكتوبر ١٩٧١ فى حين كانت هيئة الامم المتحدة تستعد لاجراء التصويت على انضمام الصين الشعبية اليها . وكان على كيسنجر وهو بصدد الاعداد لهذه الرحلة ان يتحاشى ما يعكر صفو اتمامها بنجاح على الاصعدة التالية :

أ - العلاقات مع اليابان

لم يفت شواين – لاى اثناء محادثاته مع كيسنجر ان يعبر له عن مخاوفه من احتمال تصاعد الروح العسكرية اليابانية ، وطلب بذل العون الامريكى لاحتواء هذه الروح العسكرية المتصاعدة . ونشير فى هذا الصدد إلى أن الرئيس نيكسون كان قد عمد فى حركة مفاجئة فى ١٥ اغسطس ١٩٧١ الى تخفيض قيمة الدولار بهدف تدعيم المركز التجارى الامريكى وهو يعلم علم اليقين ما يحدثه هذا التخفيض من آثار مدمرة على الين اليابانى وعلى الاقتصاد اليابانى بصفة عامة . فإذا اضفنا هذا الاجراء المالى والاقتصادى من جانب نيكسون الى قيامه بهذه الزيارة للصين لصار من السهل ان نتصور كيف عجَّل ذلك بسقوط وزارة ساتو اليابانية وان نتخيل وقع هذه الزيارة على اليابانيين .

ب - انعقاد قمة موسكو

عمد كيسنجر بعد زيارته التمهيدية الاولى للصين الى التصريح فى ١٦ يوليو بان الولايات المتحدة لا تنوى بانفتاحها جهة الصين المناورة بذلك ضد الروس ، فان هناك نواحى اخرى للضغط على الاتحاد السوفيتى امثال توقع الامريكيين قيام الصين بالمساهمة فى وضع حد للحرب الدائرة فى فيتنام ، وكذلك تشجيع الصينيين للتعاون فى مجال السلاح النووى .

ولم تنقض سوى بضع اسابيع قليلة على هذا التصريح حتى بادر نيكسون نفسه بكشف النقاب فى ٤ اغسطس عن أنه اثناء لقاءاته السنوية مع وزير الخارجية السوفيتى فى شهر اكتوبر من عام ١٩٧٠ حيث كان فى زيارة لواشنطن تم الاتفاق على عقد اجتماع على أعلى مستوى وانه لا جدوى من هذا الاجتماع الا اذا تم ادراج مسألة ذات ثقل خاص لدى الامريكيين على جدول اعمال هذا الاجتماع ، وان هذه المسألة لا يمكن معالجتها باساليب اخرى . ثم اقترح الرئيس نيكسون ان يكون هناك موقف امريكى اكثر تعاونا بالنسبة لبرلين من جهة ومسألة نزع السلاح النووى من جهة اخرى حتى تتوافر مبررات عقد هذه القمة .

حقيقة الامر ان هذا التاكتيك الامريكى كان ناجحا الى ابعد الحدود . ففى ٢٩ سبتمبر ، واثناء اجتماع نيكسون وجروميكو ، عبر الرئيس الامريكى عن احراز تقدم على صعيد عدد

من المشكلات المحلية بالنسبة لكلا البلدين ، وعبر عن امله فى أن يتم عقد قمة موسكو المرتقبة. وفى ٣٠ سبتمبر تمكن جروميكو وروجرز من توقيع اتفاقية لتهيئة المناخ الصالح لمزيد من تحسن العلاقات السوفيتية – الامريكية .

وكان احد هذين الاتفاقين ينصب على تحسين الخط التليفونى الساخن بين واشنطن وموسكو وكانت الاتفاقية الاخرى تتعلق بتوفير الطرق الفنية لمنع وقع حوادث نووية . وما لبث الامر حتى امكن فى أول اكتوبر احراز تقدم هام فى مسألة برلين . فلقد توصل الشرق والغرب الى اتفاق حول تسوية مبدئية بالنسبة للمشكلة الناجمة عن وضع هذه المدينة .

وفى ١٢ اكتوبر ١٩٧١ اعلن الرئيس نيكسون عن قبوله للدعوة الموجهة اليه لزيارة موسكو خلال الجزء الثانى من شهر مايو ١٩٧٢ ، لذلك فيمكن القول بان زيارة نيكسون لبكين قد عملت دون ادنى شك على جعل موسكو اكثر تعاونا بالنسبة لعلاقاتها مع واشنطن .

جـ - الحرب الهندية - الباكستانية

رأينا كيف كان الرئيس الباكستانى يحيى خان وسيطا ناجحا بين الصين والولايات المتحدة . ولكنه كان قد عمد فى ٢٥ مارس ١٩٧١ الى فرض الاحكام العرفية على باكستان الشرقية التى يفصلها عن غرب البلاد نحو ١٦٠٠ كلم تقع فى الاراضى الهندية . وكان الرئيس يحى خان يهدف فى واقع الامر الى الغاء اثر انتخابات عبرت بوضوح عن رغبة البنغاليين فى الحصول على درجة من الحكم الذاتى ، واسفر الوضع عن حمامات للدم واستغلتها رئيسه الوزراء انديرا غاندى بالتهديد بدخول الحرب ضد الباكستانيين مساندة للبنغاليين الذين اصبحوا لا يطالبون فقط بالحكم الذاتى بل بالاستقلال التام .

والواقع ان واشنطن الحت للهنود عن موافقتها الضمنية على حصول البنغاليين على الحكم الذاتى ، فطلبت قيام الولايات المتحدة بالضغط على الرئيس يحيى خان . ولكن هذا الموقف الامريكى قد تبدل اذ ان هذا التفاهم كان فى فصل الربيع ولكن اعقبه فصل الصيف ثم فصل الخريف مما جعل الولايات المتحدة تظهر تحيزا سافرا الى جانب الباكستان فلم يزل الدور الايجابى للوساطة السرية للرئيس الباكستانى ماثلا امام اعين الامريكيين .

ومن ناحية اخرى فان كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون لشؤون الامن القومى ادرك ان علاقات القوى فى اسيا اخذه فى التحول وايقن انه من صالح الولايات المتحدة على المدى الطويل فى تلك المنطقة يقتضى نوعا من توازن التحالفات السياسية بما يستوجب ايجاد

تحالف صيني – امريكي في مواجهة التحالف الهندي – السوفيتي . وايقن كيسنجر كذلك ان الباكستان لو قدر لها التفتت تحت وطأة الضغط العسكري والاقتصادي الهندي فان الهند سوف تتهيأ لها السيطرة الكاملة على شبه القارة ، ومن ثم فسوف يتصاعد النفوذ السوفيتي في المنطقة تصاعدا كبيرا وهذا من شأنه ان يعمل على الاخلال بالتوازن الاستراتيجي مما سبب ازعاجا كبيرا للصين ، وقد يسفر الامر عن نشوب حرب كبرى قد تجر فيها الدول العظمى .

وفي الرابع من نوفمبر ١٩٧١ وصلت انديرا غاندي الى واشنطن ، وقابلت كلا من الرئيس نيكسون ومستشاره للامن القومي حيث نصحها الإثنان بضبط النفس ، ولكنها لم تعدهم بشيء ملموس . وفي ٣ ديسمبر وفور عودتها الى نيودلهي اصدرت اوامرها للجيش الهندي بعبور الحدود للوصول الى باكستان الشرقية ، ونشبت الحرب على طول الحدود بين الهند وباكستان .

لقد حاول الامريكيون اجراء محادثات سرية بين يحيى خان والزعماء البنغاليين لنزع فتيل الازمة وللافراج عن الشيخ مجيب الرحمن الذي كان مسجونا في الباكستان الشرقية دون جدوى . وعلى اية حال فقد حاولت الولايات المتحدة الوقوف الى جانب الباكستان . وقد تجلى ذلك بصدور اوامر البيت الابيض بارسال قوة تدخل بحرية مكونة من ثمانية بواخر حربية تحت قيادة حاملة الطائرات النووية « انتربرايز » وعلى متنها الفان من مشاة البحرية الامريكية للتحرك من مياه فيتنام الى خليج البنغال كمظاهرة عسكرية لمساندة الباكستان والضغط على الاتحاد السوفيتي .

وجاءت الخطوة الثانية في ١٢ ديسمبر حين ذهب كل من نيكسون وكيسنجر الى جزر الازور لمقابلة الرئيس الفرنسي بومبيدو ، وكانت هذه المقابلة تتم في سياق تقابل الحلفاء بشأن الازمة النقدية من جهة ، والتنسيق حول رحلة الرئيس الامريكي المنتظرة لكل من موسكو وبكين . وكان قرار الرئيس الامريكي باختيار الانفتاح على الصين من منطلق انه اذا كان الانفتاح على الصين قد وفر وسيلة فعلية للضغط على الكرملين ، فان الوقت قد حان لوضع ذلك موضع التجربة النهائية ، لذلك كان هدف الرئيس من ارسال تعليماته للسفير الامريكي في موسكو جاكوب بيم ليوضح للروس انهم اذا كانوا قد سمحوا للهند بفصل الباكستان الغربية فان ذلك من شأنه الاضرار بفرصة زيارة الرئيس نيكسون لموسكو .

ولقد انتهت الحرب الهندية – الباكستانية في ١٦ ديسمبر بعد اسبوعين من نشوبها ، والمح كيسنجر الى ان الفضل في ان موسكو ونيودلهي لم تتمكنا من تقطيع ما تبقى من

اوصال الباكستان الغربية انما يرجع لجهوده الشخصية وانه سكون بذلك قد تمكن من انقاذ حليف للولايات المتحدة من ناحية واحد اصدقاء الصين من ناحية اخرى .

د - الوضع فى فيتنام

حينما قام كيسنجر بزيارته للصين فى شهر يوليو ١٩٧١ اخذته الدهشة لما ترامى الى مسامعه ان رئيس الوزراء الصينى شو إين - لاى كان يعتبر ان قضية الحرب فى فيتنام تشكل العقبة الكبرى فى سبيل تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة باكثر مما تشكله مسألة تايوان ولقد حاول كيسنجر جاهدا ان يوضح للمسؤولين الصينيين ان الولايات المتحدة ماضية فى انسحابها من الهند الصينية على أمل الا تصبح هانوى فى وضع يجعلها رأس جسر سوفيتى يهدد ابواب الصين .

لقد كان التصور الامريكى فى هذا الصدد هو ان الانفتاح على الصين سوف يسهم بطريقة غير مباشرة فى انهاء هذه الحرب عن طريق ممارسة الضغط على موسكو ليقوم الروس بدورهم بالضغط على هانوى . لكن اتضح امام الامريكيين فى نهاية عام ١٩٧١ ان هذه الاستراتيجية لم تحدث اثارها المرجوة على فيتنام الشمالية التى مضت تحقق الانتصار تلو الانتصار باصرار وعناد منقطع النظير .

وكان التصور لدى الفيتناميين الشماليين هو ان الاستراتيجية الامريكية انما كانت تهدف الى محاولة خلق تناقض بين الدول الشيوعية للوصول الى شروط مواتية للأمريكيين فالولايات المتحدة اذن تسعى الى ايجاد نوع من الوفاق الثلاثى بين الدول الكبرى من اجل السيطرة على الدول الصغرى ، الامر الذى يقلل مَن فاعلية المساعدة التى تقدمها كل من بكين وموسكو لهانوى . ولقد شعر الفيتناميون بحق بالقلق من اجراء قيام حليفتهم - الصين - بتوجيه الدعوة لنيكسون « اكبر معتد دموى فى العالم[1] » . الامر الذى حدا بهم الى الاصرار على مناهضة كل الجهود الامريكية الى تسوية « توفيقية » بالنسبة لقضية فيتنام .

ولكن هل بمقدور الفيتناميين هزيمة نيكسون عسكريا ام مباشرة الضغط الدبلوماسى ؟ حقيقة الامر ان الفيتناميين لجأوا الى مزيج من الحلين معا ، فتابعوا عنادهم الدبلوماسى من

---

(1) Kalb, M. B. Ibid. P. 254

.. ية ورفضوا اية اجتماعات مع كيسنجر ، والاعداد من ناحية اخرى لهجوم كبير على فيتنام .وبية . ولقد ظلت المفاوضات فى طريق مسدود بين الامريكيين والفيتناميين الشماليين لبقية .ام ١٩٧١ فى حين دفعت فيتنام الشمالية باعداد هائلة من الرجال والعتاد الى فيتنام الجنوبية .

تلك كانت الاحداث والاوضاع السابقة على الرحلة التاريخية المثيرة التى قام بها الرئيس نيكسون والتى مهد لها كيسنجر بزيارته لبكين . فماذا عن لقاء القمة ؟

مؤتمر القمة الصينية - الامريكية لعام ١٩٧٢

لقد تمت زيارة الرئيس نيكسون للصين فى ٢١ فبراير ١٩٧٢ فى ظل الظروف الدولية التى اشرنا اليها اى فى ظل ترقب انعقاد قمة موسكو ورد فعل التقارب الصينى - الامريكى من جانب اليابان ، وفى ظل احداث شبة القارة الهندية فضلا عن وصول الوضع فى فيتنام الى طريق مسدود .

وعلى الرغم من أن الهجوم الفيتنامى الكبير الذى كان مرتقبا فى منتصف فبراير لم يحدث ، فان الرئيس نيكسون قرر ضرب المواقع الشيوعية ضربا مكثفا فى ارجاء الهند الصينية قبل ان تنتهى زيارته لبكين بهدف حماية وتعزيز وضع الولايات المتحدة دبلوماسيا وعسكريا وخاصة بضرب المناطق الحدودية اذ كان يعتقد طبقا لمشورة كيسنجر - ان القصف الجوى المكثف على فيتنام يسهل مهمته فى الصين .

لقد استمرت المقابلة التاريخية التى تمت بين الرئيس نيكسون والزعيم ماوتسى - تونج اكثر قليلا من ساعة من الزمن تم الحديث خلالها بصفة اجمالية عن تايوان والهند الصينية ، والصراع ضد « الهيمنة » السوفيتية ، واهمية تطوير العلاقات بين الصين والولايات المتحدة .

على أن المباحثات المعمقة بعد ذلك كانت تتم بين الرئيس نيكسون وشواين - لاى فى جلسات محددة ، ابتداء من يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٢ حيث بدأ نيكسون وكيسنجر وشواين - لاى محادثات سرية فى قاعة الشعب الكبرى . وكانت أولى هذه الجلسات المعمقة قد استغرقت نحو اربع ساعات كاملة . ومما تجدر الاشارة اليه ان وجهات النظر لم تكن متطابقة فى كثير من المسائل حتى غدا اصدار بيان مشترك من الامور شديدة الصعوبة .

غير ان كيسنجر قد فطن الى ان الصينيين اكثر احتياجا من الامريكيين لصدور مثل هذا البيان لسببين : أولهما لتبرير زيارة الرئيس نيكسون لبلادهم وثانيا لكى يقدموا امام اعين

الروس نموذجا حيا للتعاون الصينى - الامريكى ، لذلك ايقن كيسنجر ان على الصينيين ان يتقدموا بالخطوة الاولى للخروج من مأزق البيان المشترك . وفى النهاية اهتدى كل من كيسنجر وشواين - لاى الى الحل المنشود . وقد تمثل ذلك فى الاتفاق على ان يتضمن البيان اقساما منفصلة تماما ، قسم منها يعبر عن وجهة النظر الامريكية بالنسبة لمسألة من المسائل - مثل فيتنام - وقسم اخر يعبر عن وجهة النظر الصينية .

فالبنسبة لفيتنام اكدت الولايات المتحدة تمسكها بمقترحات الرئيس ذى النقاط الثمانية التى طرحها بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٧٢ وكذلك مقترحاته الرامية الى تقرير المصير بالنسبة لشعب الهند الصينية على المدى الطويل ، فى حين اعلن الصينيون عن دعمهم للمشروع ذى النقاط السبع التى تقدمت بها الحكومة الثورية المؤقتة .

وبالنسبة للمسألة الكورية ، عبرت الولايات المتحدة عن مساندتها لكوريا الجنوبية ، فى حين عبر الصينيون عن معارضتهم المطلقة لما اسموه بعودة روح التوسع العسكرى اليابانى فى الخارج . وبالنسبة لموضوع الحرب الهندية - الباكستانية ، فان الولايات المتحدة عبرت عن عدم تحيزها لاى من الفريقين عن طريق دعمها لوقف اطلاق النار ، ودعمها لحق شعوب جنوب اسيا فى تقرير مصيرها بالطرق السلمية وتمتعها بالحرية دون الخضوع لاى تهديد عسكرى ، فى حين عبرت الصين عن دعمها الثابت للحكومة الباكستانية . وبالنسبة للمشكلة المستعصية الخاصة بتايوان ، فانها كانت اعقد المشكلات جميعها وبخاصة بالنسبة للصينيين حتى ان النصين ، الصينى والأمريكى قد روجعا عدة مرات ، ولم يتم الانتهاء منهما الا فى فجر يوم السبت ٢٦ فبراير ١٩٧٢ .

لقد كانت الفقرة الصينية المقدمة للبيان المشترك كما يلى :

« ان مشكلة تايوان هى العقبة الرئيسية فى سبيل تطبيع العلاقات بين الصين والولايات المتحدة ، ان حكومة جمهورية الصين الشعبية هى الحكومة الشرعية الوحيدة للصين ، اما تايوان فهى احدى مقاطعات الصين عادت الى وطنها الام منذ وقت طويل . وتحرير تايوان هو امر داخلى بالنسبة للصين ، وليس لاى بلد حق التدخل فيه ويتعين سحب القوات والمنشآت العسكرية الامريكية من تايوان » .

« ان الحكومة الصينية تعترض بشدة على كافة الانشطة الرامية لانشاء صين من ناحية وتايوان من ناحية ، وكذلك على وجود صين واحد بحكومتين ، وعلى دولتين للصين ، وعلى اى وضع يقول بان مسألة تايوان مطروحة للتسوية » .

اما النص الامريكى المقدم للبيان المشترك فكان كما يلى :

« ان الولايات المتحدة تقر ان كافة الصينيين الموجودين على شاطىء مضيق تايوان يشكلون جزءا من الصين . وان حكومة الولايات المتحدة لا تتشكك فى هذا الوضع ، وتؤكد اهتمامها بوجود تسوية سلمية لمشكلة تايوان من جانب الصينيين انفسهم . ومن هذا التصور فانها تؤكد على الهدف النهائى الذى يرمى الى سحب كافة القوات والمنشآت العسكرية من تايوان – والى ان يتم ذلك ، فانها سوف تخفض بطريقة تدريجية ما لها من قوات ومنشآت عسكرية فى تايوان بشرط ان يقل التوتر فى المنطقة(1) » .

ولقد تم الإتفاق بين الجانبين على أن يتضمن البيان المشترك فى صيغته النهائية هاتين الفقرتين اللتين تمت صياغتهما بدقة ومهارة لتقريب وجهات النظر بينهما من ناحية ويمكن أن يفسرها كل من الطرفين بما يتفق مع وجهة نظره من ناحية أخرى ، ذلك أن الصينيين يمكنهم التشديد على أن تايوان إن هى إلا « مسألة داخلية » لا ينبغى للولايات المتحدة أن تتدخل فيها ، وفضلا عن ذلك فإن الولايات المتحدة تكون قد وعدت بسحب كافة ما لها من قوات ومنشآت عسكرية . ومن جهة أخرى فإن باستطاعة الولايات المتحدة التشديد على أنهاسوف لا تسحب كافة Totalité قواتها ومنشآتها إلا إذا تم حل مشكلة تايوان وتسويتها بطريقة سلمية ، أو بمعنى آخر إلا اذا امتنعت بكين عن إستعمال القوة كوسيلة لتحرير تايوان ، وهذا ما عبر عنه فى الفقرة الامريكية من البيان القائلة : « بشرط أن يقل التوتر فى المنطقة » ، أو بمعنى آخر بشرط أن تنتهى الحرب الفيتنامية وبذلك تكون الولايات المتحدة قد أوعزت من ثنايا الفقرة التى قدمتها أنه إذا أراد الصينيون الإسراع فى الإنسحاب الأمريكى من تايوان فما عليهم إلا أن يضغطوا على حليفتهم هانوى لقبول حل وسط بالنسبة للقضية الفيتنامية .

وقد تم الاتفاق بين الرئيس نيكسون شو إن – لاى على إعلان البيان المشترك فى يوم الأحد ٢٧ فبراير فى شنغهاى ، ويهمنا الأن أن نرى إنعكاسات هذا البيان خاصة على الصعيد الاسيوى .

ففى تايبيه عاصمة تايوان عم حكومة تشيانج كاى شيك حداد صامت ، ولكن وسائل الإعلان التايوانية وصحافتها خرجت بمقالات شديدة اللهجة تستنكر بيان شنغهاى وتعلن أن شعوب الباسفيك قد فقدت الثقة فى وعود حليفتها واشنطن . أما فى موسكو فقد شعرت

---

(1) Kalb, M. B. Ibisd. P. 270

الحكومة السوفيتية بالمرارة ، لكنها لزمت جانب التحفظ على الصعيد الرسمى ، وإن كانت الصحافة السوفيتية قد ألمحت إلى أن زيارة نيكسون للصين ليست إلا تحركا مناهضا السوفيت(١) .

أما فى طوكيو فإن حكومة ساتو قد سقطت وجاءت حكومة تاناكا بعد سبعة شهور وأعادت العلاقات الدبلوماسية مع الصين . أما هانوى فقد لاذت بالصمت ، واتخذت سياسة فيتنامية أكثر إستقلالا . وعلى أية حال فقد كان هناك شعور يسود العالم أجمع بأن هذه المرحلة قد خلقت وضعا دبلوماسيا عالميا جديدا وفتحت أبواب الصين على العالم .

وينبغى أن نشير فى نهاية هذا الفصل إلى أن تحسن العلاقات الصينية – الامريكية قد انعكس أثره على الأمم المتحدة بعد أن أفصحت الولايات المتحدة عن نيتها فى دعم دخول الصين عضوا فى الأمم المتحدة بعد سنوات من الاعتراض على مثل هذا التحرك . فقد تجاوز حماس الوفود – بعد علمهم بهذا الدعم – الهدف الأمريكى الرامى إلى الاقتصار على إنضمام بكين فى حين بقاء تايوان عضوا فى تلك المنظمة . ففى جلسة عاطفية صاخبة فى أكتوبر ١٩٧١ رفضت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً أمريكياً يقضى بوجود ممثلين إثنين للصين ، وصدر بدلاً عن ذلك قرار من الجمعية العامة بأغلبية ٧٦ ضد ٣٥ صوتا يسمح لبكين بالإنضمام للمنظمة ويطرد تايوان منها فى نفس الوقت ، كذلك فإن مقعد الوطنيين فى مجلس الأمن قد آل إلى نظام الحكم فى بكين أى بعد ٢٢ سنة من إنتقال السلطة إلى أيدى هذا النظام(٢) .

٦ - مشكلة تايوان

فى بداية عام ١٩٤٧ كان جيش الكومنتانج قد انهكت قواه ، وصار جثة هامدة ، وأخذ يتقهقر على كافة الجبهات أمام الزحف الشيوعى المنتصر ، وترك تشيانج كاى شيك رئاسة الجمهورية كما أشرنا من قبل ، وبذلك إنتهى دور الكومنتانج فى الصين « الام » ولاذ تشيانج كاى شيك ومن بقى مخلصا له من أتباعه إلى جزيرة فرموزا التى صارت منذ ذلك الحين مقرا لحكومة الصين الوطنية .

وحقيقة الأمر فإن فرموزا ، أو « تايوان » ومعها مجموعة جزر البسكادور التى تبلغ مساحتها الكلية ٣٥٫٩٦٠ كيلو متر مربع فى مواجهة أرض الصين « الام » بمثابة نوع من

---

(1) Kalb. M. B. Ibid. p. 274 .

(2) Link, A. Catton, W, American Epoch, A. history of the United states since 1900 Vol III p. 352 .

عدم القبول بالأمر الواقع الجديد الذى أوجده الشيوعيون وأصبحت فرموزا بالنسبة للولايات المتحدة حلقة هامة فى سلسلة حلقات مضادة للشيوعين أقامتها الولايات المتحدة فى المحيط الهادى . وعلى هذا الأساس ، وبهذه الصفة فإن المعونة المالية والاقتصادية الأمريكية سوف لا تتوقف طالما ظلت هذه الحلقة نافعة لتحقيق هذا الهدف الأمريكى[1] .

ولقد ظلت مشكلة تايوان لما يزيد على ربع قرن أكبر المشكلات الثنائية فى سبيل تحسين العلاقات الصينية - الامريكية ولا تزال هى العقبة الرئيسية فى إتمام تطبيع العلاقات بين واشنطن وبكين حتى يومنا هذا . وعلى الرغم من أن جزيرة تايوان قد استولى عليها اليابانيون فى عام ١٨٩٥ وأداروها كمستعمرة على مدى خمسين عاما بعد ذلك التاريخ فإن إتفاق الدول الأوروبية الكبرى الموقع فى القاهرة وفى بوتسدام أثناء الحرب العالمية قد وعد بإعادة الجزيرة إلى الصين .

وفى عام ١٩٤٥ قامت حكومة الصين الوطنية بالسيطرة على تايوان . وما أن شارفت الحرب الأهلية فى الصين « الام » على الإنتهاء حتى فرت فلول نظام « الصين الوطنية » إلى تايوان . وأعد الشيوعيون أنفسهم لغزو الجزيرة ، ولكن فقط بفضل تدخل الولايات المتحدة أمكن منع سيطرة الشيوعيين عسكريا على الجزيرة . ومنذ ذلك التاريخ كانت تصريحات المسئولين الامريكيين عبارة عن تحد واضح لمدى أحقية الصين الشعبية فى الجزيرة ولقد كان قرار الحكومة الامريكية فى يونيو ١٩٥٠ بوضع الاسطول السابع فى مضيق تايوان لحماية الجزيرة يشكل أزمة كبرى لم تراع فيها واشنطن الاعتبارات القانونية .

لقد رأينا أن العلاقات بين الصين والولايات المتحدة قد مرت بتغيرات مستمرة ، فأثناء الحرب الكورية ، وبعد إنقضائها مباشرة ساندت الولايات المتحدة نظام حكومة الصين الوطنية بإعتبار ذلك نوعا من التحدى لجمهورية الصين الشعبية ، ولكنها ما لبثت أن باشرت الضغط على الصين الوطنية كى لا تقوم بأية أعمال عسكرية ومع ذلك فعند إشتداد الأزمة ضاعفت الولايات المتحدة من دعمها « للوطنيين » خصوصا بعد أن وقعت معهم معاهدة دفاعية عام ١٩٥٤ .

وحثيثا حثيثا مضت الولايات المتحدة فى إتباع سياسة الاعتراف بوجود حكومتين للصين بطريق الأمر الواقع (de Facto) مما جعل مخاوف الصين الشعبية تتزايد من أن يكون ذلك سبيلا إلى إعلان تايوان استقلالها قانونيا . على أن واشنطن تعمدت من جهتها عدم إتخاذ

---

(1) Dubarbier, G. op. cit. PP : 120 : 121 .

موقف صريح فى هذه المسألة . وحينما قررت كل من بكين وواشنطن العمل على استكشاف امكانيات الانفراج بينهما تخلت بكين عن إصرارها على أن يتم حل مشكلة تايوان أولا ، وقبل الإقدام على أية خطوة نحو تحسين العلاقات بين البلدين ، ورغم أنها كررت مطالبها الاساسية دون تغيير وعمدت الولايات المتحدة فى حقيقة الأمر إلى التخلى عن إتخاذ سياسة الاعتراف بحكومتين للصين مع الاستمرار فى علاقاتها مع نظام حكومة الصين الوطنية .

وعلى أية حال فإنه لم يكن هناك إتفاق صريح فى عام ١٩٧٢ عما سوف يكون عليه وضع تايوان فى المستقبل . ويهمنا الآن أن نشير إلى أن هناك كثيرا من العوامل التى أخذت تشكل مواقف الصين الشعبية تجاه تايوان . فهناك العاطفة القوية نحو الأرض التى إشتهر بها الصينيون ، ذلك أن الصين كانت ترى أن الجزيرة ما هى إلا أرض صينية غير محررة . والأكثر أهمية من ذلك هو أن الصين كانت تصر عبر القرون على أنه ينبغى توحيد كافة الأراضى التى يمكن إعتبارها أرضا صينية .

ومن جهة أخرى فإن تايوان منذ عام ١٩٤٩ كانت تشكل نظام حكم منافس ظل يتحدى شرعية نظام بكين ، على الرغم من إنه عبر السنين لم يعد نظام حكم الصين الوطنية يشكل خطرا ماثلا على الصين الشعبية . ولكن تايوان كانت تستخدم كقاعدة للتحرش والأعمال الاستفزازية كما حدث خلال الخمسينيات والستينيات . كما كانت الصين تنظر إلى تايوان على أنها تمثل رمزاً للتدخل الغربى فى شئونها ، وكانت تايوان عبارة عن قاعدة عسكرية للأمريكين لتنفيذ سياسة الاحتواء ضد الصين الشعبية .

على أنه يلاحظ أن كثيرا من هذه العوامل قد أصبح الآن أقل أهمية من ذى قبل فقد أصبح التحدى من جانب نظام الحكومة الوطنية لبكين غير ذى أثر ، خصوصا بعد أن توارى تشيانج كاى شيك من مسرح الأحداث ، كذلك نجد أن الولايات المتحدة قد سحبت قواتها من تايوان ولم تعد تنظر إذن إليها كقاعدة عسكرية لإحتواء الصين . وعلى مر السنين تغير وضع الولايات المتحدة بالنسبة لتايوان، فعلى الرغم من الاستثمارات الأمريكية هناك فإن الارتباط العاطفى الذى كان يشعر به كثير من الذى كان يشعر به كثير من الأمريكيين تجاه حكومة الصين الوطنية قد خبا ، ولم يعد نظام حكم الصين الوطنية رمزا أيديولوجيا للنضال فى وجه الشيوعية .

وعلى أية حال فعلينا أن نتذكر أن بيان شنغهاى قد تضمن أنه ربما نظرت الولايات المتحدة « بعين الاعتبار » إلى فكرة توحيد الصين « إذا » ما أمكن إتمام ذلك بطريقة سلمية .

ومنذ عام ١٩٧٢ كان القادة الصينيون في بكين يؤكدون رغبتهم في توحيد الصين توحيدا سلميا . وقد عبروا عن أملهم في أن يجرى حل هذا الموضوع على الأمدالطويل ، وينبغى القول إذن أن المصير السياسى لتايوان قد يتوقف على سير الأوضاع فى الجزيرة نفسها ، وفى مواقف أهلها وقرارات زعمائها. فمعلوم أن الجزيرة يفصلها عن أرض الصين « الام » نحو مائة ميل من المياه كما أن حكومتها تحكم جزيرة كبيرة منتجة (بما فى ذلك أيضا جزر البسكادور والجزر الصغرى الأخرى) وسكانها نحو ستة عشر مليونا من البشر ، وهى فى ذلك تفوق غالبية الدول المنضمة إلى الأمم المتحدة من ناحية السكان . وصحيح أن السكان جميعهم من عنصر صينى ، ولكن أكثر من ثلاثة عشر مليونا هم من أهل الجزيرة نفسها .

وكما ذكرنا ، فإن اليابانيين حكموا الجزيرة على مدى خمسين عاما كاملا على نمط استعمارى كامل . وكان حكمهم قمعيا صارما من الوجهة السياسية وكانوا يسيطرون على المراكز الهامة فى البلاد ، ولم يتركوا لأهل البلد سوى المراكز الثانوية . لذلك رحب أهل تايوان فى عام ١٩٤٥ بالحكومة الوطنية الصينية حينما استعادت الجزيرة ، ولكن سرعان ما أصابتهم خيبة الظن نتيجة سوء الإدارة التى نشروها أثناء حكمهم للجزيرة .

غير أن اليابانيين على الرغم من نظامهم السياسى القمعى فإنهم عملوا على تطوير الجزيرة بنجاح هائل من الوجهة الاقتصادية – الأمر الذى جعل تايوان أكثر « حداثة » وتمتعا بكثير من وسائل التطور التكنولوجى عن بقية أجزاء الصين . كذلك ترك اليابانيون بصماتهم الثقافية على السكان . لذلك فإن خمسين عاما من الحكم اليابانى جعلت تايوان تشعر بالاختلاف الواضح عن بقية الصين الأم .

إن التطور الاقتصادى الذى أصابته تايوان أمر مثير للغاية . فإن النمو الاقتصادى قد عمل على تحسين مستوى المعيشة بشكل ملفت للنظر بما عمق الهوة الاجتماعية بين تايوان والصين الشعبية ، ففى الخمسينيات بدت الجزيرة وكأنها سوف تظل تابعة للولايات المتحدة إلى ما لا نهاية . ولكن عند حلول الستينيات صارت هناك إنطلاقة إقتصادية كبرى ، إذ على مدار عشرة أعوام أو يزيد زاد معدل إجمالى الناتج القومى بنحو ١٠٪ سنويا زيادة حقيقية بما يجعله يساوى ضعف المعدل الذى تحقق بالنسبةللصين الشعبية فى الستينيات . ومن ثم أصبح الناتج القومى فى تايوان نحو ٢ر٢ مليار دولار عام١٩٦٣ ثم قفز إلى٣ر٩ مليار دولار عام ١٩٧٣ . وعلى ذلك يكون ما يخص الفرد من الدخل القومى قد قفز بسرعة هائلة وهو فى الأونة الراهنة يزيد على نحو ٥٣٣ دولار، مقارنا بما كان عليه عام ١٩٦٣ وهو ٢٤٩ دولار

للفرد ، وعلى هذاالنحو يكون مستوى نصيب الفرد من الدخل واحدا من أعلى النسب فى آسيا وهو فى أقل القليل ضعف نصيب الفرد فى الصين[1] .

ولقد يكون التفسير لهذا الازدهارالاقتصادى راجعا إلى ضخامة المساعدات الامريكية التى تلقتها الجزيرة فى أيامها الأولى . ففى خلال خمسة عشر عاما فقط بلغت هذه المساعدات نحو ٤.٥ مليارددولار كان ثلثها عبارة من مساعدات إقتصادية والثلثان مساعدات عسكرية ولكن لا يمكن التقليل بحال من الأحوال من أهمية مخططى نظام الحكم ورجال الإدارة ، على أن الولايات المتحدة أنهت ما تقدمه لتايوان من منح عام ١٩٦٥ . كذلك أنهت الولايات المتحدة مساعدتها العسكرية وإن كانت لا تزال تبيع لتايوان معدات عسكرية بلغت قيمتها فى عام ١٩٦٧نحو ٢٩٣ مليون دولار[2] .

وعلى عكس هذا الازدهار الاقتصادى فإن الوضع السياسى الدولى لنظام الحكم فى تايوان أخذ يتدهور بإستمرار فى السنوات الأخيرة خصوصا بعد أن قامت كل من واشنطن وطوكيو بإنشاء علاقات مع بكين . ولذلك فإن عدد الدول التى تعترف رسميا بنظام الحكم فى تايوان قد إنخفض إلى نحو ثلاثين دولة مما يجعل تايوان تشعر بالخوف من أن يأتى اليوم الذى تصبح فيه فى حالة عزلة عن العالم .

أما من الناحية العسكرية فإن لدى تايوان جيشا يبلغ تعداده نحو نصف مليون جندى ، ولديها عدد من الطائرات الحديثة إلى جانب وحدات بحرية وقوات ضخمة من المشاة . بيد أن شعور تايوان بالأمان يعتمد بالدرجة الأولى على التزام الولايات المتحدة بالدفاع عن الجزيرة .

---

(1) Barnett, A.D. op. cit. p 244 .

(٢) Barnett, A. D. Ibid. p. 245..

الفصل الثانى

العلاقات الصينية - السوفيتية المعاصرة

الأوضاع الداخلية فى الصين فى الفترة ١٩٥٧ - ١٩٦٨

شهدت فترة العشر سنوات الممتدة من ١٩٥٧ – ١٩٦٨ التالية لتوطد سلطة الزعيم ماوتسى – تونج حركتين لا يمكن بحال من الأحوال لأى دارس لتاريخ الصين المعاصر إلا أن يتناولهما بالبحث والتمحيص من حيث الدوافع التى تسببت فى نشوئهما والظروف المحيطة بهما وقبل التطرق لعلاقات الصين بالقوة العظمى الثانية (الاتحاد السوفيتى) نحاول بشىء من الإيجاز الإشارة إلى هذين الحدثين وهما ما سمى « بالقفزة الكبرى إلى الأمام » والتى أطلقت شعاراتها منذ ديسمبر ١٩٥٧ ، ثم ما أطلق عليه إسم « الثورة الثقافية » والتى جاءت بعد حدوث شعاراتها منذ ديسمبر١٩٥٧ ، ثم ما أطلق عليه إسم « الثورة الثقافية » والتى جاءت بعد حدوث الصدع المعروف عام ١٩٦٠ بين كل من الصين والإتحاد السوفيتى واستمرت من يونيو ١٩٦٦ لنحو عامين .

أولا : القفزة الكبرى إلى الأمام

دوافعها

لقد أدرك قادة الحزب الشيوعى الصينى حقيقة أن السواد الأعظم من الصينيين هم سكان الريف وليس سكان المدن . فرغم التحولات الاجتماعية ورغم محاولات التصنيع فقد ظل البؤس مخيما على الأرياف . وفى ديسمبر ١٩٥٧ وبعد رجوع ماوتسى – تونج من إحدى زياراته للإتحاد السوفيتى أطلق شعار « القفزة الكبرى إلى الأمام » وكان الهدف الرئيسى منها أن تلحق الصين على مدى ثلاث سنوات من العمل الجاد والشاق ما فاتها فتلحق أو تتجاوز ما أحرزته بريطانيا خلال ١٥ سنة .

ولقد ركزت « الوثبة » جهودها على القطاع الزراعى فى محاولة جبارة لنقل الفلاحين الصينيين إلى مستوى العمال الزراعيين المتطورين ، حسب النموذج الروسى – بل ذهب الزعيم ماوتسى – تونج إلى أبعد من ذلك بتكليف القطاعات الريفية بإنتاج أكبر قدر ممكن من الحديد والصلب مهما صغرت ليتمكن ٨٠٠ مليون صينى من القفز بصناعة الحديد قفزة هائلة.

ولقد كان من أبرز أسباب فشل هذه القفزة أنه قد غاب عن ذهن الزعيم الصينى أنه على الرغم من تحمس الجماهير ، فان هذا الإجراء لا يوفر للصين الخبرة التقنية المطلوبة فى

عالم أصبح يتقدم على أسس تقنية متطورة ، وقد ثبت أن معدل إنتاج الصلب أخذ فى النقصان فى نفس الوقت الذى أخذ معدل الإنتاج الزراعى هو الآخر فى التناقص ، وكان هذا الفشل مدعاة لظهور حركة أخرى جديدة خلال صيف عام ١٩٥٨ وهى حركة « الكميونات الشعبية » على أن أهم ما تجدر الإشارة إليه أن إخفاق هذه « القفزة » أثر فى زعامة ماوتسى – تونج ووضعها لأول مرة موضع المجادلة .

ثانيا : الثورة الثقافية

أ - دوافعها

لقد تأكد لدى الزعامة الشيوعية فى الصين ، خاصة بعد فشل تجربة « القفزة الكبرى » نواحى الاختلاف الرئيسى بين النظامين الشيوعيين فى الإتحاد السوفيتى وفى الصين الشعبية . فى تركيبته وظروف نشأته ومن ثم وضع الحلول المناسبة لكل منهما .

فقبل قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧ كان لدى الاتحاد السوفيتى قاعدة صناعية بكيفية ما ، فى حين لم يكن لدى الصين قبل قيام ثورتها عام ١٩٤٩ مثل هذه القاعدة بل كانت الصين بلدا زراعيا تنقصه وجود أى قاعدة أساسية صناعية ينطلق منها ليبنى نهضته الصناعية(١) .

ورغم أن هذه الثورة الثقافية سادت ربوع الصين منذ يونيو ١٩٦٦ وظلت تتفاعل على مدار سنتين حتى عام ١٩٦٨ فإن لها جذورا ترجع إلى عام ١٩٢٧ – تاريخ تكوين الحزب الشيوعى الصينى . فمنذ نشأة هذا الحزب وبدأت السيطرة عليه من جانب الزعيم السوفيتى ستالين ، الأمرالذى تجلى فى ممارسة هذا الأخير الضغط على الزعيم ماوتسى – تونج بضرورة التعاون مع حزب الكومنتانج ومع تشيانج كاى شيك بل إن الاتحاد السوفيتى كان لا يخفى نظرة الاستخفاف بالنسبة للحملات التى إبتدعها ماوتسى تونج سواء بالنسبة للوثبة الكبرى إلى الأمام أم إنشاء الكميونات حتى أقدم على سحب كافة الفنيين السوفيت الذين كانوا يساعدون الصين سحبا كاملا ومفاجئا عام ١٩٦٠ كما سنرى تفصيلا .

لذلك فإن الغوص فى أعماق هذه الثورة الثقافية يجعلنا نعتقد أن هدفها الأول هو جعل الصين تقفز بسرعة من الوضع الريفى والحرفى لبلوغ الحضارة بوجهها التقنى الحديث ، وهذا لا يتم – حسب فكر الزعيم ماوتسى تونج – إلا بتجاوز مرحلة البورجوازية الصغيرة ، ومنع الأفكار المستوردة . ولذلك فإن الصين عمدت فى تلك الفترة إلى قطع جميع وشائجها الثقافية مع الخارج حيث قامت بإستدعاء جميع طلبتها وباحثيها الذين يدرسون فى الخارج من

---

(١) بريفيت الان : يوم تنهض الصين يهتز العالم ص ١٢٧ .

ناحية ، كما طلبت كذلك من المدرسين والأساتذة الأجانب العودة إلى بلادهم من ناحية أخرى حتى توقف التبادل الثقافى والعلمى على مدار ما يقرب من خمس سنوات[1] . ولربما كان الهدف هو تحقيق قدر من الإنغلاق يحقق فى نظر الزعامة الصينية توفير قد أكبر من تحقيق الذات الشيوعية الصينية بمنأى عن المؤثرات الخارجية . ولربما أيضا كان فى ذهن هذه الزعامة أن فترة الإنغلاق التى شهدتها اليابان لعدة سنوات متواصلة قبل حكم الميجى قد أيقظت الشعور الوطنى اليابانى ومهدت له سبيل الانطلاق .

ويرى كثير من الباحثين أن من أهم الدوافع لهذه الثورة الثقافية – إن لم يكن أهمها الصراع الضارى الذى نشب بين ماوتسى تونج من ناحية ورفيق نضالة وصديقه ليوتشاوشى الذى تحول إلى الفكر المعارض للفكر الماوى – لاسيما بعد أن أصدر « ليو » كتابه تحت عنوان « لكى تكون اشتراكيا » وجه فيه عدة إنتقادات إلى الزعيم ماوتسى تونج . ولم ينس له ماو أنه كان قد دعاإلى إتخاذ حل وسط مع حزب الكومنتانج ثم إن « ليو » كان يبدى إعجابه بالإتحاد السوفيتى وتجربته الشيوعية ، ولاغرو إذن أن رد فعل الزعيم ماو هو تحين الفرص للتخلص منه بطريقة غير مباشرة بإطلاق شرارة الثورة الثقافية ، الأمر الذى إنتهى بإختفاء ليوتيشاوتشى من مسرح الأحداث لتتأكد زعامة ماوتسى تونج بصفة مطلقة .

ب - مظاهرها

لقد انطلقت هذه الثورة فى ١٣ يونيو ١٩٦٦ وإتخذت منعطفا خطيرا حينما لجأت إلى العنف الدموى . ببروز ظاهرة سيطرة الحرس الأحمر الذى كان من أهم وسائل تنفيذ مبادىء الثورة الثقافية والذى طالب بتدوين مأثورات الزعيم الصينى فى كل مكان خارج المبانى وداخلها وأن يجرى كتابتها باللون الأحمر .

وكان المظهر البارز الآخر لهذه الثورة هو إنتشار الكتاب الأحمر الذى يجمع مأثورات الزعيم ماو وأفكاره والذى أصبح بمثابة الموجه الاساسى للإنسان الصينى نحو بناء مستقبله وتطوير حياته ، وانتشرت الجرائد الحائطية بشكل واسع لكى تتخذ وسيلة لتوجيه الشعارات والهجوم على مخالفى فكر الزعيم ماوتسى – تونج . وقيل أن أول صحيفة حائطية علقت بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٦٦ على جدران جامعة « بيتا » كانت بخط الزعيم نفسه .

---

(١) بريفيت آلان : يوم تنهض الصين يهتز العالم ص ٥١ – ٦٩ .

الجذور التاريخية للعلاقات الصينية - الروسية

تعتبر روسيا أقرب إلى أن تكون دولة من دول غرب آسيا بأكثر من أن تكون إحدى دول شرق أوروبا . وحقيقة الأمر ، فإن روسيا حتى فى عصرها الحديث لم تتخل عن سياستها « الشرقية » التى كانت تتبعها منذ زمن القيصرية . ولقد حقق لها اندفاعها نحو الشرق أراضى شاسعة سوف تكون على نحو ما سنرى عائقا فى سبيل استمرار العلاقة الممتازة بين الصين وروسيا حتى بعد أن اعتنقت الصين المذهب الشيوعى .

ونلاحظ أن الاندفاعة السوفيتية كانت تتجه رويدا رويدا نحو أواسط أسيا الشرقية لتحتل أراضى هى فى أساسها من أراضى الصين ، وينصب حديثنا على إقيم سينكيانج ومنغوليا الخارجية اللذين يجب أن نضم إليهما المنطقة المسماة كوكو – نور . هذه المناطق يقطنها سكان يتجاوز عددهم نحو أربعين مليونا من البشر .

فبالنسبة لإقليم سينكيانج الذى أصبح يطلق عليه إسم « تركستان الصينية » أو « تركستان الشرقية » . فهذا الإقليم عبارة عن هضبة مرتفعة صحراوية قاحلة ، ولكن الجزء الغربى يرويه نهر تاريم ، وهناك تمتد مساحات مترامية خصبة ومراعى هامة فضلا عن احتياطات معدنية ضخمة ، ولقد عمل الاتحاد السوفيتى بطريقة منظمة على إخضاع سينكيانج إلى أن إستعمرها بكاملها عام ١٩٣٠ . وبعد أن بعث إليها بعدد من قواته وعدد من موظفيه أرسل إليها أفواجا متتالية قوام كل منها عدة آلاف من عنصر القزق . كذلك عمل الاتحاد السوفيتى على بناء خط سكك حديد تركستان – سيبيريا ليربط تركستان الصينية بطشقند فى تركستان الروسية .

أما بالنسبة لمنغوليا الخارجية فإنها متسعة المساحة تزيد مساحتها على مساحة فرنسا ، وهذه المنطقة تستمد قيمتها من إنه ينمو فيها غابات وأعشاب ذات قيمة بالنسبة لرعايا منغوليا. والجدير بالذكر أن منغوليا شأنها شأن إقليم سينكيانج ليس لها قيمة إقتصادية كبرى فى حد ذاتها ولكنها موقع متقدم بالنسبة للأيديولوجية السوفيتية فمن عاصمة منغوليا – أولان – باتور (أى العملاق أو المحارب الأحمر) يمكن بلوغ مدينة كالجان القريبة من سور الصين العظيم فى ظرف ثلاثة أو أربعة أيام بإستخدام السيارات ومن ثم لا يكون هناك سوى مسافة ضئيلة لبلوغ بكين .

ولقد عملت موسكو بعد سنوات من الدعاية المكثفة لكى يقوم أهل منغوليا بإعلان بلادهم جمهورية أطلق عليها إسم « جمهورية منغوليا الشعبية الخارجية » عام ١٩٢٤ وهذه

الجمهورية التى أصبحت مستقلة دخلت فى الفلك السوفيتى وخضعت للنظام النقدى الروسى ، وكونت كوادره من الروس . ومن الغريب أنه فى عام ١٩٢٤ وقعت كل من موسكو وبكين معاهدة « صينية – سوفيتية » كان أهم بنودها « إعتراف الحكومة السوفيتية بأن منغوليا تشكل جزءا مكملا لجمهورية الصين » ولكن منغوليا الخارجية الحقت بسيبريا الشرقية ، وصارت بعد ذلك جزءا من إتحاد الجمهوريات السوفيتية(١) .

والغريب كذلك أن الحكومة المركزية الصينية لم تعارض فى ضم سينكيانج أو منغوليا الخارجية ، ولا التوغل الروسى فى منطقة كوكو – نور الملاصقة لحدودها والتى تقع إلى الجنوب من إقليم سينكيانج مما حمل بعض المؤرخين على التساؤل عما إذا كانت هناك إتفاقية سرية بين الصين وموسكو فى هذا الخصوص .

وعلى الرغم من أن جذور العلاقات بين الصين وروسيا ، أى بين أباطرة الصين وقياصرة روسيا فى القرن السابع عشر لم تكن علاقات مودة بحال من الأحوال ، وظل تاريخ هاتين الأمتين المتجاورتين منذ ذلك الحين وحتى أوائل القرن العشرين يمثل تاريخ امبراطوريتين فى حالة تصادم مستمر، لذلك فإنه حينما أعلن الزعيم الصينى ماوتسى – تونج فى منتصف عام ١٩٤٩ إن الصين سوف تنحاز إلى « جانب واحد » – بإتجاه الاتحاد السوفيتى ، ثم حين وقعت بعد ذلك معاهدتها مع روسيا للتحالف العسكرى عام ١٩٥٠ توكيدا منها على وحدة النظر للأمور ، ووحده المصالح والأهداف ، فإن ذلك الإعلان لم يكن متمشيا مع طبائع الأمور متجاهلا الحقائق التاريخية .

ولربما كان من المستحسن طرح هذا الموضوع مقسما إلى قسمين : الأول تحت عنوان التحالف الصينى – السوفيتى على أن يكون القسم الثانى بعنوان الصراع الصينى – السوفيتى وذلك بالرغم من أن ذلك التحول قد تم فى أقل من عشر سنوات .

١ - مرحلة التحالف الصينى - السوفيتى

لقد تم توقيع هذا التحالف فى ١٤ فبراير ١٩٥٠ حين كان الزعيم الصينى ماوتسى تونج فى موسكو للمشاركة فى مرور سبعين عاما على ميلاد الزعيم السوفيتى ستالين . وظل كل من الزعيمين منهمكا فى التفاوض لإبرام معاهدة ترمى إلى إستبدال المعاهدة القديمة التى

---

(1) Chalux, Autour du Conflit Sino-Japonais. P. 110

كان قد أبرمها الإتحاد السوفيتى مع تشيانج كاى شيك على عجل يوم تسليم اليابان . أما . ذه المعاهدة الجديدة التى وقعها كل من فيشينسكى عن الاتحاد السوفيتى ، وتشوإين – لاى عن الجانب الصنى فكانت تنص على ما يلى :

« إنها معاهدة تحالف وصداقة ، وتعاون متبادل مدتها ٣٠ عاما قابلة للمد خمسة سنوات إلا فى حالة طلب فسخها قبل موعد إنتهائها بسنة » وتعهد الطرفان فى ستة مواد بإتخاذ كافة التدابير التى من شأنها تجنب عودة اليابان إلى القيام بأعمال عدوانية « أو آية دولة أخرى تنضم إلى اليابان بصفة مباشرة أو غير مباشرة لهدف عدوانى » . وفى هذه الحالة يهب الطرف الأول لمساعدة الطرف الآخر عسكريا – بهدف التعاون لإرساء السلام فى العالم والإسراع فى إبرام معاهدة سلام مع اليابان بصفة مشتركة مع كافة الدول المعنية . وكذلك نصت المعاهدة على عدم التحالف أو الدخول طرفا فى أى تحالف موجه ضد الطرف الآخر من المعاهدة ، وأن يجرى التشاور بين طرفى المعاهدة بشأن المشكلات الكبرى التى تتعلق بحفظ السلام فى العالم ، واحترام سيادة وتكامل الطرف الآخر على أساس من المساواة الكاملة .

غير أن النجاح الأكبر الذى حققه ماوتسى – تونج كان يكمن فى الملحق الذى أرفق بتلك المعاهدة ، وكان ملحقا وحيدا يتعلق بتسوية الوضع بالنسبة لخط سكك حديد تشانج – تشوان الأمر الذى يعنى ربط مصير منطقتى جنوب منشوريا وشرقى الصين معا ، وكذلك مصير ميناء بورت آرثر ودايرين . ففى مقدمة هذه الوثيقة لم يتردد ماوتسى تونج فى الإعلان عن أن الأوضاع « قد تغيرت تغيرا جذريا منذ عام ١٩٤٥ . فها هى اليابان قد تمت هزيمتها ، وها هو الكومنتانج لم يعد قائما وها هى ذى جمهورية صينية شعبية صديقة للإتحاد السوفيتى قد ولدت من جديد ... وأن الإتحاد السوفيتى يتعهد بالتنازل للصين عن كل حقوق الملكية على الخط الحديدى « بمجرد توقيع معاهدة سلام مع اليابان » ، « وإن ذلك لن يتعدى فى كافة الأحوال ٣١ ديسمبر ١٩٥٢ » . كذلك قبل الاتحاد السوفيتى بنفس الشروط ولنفس المهلة والتاريخ وإنسحاب قواته من بورت آرثر ، وأن يسلم للصين كافة المؤسسات المتعلقة بالميناء ، أما بالنسبة لمصير ميناء دايرين فلم يتحدد تماما ، ولكن تم النص على أن تكون إدارة الميناء بكاملها من الصينيين[1] .

واستكمالا للمعاهدة تم إبرام إتفاقية تنص على منح الصين قرضا بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار مدته خمس سنوات بسعر فائدة ١٪ لبناء الصناعات الثقيلة والمناجم والسكك الحديدية ،

---

(1) Grousset, R. La face de L'Asie p. 427 .

ويجرى سداد القرض على مدى عشر سنوات بمواد خام صينية مثل الشاى ، وبالدولارات الأمريكية .

كذلك تم تبادل ثلاثة مذكرات أو كتب متبادلة بين فيشينسكى (Vichinsky) وشو إن - لاى . المذكرة الأولى تلغى المعاهدة المبرمة بين الإتحاد السوفيتى وحكومة الصين الوطنية بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩٤٥ . والثانية تتضمن اعتراف الدولتين باستقلال منغوليا الخارجية . أما الثالثة فتتضمن قيام السوفيت بتسليم الممتلكات اليابانية التى كان اليابانيون قد اكتسبوها فى منشوريا ، وكذلك المبانى التى كانت تحتلها البعثة العسكرية السوفيتية فى بكين .

لقد كان هذا التحالف الذى جسدته معاهدة ١٩٥٠ موجهاً فى أساسه ضد الولايات المتحدة واليابان ذلك أن حجر الزاوية فى السياسة الخارجية الصينية ظل خلال العشر سنوات التالية لعام ١٩٤٩ يتمثل فى تحالفها مع الإتحاد السوفيتى . ولم يقتصر هذا التحالف على المجال العسكرى ، وإنما شمل العلاقات الاقتصادية والعلمية والتعليمية وعدداً آخرَ من المجالات المتشعبة ، ولقد كان من أبرز العوامل التى دفعت قادة بكين لتحالفهم مع السوفيت ، وتوثيق روابطهم معهم نظرة أيديولوجية مشتركة . فكان الطرفان يعتقدان أن لهما عدوا مشتركا ، كما أن ما لديهما من قيم ، ربما يعمل على توحيد البلدين ويمنع أى تعارض بين المصالح القومية لهما .

على أن هذا التحالف مر بتجربة إمتحان قاسية ، ولما لم ينقض عام كامل على إبرامه حين نشبت الحرب الكورية . ومعلوم أن هذه الحرب بدأت من جانب كوريا الشمالية بموافقة ستالين الذى كان يظن أن هذا الهجوم سوف يتمخض عن حدوث ثورة فى كوريا الجنوبية ، وأن الولايات المتحدة سوف لا تدخل فى هذه الحرب . ولقد أبلغت خطة هذه الحرب إلى الزعيم ماوتسى - تونج الذى لم يكن فى حسبانه تدخل الصين فى هذه الحرب ، ولكن الأمور تطورت حين تدخلت قوات الأمم المتحدة ومعها قوات الولايات المتحدة فى كوريا ، وصار موقف كوريا الشمالية متداعيا ، كما أن الولايات المتحدة تدخلت من جديد فى تايوان لذلك وجدت الصين نفسها مهددة - ليس فقط من ناحية كوريا الشمالية التى تمثل نطاقا عازلا بالنسبة للصين كما أشرنا فى الفصل السابق ، وإنما وجدت نفسها أيضا مهددة فى عقر دارها بالخطر . لذلك بادرت بإرسال موجات من قواتها إلى كوريا بدعوى أنهم من « المتطوعين » .

على أنه بالرغم مما أوجدته الحرب الكورية من توتر عرضى فى العلاقات بين بكين وموسكو ليس هنا محل سردها ، فإن الحرب دعمت مكانة الصين ، وعملت على تقوية أواصر العلاقات الصينية – السوفيتية . فلقد قامت موسكو ببيع كميات ضخمة من الأسلحة والمعدات ، وعملت على « تحديث » الجيش الصينى بها . كذلك أدى الدعم السوفيتى للصين إلى ردع الأمريكيين عن تصعيد القتال ، كما ثبت ذلك من عزم واشنطن على شن هجوم مباشر على الصين أو إستخدام الأسلحة النووية ضدها .

ومن الناحية الاقتصادية والفنية نرى موسكو ، وقد أخذت على عاتقها مساعدة الصين بالتجهيزات ، والمعلومات التكنولوچية . فقامت بإنشاء ما يزيد على ٤٠٠ مشروع صناعى كان من بينها نحو ٢٥٠ – ٣٠٠ مشروع صناعى ضخم . وخلال الخمسينيات قدم إلى الصين ٨٠٠ر١٠ خبير وفنى سوفيتى . وطبقا للمصادر السوفيتية ، فإن الإتحاد السوفيتى زود الصين بنحو ٠٠٠ر١٤ مجموعة متكاملة من الوثائق العلمية والتكنولوچية ذكرت هذه المصادر أن قيمتها تساوى مليارات من الدولارات . ومن ناحية أخرى فإن موسكو باعت لبكين ما قيمته ١ر٢ مليار دولار من التجهيزات الفنية بما فى ذلك نحو ١٦٦ مشروعا من المشروعات الصناعية الهامة[1] .

ولم يقتصر التعاون بين البلدين على هذا المجال ، فقد تم تدريب ٧٠٠٠ صينى فى المشروعات السوفيتية المختلفة ، وكذلك فى ظل خطة تعاون علمى بين البلدين تم تدريب نحو ١٠٠٠ شخص من الأكاديمية العلمية الصينية فى الأكاديمية السوفيتية إلى جانب تدريب نحو ١٥٠٠ فنى صينى فى الإتحاد السوفيتى بالإضافة إلى قيام الروس بتقديم المساعدات فى إعادة تنظيم نظم التعليم الصينى على النسق السوفيتى . وبعد حلول عام ١٩٦٠ كان قد تم تدريب ١٧٠٠ مدرس صينى فى الإتحاد السوفيتى ، والتحق ٠٠٠ر١١ طالب صينى بالدراسات العليا فى جامعات الاتحاد السوفيتى .

ولقد كان واضحا منذ البداية أن الصين تمثل الشريك الأصغر فى هذه العلاقات فى حياة ستالين ، فقد أصر السوفيت على سيطرتهم وتفوقهم من خلال التحالف وكان على الصينيين أن يقبلوا هذه السيطرة وهذا التفوق ، وإن يقنعوا بوضع التابع . وكان السوفيت يولون الأهمية الأولى لمصالحهم القومية صراحة فى أغلب الإتفاقات التى تتم بين الطرفين –

---

(1) Barnett, A. D. op. cit. P. 28.

الأمر الذى انتقده خروشوف فيما بعد حينما أشار إلى أن هذا الأسلوب المتعالى الذى إتبعه سلفه ستالين فى العلاقات مع الصين قد أساء إلى هذه العلاقة ، وأنه ربما لو لم يكن ستالين قد وافته المنية عام ١٩٥٣ لكان الشقاق قد أصاب العلاقة بين البلدين بالضرر فى مرحلة مبكرة عما تمت فيه .

على أن بذور الشك قد وضعت حينما طلبت موسكو مقابلا للدعم العسكرى للصين . وتمثل ذلك فى طلبهم حقوقا خاصة فى خطوط سكك حديد شانجشون (Changchun) ، وفى ميناء بورت آرثر ، وفى منشوريا ، فضلا عن طلب إقامة شركات مساهمة مشتركة فى كل من منشوريا وسينكيانج . ونظرا لأن الحرب الكورية كانت لاتزال تدور رحاها على قدم وساق ، فإن الصينيين كانوا يعتقدون أن مد أجل امتيازات الروس فى بورت آرثر ، وما طلبته موسكو هى أمور لازمة للدفاع عن الصين .

على إنه من العجيب أن زيادة العلاقات فى المجالين السياسى والاقتصادى كان مدعاة لحدوث الاحتكاكات بين البلدين ، فالروس كانت لديهم الرغبة لتقديم مساعدات إقتصادية كبرى ولكن اشترطوا فى مقابل ذلك قيام الصين بسداد قيمة هذه المعونات . فأثناء الزيارة التى قام بها ماوتسى - تونج لموسكو فى أوائل ١٩٥٠ وافق الروس على منح الصين مبلغ ٣٠٠ مليون دولار كسلفة للتنمية يجرى تقديمها على خمس سنوات وأن يتم سدادها خلال العشر سنوات التالية بسعر فائدة منخفضة هى ١٪ وفى عام ١٩٥٤ قدم الروس معونة أخرى قيمتها ١٣٠ مليون دولار ولكن هاتين السلفتين كانتا السلفتين الوحيدتين طويلتى الأمد اللتين قدمهما السوفيت للصين وتم الإعلان عنها على مدار عشر سنوات كاملة . والأكثر من ذلك كان إصرار الروس على دفع قيمة الامدادات العسكرية التى يتلقاها الصينيون أثناء الحرب الكورية .

على أن السوفيت كانوا ينظرون إلى دعمهم المالى للصين على أنه معونات سخية ذلك أنه لم يسبق لهم التعود على منح مساعدات إقتصادية على نطاق واسع إلى أى نظام حكم سواء كان ذلك النظام شيوعيا أم غير شيوعى . أما الصينيون فقد كانت نظرتهم للدعم المالى السوفيتى أنه ضئيل للغاية خصوصا وأن السوفيت طلبوا من الصينيين ليس فقط دفع قيمة التجهيزات الصناعية ، ولكن أيضا دفع قيمة المساعدات العسكرية الروسية لهم مما جعل الصينيين يتحملون فى حقيقة الامر عبء الحرب الكورية وحدهم .

غير أن انتهاء الحرب الكورية من ناحية ووفاة ستالين عام ١٩٥٣ من ناحية أخرى عمل على إحداث تغييرات هامة في العلاقات بين البلدين . وكان أبرز هذه التغييرات اتجاه الزعماء الجدد في موسكو عن عمد الى جعل العلاقات بين البلدين اكثر مساواة والعمل على ازالة ما علق بها من شوائب . فقد عملت الزيارة التي قام بها خروشوف وبولجانين عام ١٩٥٤ للصين على خلق فترة تتسم بالود المتبادل وقام السوفيت بمنح قرض جديد للتنمية في الصين ، ثم عمد القادة السوفيت الجدد أيضا الى انهاء الحقوق الخاصة التي حصلوا عليها من الصين ١٩٥٠ والاكثر أهمية من كل ذلك انهم اظهروا احترامهم للكبرياء الصيني . بل انه في عام ١٩٥٥ بلغ الحد ببعض القادة السوفيت بمن فيهم مولوتوف الى الاشارة الى أن الكتلة الشيوعية يتزعمها كل من الاتحاد السوفيتي والصين .

ب - مرحلة الصراع الصيني - السوفيتي

على الرغم من أن بوادر التوتر في العلاقات بين الصين والاتحاد السوفيتي بدأت في أوائل الخمسينيات من هذا القرن الا أن الصراع المكشوف بينهما لم يتفاعل بصورة جدية الا في النصف الثاني من الخمسينيات ، ولم يتبلور في صورة صراع ايديولوجي علني الا عند حلول الستينيات .

على أن هناك عدة عوامل اسهمت في تفاقم هذه العلاقات ، لكن العامل الاهم يعزى ولاشك « الى مسألة الامن العسكري الذي مر في حقيقة الامر بمراحل ثلاث هي : الفترة من ١٩٥٧ – ١٩٥٩ حينما اسفر توتر العلاقات عن تولد الشك لدى الطرفين ، ثم الفترة من ١٩٦٢ – ١٩٦٣ حينما صار التحالف الصيني – السوفيتي مفرغا تماما من مضمونه ، واخيرا الفترة من ١٩٦٧ – ١٩٦٩ حينما تحولت المواجهة السياسية بين البلدين الى مواجهة عسكرية .

١ - خطاب خروشوف

ويرى الصينيون ان بداية الصراع الحقيقي حدثت حينما القى خروشوف خطابه المشهور في عام ١٩٥٦ الذي تضمن الهجوم على ستالين . وفي رأيهم أن خروشوف كان ينبغي أن يستشيرهم أو ان يفصح لهم عن نيته قبل القاء ذلك الخطاب في حين أن الروس كانوا يعتقدون أن هجومهم على ستالين هو أمر يخصهم وحدهم . ويذهب الصينيون الى القول بان هذا الخطاب كانت له أصداء واسعة بالنسبة للصين وبالنسبة للكتلة الشيوعية باسرها . واشد ما اصاب الصينيين بالانزعاج من خطاب خروشوف هو تأكيده على عدم حتمية الحرب، وبامكانية التحول الى الاشتراكية بغير عنف ، وترويجه لفكرة التعايش السلمي

(Peaceful Co-existence) واعتـبار كـل هـذه المفاهيـم الجديـدة بمـثابة اساس للسياسة السوفيتية . فلقد كان النموذج الثورى حسب مفـهوم الزعيم مـاوتسى - تونج يعتـمد على العنف وفضـلا عن ذلك فـان هذه الافكار التى طرحـها خروشـوف كـانت تتـضمن الرغبـة فى التـوصل الى حل توفـيـقى مع الدول الرأسـمـالية وعلى وجـه الخـصـوص مع الولايات المتـحدة بكيفية جعلت بكين تشعر بأن وضعها سوف يصيبه الوهن فى مواجهتها مع الولايات المتـحدة وعلى وجه اخص بالنسبة لموضوع تايوان .

على أنه لا ينبغى لنا ان نغفل اثر الاضطرابات التى حدثت فى عـام ١٩٥٦ - فى بولندا أول الامر ، ثم بعد ذلك فى المجر - فى السيكولوچية الصينية ، اذ كان رد الفعل الصينى تجاه هذه الاحداث ان ادخلوا انفسهم بطريقة مباشرة فى شؤون شرق أوروبا ، وعملوا على بلورة فكر شيوعى صينى فى مواجهة الاحداث السياسية التى تواجه العالم الشيوعى .

واذا مـا استعرضنا اهـم الاحداث التى تجلى فيها الخلاف بين البلدين ، فاننا نشير الى أن خـروشـوف كـان قد عقـد العزم على تحقـيق توازن استـراتيـجى مع الولايات المتـحدة من جهة ، وعلى تقليل مـخاطر نشوب حرب نووية من جهة اخرى - الأمر الذى املى عليه تدبير سياسة سوفيتية جديدة صوب الولايات المتحدة . ولقد اسفرت جهود خروشوف عن سياسة التعايش مع المعسكر الغربى التى تطورت بدورهـا لما سمى بالانفراج (Détente) والذى بلـغ ذروته بزيارته الى واشنطن عام ١٩٥٩ .

ولقـد كـانت الصين تنظر بعين القلق الى هذا الانفـراج باعتـبـار أنه سـوف يلحق الضـرر بالمصالح الصينية فى منطقة تايوان ، وغيرها . ومن هنا كان اتجاهها لمعارضة هذا الانفراج . ومن جهة أخرى كان الاتحاد السوفيتى باعتباره قوة نووية كبرى يخشى من احتمال أن تتفجر الصراعات العسكرية المحلية وتتحول الى مـواجهة بين القوى الاعظم . ولكن الصينيين الذين لم يكن يروقـهم اسـتـمـرار الاوضـا ع على مـا هى عليـه فكانوا يرون ان الصـراعـات المسلحة المحليـة أمـر لازم لا غنى عنه بالنسبـة لنجـاح الثـورات ، وكـانوا يرون ان اسـتـعـادتهم لجـزيرة تايوان يستدعى تضـافـر قوى الصين والاتحـاد السوفيتى مـعـا لمباشرة الضـغط المنشود على الولايات المتحدة .

٢ - المعونة السوفيتية النووية للصين

بعد وفـاة ستالين ايقن مـاوتـسى - تونج انه لابد من بناء قوة نووية صينية وبعد أن اعطى مـاوتـسى - تونج اشـارة البدء لما أسمـاه « بالقفزة الكبرى إلى الأمام » فى عام ١٩٥٨ قـال

محذرا : « إنه يمكننا أن ننتج قنابل ذرية فى فترة لا تتجاوز العشر سنوات » . واعتقدت الدول الغربية أن ذلك كان من قبيل التصريحات الدعائية ولم تأخذها مأخذ الجد .

ولكن بعد خمس سنوات أخرى أى فى عام ١٩٦٣ اعلن احد القادة العسكريين الصينيين قوله « ان رئيس الوزراء السوفيتى نيكيتا خروشوف إدّعى يوما من الايام أن الاسلحة الذرية مكلفة جدا بحيث لو فكرت الصين فى انتاجها فان ذلك سوف يكلفها غاليا وبحيث لا يتبقى لديها من الاموال ما يكفيها لانتاج البنطلونات لسكانها . وانا اقول اليوم انه يتحتم علينا انتاج هذه الاسلحة ونحن نلبس البنطلونات أو بدونها » . ولم تنقض سوى سنة واحدة حتى فجرت الصين قنبلتها الذرية الأولى فى ١٦ أكتوبر ١٩٦٤ .

ويرجع هذا النصر النووى الى أنه ابتداء من عام ١٩٥٠ أخذ الجيش الصينى على عاتقه السيطرة على علوم الطبيعة النووية وتولى شوإين - لاى مهمة الاشراف على هذا المشروع . كذلك سيطر الجيش الصينى على عملية حشد العلماء الصينيين الذين كانوا لا يزالون مقيمين خارج الصين وكانوا حينذاك نحو عشرة آلاف كان من بينهم أربعة آلاف اعمارهم (ما بين ٣٥ - ٤٥ سنة) فى جامعات ومعاهد ابحاث فى الولايات المتحدة الامريكية .

ويهمنا الان التعرف فى هذا المجال على الاسهام السوفيتى ، نظرا لأن عدم وفاء السوفيت فى نظر الصينيين بما تعهدوا به سوف يتحول الى قطيعة بسبب الشكوك المتبادلة . ففى بادىء الأمر لم يدخر الاتحاد السوفيتى وسعا فى تقديم الحاسبات الاليكترونية والمفاعلات النووية فى نفس الوقت الذى كان فيه علماء الذرة السوفيت يلقنون هذه العلوم فى الكليات الصينية . وتم ارسال عدد من الطلبة الصينيين الى المعاهد والمعامل السوفيتية خصوصا فى دوبنة (Dubna) وتم على أيديهم إعداد اكثر من ٢٨٫٠٠٠ متخصص صينى فى هذا المجال فى معاهد الاتحاد السوفيتى وكان من بينهم ١٣٠٠ عالم بالإضافة إلى ٧٥٠٠ طالب[1] .

بالاضافة الى ذلك شرع الاتحاد السوفيتى منذ عام ١٩٥٦ فى بناء أول مصنع للعزل النووى على شاطىء النهر الاصفر حيث تم استكشاف أكبر ارسابات من اليورانيوم عند نقطة لانتشو (Lantceou) وكان الزعيم الصينى ماوتسى - تونج ورئيس الوزراء السوفيتى خروشوف قد وقعا اتفاقا سريا فى ١٥ أكتوبر يقضى بتعهد الاتحاد السوفيتى بتقديم مواصفات قنبلة ذرية بصفة عينة من القنابل الذرية السوفيتية وكذلك مفاعلا ضخما مع مواد

---

(1) Historama N[o] Special P. 127 131

احتراقه حتى تبدأ باكورة انتاج مصنع لانتشو . وبمقتضى هذه المعاهدة السرية يتعهد السوفيت ايضا بتوفير غطاء للصين الشعبية ضد احتمالات قيام الامريكيين بالعدوان على الصين . ولكن بات واضحا بمرور الوقت أن السوفيت لم يكونوا جادين فى اعطاء بكين اية وسائل استراتيجية هجومية ضد تايوان نظرا لان ذلك قد يتسبب فى دخول الاتحاد السوفيتى فى صراع مباشر مع الامريكيين ، لذلك سارع الكرملين فى ٢٠ يونيو ١٩٥٩ – وبعد الحملة الصينية الفاشلة على فرموزا – الى فسخ هذا الاتفاق بما ترتب عليه من اثار بالغة فى مستقبل العلاقات بين البلدين .

ولقد اعقب الغاء هذه الاتفاقية مغادرة الخبراء السوفيت تاركين مصنع لانتشو (Lantcheou) الذى لم يكن ينتج سوى ٢٥ ٪ من اليورانيوم المغنى بدلا مما كان مقدرا وهو نسبة ٩٣ ٪ . وفى هذا الظرف قبل علماء الطبيعة وعلماء الكيماء الصينيون هذا التحدى .

وكان الرد الصينى حاسما . ففى مدينة تشونج كنج (Tchonh-King) تم اعداد مركز تجمع لاستقبال كافة الوثائق العلمية الاتية من كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وأوروبا على حد سواء بل من العالم اجمع حول كافة المواضيع العلمية مثل الصواريخ والالات الفضائية . والحقيقة أن اليابانيين اسهموا بتقديم الترانزستوز الذى يستلزم استخدامه فى الحاسبات الالكترونية التى لاغنى عنها الحسابات الفورية لتحديد مسارات الصواريخ . ولم ينقض عشر سنوات الا كانت الصين قد استطاعت إعداد ما يقرب من ٦٠٠,٠٠٠ عالم جديد فى هذه الميادين .

بيد أن الخلاف حول الاسلحة النووية كان بلا ادنى شك واحدا من أهم اسباب الصراع العلنى المكشوف بين بكين وموسكو .فالصينيون يرون أن الروس لم تكن لديهم الرغبة الصادقة لدعم الصين لتحقيق مصالحها القومية لتظل معتمدة عليهم عسكريا وان تبقى مستظلة بالمظلة النووية السوفيتية الى الابد . ويرى السوفيت أن خروشوف كان قد وطد العزم فى تلك الفترة على أن تكون الاولوية للرقابة على الاسلحة بما فى ذلك السعى نحو منع الانتشار النووى ويصير من المنطقى – والحالة هذه – ان يوقف الاتحاد السوفيتى مساعداته النووية للصين .

وهناك موضوع عسكرى آخر اطل برأسه فى عام ١٩٥٨ – ١٩٥٩ اسهم فى توتر العلاقات وزيادة هوة الشقاق بين البلدين . فقد طلبت بكين مساعدات سوفيتية ضخمة لتوسيع وزيادة قدرات الاسطول الصينى ولم يستجب السوفيت لهذا الطلب . وقد قدم السوفيت بدلا من ذلك اقتراحا بانشاء اسطول صينى سوفيتى مشترك وطلبوا السماح لهم باستخدام

واحل الصينية السفن الروسية ، الامر الذى رفضته بكين ، ثم تطور نزاع الاراضى بين ا' بين والهند عام ١٩٥٩ ، ولم يقم السوڤيت بما توقعه الصينيون منهم كدعم لحليفهم فى نزاعهم مع الهند ، وبدلا من أن تقوم موسكو بالضغط على نيودلهى ، فانها أخذت موقف محايداً واستمرت فى تقديم المساعدات للهند .

ومن الجدير بالذكر ان بداية عام ١٩٦٠ شهدت كما اسلفنا الصراع العلنى المكشوف بين البلدين ولقد كان للصين دور المبادأة فى بداية الستينيات فى هذا الصراع . وذلك بالبدء فى هجوم ايديولوچى على الاتحاد السوفيتى ، وكان ذلك بتدبير شخصى من الزعيم ماوتسى – تونج . وقد تضمن هذا الهجوم مقالة ظهرت فى صحيفة الحزب الشيوعى الصينى « العلم الاحمر » تنطق بالمرارة وتصب جام الغضب على الاتحاد السوفيتى الذى تخلى عن مبادىء لينين ، وعن القيم الرئيسية للشيوعية . وكان عنوان هذه المقالة « فلتحيا اللينينية » وقد نعتت هذه المقالة السوفيت بانهم التحريفيون الجدد (Revisionnists) . ولقد تضمنت المقالة توجيه الانظار بالدرجة الأولى الى استمرار الصراع الطبقى ، والى الحاجة الى استخدام العنف والى الثورة المسلحة وليس « التحول السلمى » الذى دعت اليه السياسة الجديدة للسوفيت والتى اطلق عليها اسم « التعايش السلمى » .

ويهمنا الان أن نرى رد الفعل السوفيتى على هذه الحملة الضارية . لقد تمثل الرد السوفيتى فى ضغط مضاد ليس فقط علم الصعيد الأيديولوچى ، وانما باتخاذ اجراء « تأديبى » ضد الصين فقد عمد السوفيت فى صيف عام ١٩٦٠ الى سحب كافة الخبراء السوڤيت من الصين ، تلك الخطوة التى كان لها تأثير مدمر على الاقتصاد الصينى ، ولقد كانت ذريعة الروس فى ذلك أن الصينيين اعتبارا من ١٩٥٨ اصبحوا يتجاهلون نصائح المستشارين السوفيت ، وجعلوا حياتهم لا تطاق بالكيفية التى لم يعد أمام السوفيت من سبيل سوى استدعائهم الى موسكو وقالت موسكو أن هذا الاجراء لم يكن امرا مفاجئا ، وأنه اتى حصيلة سنتين من تصعيد هذه المعاملة السيئة .

وعلى الرغم من أن التهم التى وجهتها موسكو قد لا تخلو من حقيقة الا أن سحب الخبراء بهذه الكيفية المفاجئة لا يعدو أن يكون اجراء تأديبيا للرد على الضغط الايديولوچى الذى باشرته بكين صراحة وربما كان الظن لدى السوفيت أن الصين سوف تستكين لشروطهم ، لكن بكين اتخذت موقفا اتسم بالعناد والاصرار رغم أن سحب الخبراء اصاب الاقتصاد الصينى باضرار بالغة فى وقت كان فيه الاقتصاد الصينى يعانى من متاعب جمة نتيجة الاخفاق فى مشروع « القفزة الكبرى نحو الامام » (Great Leap Forward) التى بدأتها الصين فى عام ١٩٥٨ من ناحية ورداءة الطقس الذى تسبب فى محصول زراعى غير

مرات من ناحية أخرى . ونشير الى أن الحزب الشيوعى الصينى كان بمجرد أن تقلد امور الحكم فى الصين اندفع الى السعى نحو السيطرة على الاقليات الصينية فى بعض المناطق مثل اراضى القزق والأوجور ومنطقة ايلى وعلى المنغوليين فى منغوليا الداخلية . وكان الحزب الشيوعى بإقدامه على هذا العمل يكون قد عمل على انفصام المجموعات العرقية من نفس العنصر عبر الحدود عن بعضها البعض - الامر الذى جعل الاتحاد السوفيتى وجمهورية منغوليا الشعبية تتخذ اجراءات مشابهة . ولما زار خروشوف بكين لأول مرة عام ١٩٥٤ طرح الزعيم الصينى ماوتسى - تونج مسألة الوضع القانونى لمنغوليا الخارجية للبحث ، ورفض خروشوف رفضا قاطعا مجرد التطرق الى هذا الموضوع .

ولكن بعد حلول عام ١٩٦٠ كانت الاوضاع قد تبدلت وتدهورت العلاقات بين البلدين حتى أصبحت الاحتكاكات على الحدود شديدة الخطورة وتدهورت الاوضاع عام ١٩٦٢ حينما هاجرت اعداد ضخمة من القزق والأوجور أرض الصين ذاهبة الى الاتحاد السوفيتى . وظل الحال على هذا المنوال حتى حلول عام ١٩٦٣/ ١٩٦٤ حيث تحولت مسألة الحدود الى صراع حول الدعاوى المتبادلة بشأن السيطرة على الأراضى . ومن الغريب أن خروشوف قد ساهم فى هذا الشأن ، ذلك أنه فى ديسمبر ١٩٦٢ اراد الرد على الانتقادات الصينية اللاذعة اثناء ازمة الصواريخ الكوبية فعيرَّ الصينيين ونعى عليهم موقفهم المتخاذل فى مواجهة الادارة الاستعمارية لكل من جزيرة هونج كونج ومكاو رغم كونها أرضا صينية . فما كان من الصينيين الا أن اثاروا موضوع كافة « المعاهدات غير المتكافئة » التى ابرموها فى الماضى بما فى ذلك المعاهدة المبرمة بينهم وبين الروس ، وقالوا ان شروط هذه المعاهدات ينبغى أن تخضع للمراجعة من جديد . فرد السوفيت بالقول أنه ليس هناك موضوعات قائمة تخص الاراضى تخضع للمراجعة - الامر الذى حمل خروشوف فى نهاية عام ١٩٦٣ بان يبعث لكافة رؤساء الدول والحكومات يحثهم فيه على ابرام معاهدة دولية تستنكر استخدام القوة فى حل المشكلات المتعلقة بالاراضى أو بالحدود القائمة .

ولقد أوضحت الصين أن روسيا القيصرية كانت قد استولت على اراضى صينية تزيد مساحتها على نصف مليون كيلو متر مربع من خلال هذه المعاهدات غير المتكافئة - الامر الذى تنظر اليه الصين فى عهدها الحاضر على أنه لا مبرر له . وقد اشارت الصين الى انها قد لا تطالب بكافة الاراضى المتنازل عنها بمقتضى هذه المعاهدات ، الا أن الاتحاد السوفيتى قد احتل مساحات اضافية حتى « بخرقه لهذه المعاهدات نفسها » .

ولم يقتصر الصراع على هذا الحد من التدهور ، بل اسهمت ازمة الصواريخ الكوبية فى عام ١٩٦٢ كما اسلفنا فى زيادة هذا التدهور . وبعد انتهاء هذه الازمة اتهم الصينيون الروس بالمغامرة الجامحة ، والعمل على دفع الازمة ، ثم اتهموهم بالجبن والاستسلام أمام

التهديد الامريكي . على أن مثل هذه الاتهامات حدثت حينما كانت العلاقات السوفيتية - الامريكية فى اخطر مراحلها مما اثار حفيظة الروس وحنقهم على الصينيين . كذلك فان الروس وجهوا الانتقادات الى الصين بالمخاطرة الجامحة اثناء نشوب نزاع الحدود بينهم وبين الهند الذى نتج عنه حرب الحدود عام ١٩٦٢ - الامر الذى جعل الروس يقدمون الدعم الى الهنود بتزويدهم بشحنات الاسلحة رغم نشوب هذه الحرب الصينية - الهندية .

٣ - نقطة اللاعودة فى العلاقات

على أننا ينبغى أن نشير الى أن الصراع الصينى - السوفيتى تصاعد فى عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ حتى وصل حداً جديداً حرجا يمكن أن يقال عنه بشىء كثير من الدقة أنه بلغ نقطة اللاعودة . وكان السبب الاكبر والاساسى لذلك متمثلا فى النزاع بين بكين وموسكو حول التجارب النووية .

ولقد جاءت المبادرة فى هذا السبيل من الجانب الامريكى الذى قدم اقتراحا للحكومة السوفيتية ردت عليه بانها راغبة فى عقد اتفاقات من شأنها الحد من انتشار الاسلحة الذرية وقامت الحكومة السوفيتية بابلاغ ذلك الى الصينيين . فما كان من بكين الا أن سارعت الى ارسال سلسلة من المذكرات الى موسكو تحذرها فيها بان الصين سوف « لا تتسامح فى مثل هذه الخطوات الرامية الى الحد من مشروعاتها النووية . لذلك فان الاتحاد السوفيتى حينما اقدم - بالرغم من هذه التحذيرات - على توقيع معاهدة الحد من التجارب النووية (Limited TestBan Treaty) من جانب كل من الولايات المتحدة وبريطانيا فى يوليو ١٩٦٣ بادرت الصين بعنف بالغ بشجبها على اعتبار انها نوع من « الغش » وكانت الاتهامات لواشنطن وموسكو على حد سواء وقالت انهما تحاولان « تكريس احتكارهما النووى » .

على أنه أتت بعد ذلك فترة الهدوء فى التوتر بين البلدين فى خريف عام ١٩٦٣ حينما تم ازاحة خروشوف عن السلطة ، وفى نفس الوقت تقريبا - وان كان بمحض الصدفة - قيام الصين بتفجير قنبلتها النووية الاولى مما كان له انعكاسات على العالم بأسره . ثم ما لبثت حرب فيتنام ان اسهمت فى توتر العلاقات بين الطرفين من جديد . ففى عام ١٩٦٤ / ١٩٦٥ كشفت الولايات المتحدة من تواجدها فى فيتنام مما أصاب كلا من موسكو وبكين بالانزعاج الشديد .

لقد كان موقف السوفيت من حرب فيتنام ، هو دعوتهم للصينيين من أجل توحيد الجهود لمساعدة فيتنام الشمالية . لكن الصين أصرت على رفض أى تعاون مع السوفيت فى هذا السبيل . وبدلا من ذلك كانت تعمل على اعاقة الجهود السوفيتية لمساعدة فيتنام الشمالية فى الوقت الذى مضت هى فى مساعدة الفيتناميين الشماليين ضد العدوان الامريكى . ثم بعد

ذلك نجد الصين خلال عام ١٩٦٦ وقد انغمست الى اخمص قدميها فى صراعات سياسية داخلية سببتها الثورة الثقافية . ولقد انعكس أثر هذه الاضطرابات الداخلية على السياسة الخارجية الصينية ، حيث اتخذ قادة بكين موقفا ثوريا متصلبا ، واتجهوا نحو الداخل الى احكام نوع من العزلة المطلقة – الامر الذى جعل علاقات الصين مع غالبية الدول – بما فيهم الاتحاد السوفيتى – تصل الى ادنى مستوى لها خلال الفترة من ١٩٦٧ – ١٩٦٨ . وقد تجلى ذلك فى قيام الحرس الاحمر الصينى بمحاصرة السفارة السوفيتية فى بكين .

٤ - المواجهة بين البلدين

اشرنا فيما سبق الى ان احتلال السوفيت لتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ قد اصاب الصين بنوع من الانزعاج الشديد حيث كانت هذه الواقعة تشكل فى نظرهم سابقة خطيرة باحتمالات التدخل السوفيتى فى الصين . ثم بلغت مخاطر الصدام بين البلدين أوجها فى عام ١٩٦٩ حين حدثت مصادمات عسكرية خطيرة مرتين : واحدة فى ٢ مارس ، والاخرى فى ١٥ من نفس الشهر فى منطقة شنباو (Chenpao) وكان يمكن لهذه الاحداث ان تعمل على نشوب الحرب . غير أن الطرفين أدركا الوضع قبل أن يصل الى حافة الهاوية .

ومنذ عام ١٩٦٩ تجمد الوضع بين البلدين نتيجة السعى نحو حل الازمة بين الطرفين حول الحدود . وهدأت حدة الأزمة . ثم بحلول عام ١٩٧٤ بدأت حكومتا البلدين باصدار تلميحات يفهم من ثناياها أن العلاقات بينهما قد تطورت الى احسن . وفى شهر نوفمبر ١٩٧٤ فاجأت بكين العالم أجمع بان بعثت برسالة الى موسكو تقترح فيها ابرام ميثاق عدم اعتداء ، ولكن هذا العرض لم يسفر عن شىء .

ولقد حاول السوفيت من ناحيتهم على مدار عدة سنوات ان يصدروا عدة تصريحات توحى بانهم على استعداد للتصالح دون ان يغيروا من موقفهم الاساسى . وفى ابريل ١٩٧٦ نشرت صحيفة البرافدا مقالا هاما يوحى بالرغبة فى التصالح طالما أن الزعيم ماوتسى – تونج قد اختفى من على المسرح . وفى شهر اكتوبر نشرت نفس الصحيفة مقالا يتضمن تهديدا مقنعا للصين بأن ذكرت بانه ليس هناك من سبب موضوعى للعداء الصينى – السوفيتى ، اما التهديد فكان بالقول بانه ما لم يعثر الزعماء الصينيون الجدد على « لغة مشتركة » للتفاهم مع موسكو خلال الشهر القادم « فانه سوف لا يكون من الممكن منع صدور قرار لا رجعة فيه من جانب الزعماء السوفيت – الامر الذى اثار وزير الخارجية الامريكى هنرى كيسنجر ودفعة الى التصريح بقوله بان الولايات المتحدة تعتبر اى تهديد للصين من جانب اية دولة اخرى امرا خطيرا[1] .

---

(1) Barnett, A. D. op. cit. P. 51

٥ - أثر الفجوة الحضارية على العلاقات الصينية - السوفيتية

قد يحسن اختتام هذا الفصل بالاشارة الى نقطة هامة لعبت دورا كبيرا فى توسيع الشقة بين البلدين . وهى المخاوف التاريخية غائرة الجذور ، وكان من نتيجة هذا الصراع المتصل بين الصين والاتحاد السوفيتي ان صار الوعى يتزايد من كلا الجانبين حول الفجوة الحضارية أو الثقافية التى تفصل بينهما .

ولقد كان الظن لدى قادة كل من البلدين عقب انتصار الثورة الشيوعية الصينية فى عام ١٩٤٩ أنه من المأمول أن يحدث امتزاج حميم بين المجتمعين ، السوفيتى والصينى انطلاقا من أن القيم السياسية المشتركة فى ظل الماركسية – اللينينية سوف تتجاوز الفجوة الحضارية التاريخية بين الشعبين . ولم يكن غريبا . اذن أن يكون الشعار الذى رفعته بكين عام ١٩٥٢ هو أن « الاتحاد السوفيتى اليوم هو صين الغد » . ولكن يلاحظ من ناحية أخرى أن هذا الشعار كان من جانب واحد . فلم نسمع عن شعارات سوفيتية مقابلة تدعو الى أن ينهل السوفيت شيئا من القيم الصينية . لذلك فان هذه العلاقة لم تدم طويلا ، فبمجرد ان ظهرت صراعات المصالح ، غدا واضحا ان الفجوة الحضارية لم يكن بالمستطاع تجاوزها .

وفى الأونة الراهنة ، اصبح الصفوة من المثقفين فى الصين يشددون على القول بان بلادهم تتمتع بوضوح فريد ، وانه من المرغوب فيه الحفاظ على قيمتها المتميزة . فمنذ اتصالاتهم الأولى بالغرب خلال القرن التاسع عشر كما سبق أن رأينا كانت المشكلة الرئيسية بالنسبة للصين هى كيفية المحافظة على القيم الاساسية فى وجه المؤثرات « التخريبية » الوافدة من الخارج فى نفس الوقت الذى آمنوا فيه بضرورة استيراد المعرفة التكنولوجية والعلمية اللازمة لتقوية دعائم الصين وتحديث نظمها . وان اتى ذلك متأخراً اذا قورن بالنهضة اليابانية الحديثة فى عصر الميجى .

كذلك سرعان ما اصبح هناك ميل نحو النظر للاتحاد السوفيتى كدولة بيضاء غربية استعمارية تحمل قيما غريبة على الصين من ناحية وتحدث لها نوعا من الاضطرابات من ناحية اخرى . ومن المفيد هنا أن نذكر أنه حتى قبل عام ١٩٤٩ وعلى الرغم من الجوار من الناحية الجغرافية فلم تحتفظ الصين بوشائج حضارية مع الروس ، بقدر ما كانت تحتفظ بعلاقات ثقافية أو حضارية مع الدول البحرية الاستعمارية الأخرى . فلم يكن فى روسيا فى ذلك الحين الا عدد ضئيل من المعلمين والاطباء ورجال الارساليات الروس ، بل ان الروس كانوا ابعد حضاريا بالنسبة لغالبية الصفوة المتحضرة من الصينيين عن بقية الاجانب .

الباب الرابع

اليــابان المعاصــــرة

الباب الرابع

اليابان المعاصرة

سوف نحاول فى هذا الباب على فصلين أن نتناول تاريخ اليابان المعاصرة لعرض موضوعات ثلاثة رئيسية وهى : التغيير الذى حدث لليابان وقيامها باعادة البناء وترتيب أوضاعها الجديدة بعد الحرب متضمنا ذلك نشأة « قوة الدفاع الذاتى » التى حلت محل الجيش اليابانى ، وكذلك معاهدة الامن ، ثم نعرض فى الفصل الثانى لتلك المعجزة الصناعية والاقتصادية اليابانية وذلك فى حدود الفترة الزمنية التى إخترناها لمؤلفنا هذا مع التجاوز الزمنى بعض الشىء لتكامل عرض بعض المواضيع ، ثم نعرض فى الفصل الثالث للنظام التعليمى فى اليابان بإعتباره حجر الزاوية فيما أحرزته اليابان من تقدم تكنولوچى واقتصادى مبهر .

الفصل الأول

إعادة بناء اليابان

١ - بداية الصحوة

على الرغم من أن اليابان حصلت بعد الحرب كما رأينا على استقلالها ، واستردت سيادتها الوطنية فى ربيع عام ١٩٥٢ ، فان اليابانيين وجدوا أنفسهم أمام وضع لم يألفوه من قبل فى تاريخهم الطويل . فخلال كافة ما أصاب أرض اليابان من اضطربات داخلية فلم تطأ أيه جيوش أجنبية سواء كانت غازية أو مَتحالفة أرض اليابان . وحتى المحاولات العسكرية لمثل هذا الغزو كانت محاولتين من جانب الأسطول المغولى فى أواخر القرن الثالث عشر ولم يكتب لهما النجاح لاستبسال المحاربين اليابانيين من جانب ولكن الجانب الأكبر كان يرجع الى الإعصار المدمر الذى أطاح بالغزو المغولى وشتته ونجت أرض اليابان من أى غزو لأراضيها .

نقول أنه عقب استرداد اليابان لسيادتها بعد ربيع عام ١٩٥٢ ، فان اليابانيين وجدوا أنفسهم أمام عملية اعادة البناء ليلاً ونهاراً لمراكز المدن التى أصابها الدمار . وكان هناك الآلاف من اليابانيين بدون مأوى فى حالة من البؤس والجوع يرثى لها . وكان هناك فى عام ١٩٥٢ طوابير طويلة ممن أصابهم العجز من رجال الدولة والجنود فى الشوارع هائمين على

وجوههم . ووجد الشيوعيون فرصتهم لتحريض جموع الشعب فى لحظة بؤسهم للقيام بأعمال عنف ثورية . وأمكن لرئيس الوزراء اليابانى يوشيدا الحصول على موافقة « الدايت » على التصديق على معاهدة الصلح التى وقعها فى سان فرانسيسكو بعد شهرين من عودته من المؤتمر وسط جو شديد الكآبة . والواقع أن صورة اليابانيين كانت فى نظر العالم فى تلك الآونة كصورة المنبوذين . ولم يكن يشغل بالهم فى ذلك الظرف الحالك السواد سوى مجرد البقاء على قيد الحياة كأفراد وكأمة .

فلقد فقدت اليابان امبراطوريتها فى كوريا وتايوان ومنشوريا وسخالين ، حتى أنها فقدت كذلك بعض ترابها الوطنى مثل جزر الكوريل . ولم تجد اليابان أمامها من طريق سوى أن تعيش فى عالم يسوده السلام وتزدهر فيه التجارة الحرة . ولقد وجدت اليابان العالم الخارجى بعد برهة ، وقد إنقسم إلى معسكرين تسيطر عليه الحرب الباردة . ولم يكن أمامها من ناحية أخرى سوى طريقين لتأكيد بقائها : إما البحث عن أمنها من خلال انحيازها إلى الولايات المتحدة أو أن تلزم جانب الحياد دون أن تطلب حماية لنفسها من أحد . على أن الانحياز إلى الولايات المتحدة قد فُرض فى حقيقة الأمر على اليابان فرضاً حين وقعت معها الولايات المتحدة معاهدة صلح منفرد عام ١٩٥١ دون مشاركة من جانب الاتحاد السوفيتى أو الصين الشعبية ، ثم ابرمت اليابان معاهدة أخرى للأمن مع الولايات المتحدة تسمح بوجود قوات عسكرية أمريكية فى أرض اليابان المستقلة ، وتلزم اليابان من جهة أخرى بالدفاع عن اليابان .

ولقد كان قرار الولايات المتحدة باتخاذ هاتين الخطوتين أمراً ضروريا ، ذلك أن الاحتلال الامريكى لليابان كان قد استنفد أغراضه ، كما أن استمراره كان سيلحق الضرر بما تم انجازه فى ظل الاحتلال . وكان ابرام معاهدة للصلح مع اليابان يوقع عليها كافة الأطراف أمراً مستحيلاً ، إذ كان من العسير دعوة الصين للتوقيع على المعاهدة نظرا لوجود الاختلاف بين الولايات المتحدة وحلفائها حول من يمثل الصين . فقد اعترفت الولايات المتحدة بالصينيين « الوطنيين » فى حين اعترفت بريطانيا وبعض الحلفاء الآخرين بجمهورية الصين الشعبية فى بكين التى كانت الولايات المتحدة فى حرب معها فى كوريا(1) .

ولقد أحسن رئيس الوزراء اليابانى يوشيدا صنعا حينما تمكن من الحصول على موافقة الدايت (البرلمان) للتصديق على معاهدة سان فرانسيسكو بعد شهرين من عودته من المؤتمر . وكان ينظر اليه فى اليابان على أنه من أشد الموالين للأمريكيين . وكان يوشيدا هدفا

---

(1) Reichauer, E. The Japanese Today P.P. 352,453

للهجوم عليه من جانب اليسار واليمين اليابانى على حد سواء مطالبين إياه بالسعى إلى اعادة النظر فى المادة ٩ من دستور « السلام » اليابانى ، كما ساد البلاد نوع من الانقسامات حول معاهدة الامن مع الولايات المتحدة . وظهر فى الافق منذ صيف عام ١٩٥٠ قوة معارضة جديدة إلى جانب الحزب الاشتراكى المعارض ، والحزب الليبرالى الديموقراطى الحاكم تلك القوة السياسية هى رابطة السوهيو (Sohyo) ممثلة لاتحادات التجار . وصارت هذه الرابطة تسيطر على الحركة العمالية ، كما صارت توجه نقدها المرير إلى معاهدة السلام والى معاهدة الامن على حد سواء(١) .

ولكن روح الصحوة فى عهد يوشيدا واكبها تصميم على اللحاق مرة أخرى بالغرب ، وخاصة بالنسبة للنمو الاقتصادى . واستطاع يوشيدا بمهارة فائقة التركيز على تشجيع التعاون البناء والمتناغم بين البيروقراطية ورجال الصناعة . وواقع الأمر ، فقد توفرت طاقة فائقة وفرتها ضربة حظ عملت على استعادة اليابان لقدراتها الصناعية تمثلت فى الطلبيات الهائلة من جانب القوات العسكرية الأمريكية وقوات الأمم المتحددة التى كانت تحارب فى كوريا عام ١٩٥٠ ، والتى عملت على تنشيط الانتاج الصناعى اليابانى بطريقة مباشرة ، اذ انهالت الطلبيات على سيارات اللورى وسيارات النقل بأنواعها . وعلى الأقمشة بشتى صنوفها وغير ذلك من السلع الضرورية للمجهود الحربى دون مناقشة للسعر . وتلك فى حقيقة الأمر هى بداية ما سمى بعد ذلك بالمعجزة الاقتصادية اليابانية كما سنرى تفصيلاً فى الفصل الثانى .

والأمر المهم هو أنه بمجرد أن بدأ الاقتصاد اليابانى فى الصعود ، صار من المتيسر جذب الاستثمارات من الولايات المتحدة ، كذلك تم استخدام الاموال اليابانية ذاتها فى شراء المعرفة التكنولوچية المنتقاه بوعى شديد من الولايات المتحدة أيضا . ولقد تم إحراز نجاح بارز فى صناعة بناء السفن حيث تم ادخال تكنولوچيا للانتاج متفوقة على كل ما عداها فى العالم ، وعقد لليابان لواء الريادة فى تصميم أنواع غطية للسفن تطرح للبيع فى مجوعات ذات أنماط متشابهة وليس طبقا لمواصفات فردية يحددها المتعاقد . والعجيب أن هذه السفن وتصميماتها بنيت أساساً على مواصفات السفن التى كانت تستخدمها اليابان إبان الحرب ، وعلى نسق الانتاج الكبير (Mass production) التى كانت تستخدمه اليابان بالنسبة للطائرات المقاتلة .

---

(1) Jiffard. S. Op. cit P.P. 147, 148

وتجدر الاشارة فى هذا المقام إلى أن هذه الأساليب التى استخدمتها اليابانيون لبلوغ هذه السيطرة الصناعية الدقيقة من حيث النوعية والمخزون ، والتى أصبحت عناصر حيوية فى نمو الانتاجية اليابانية والتى لقيت إعجاباً واسعاً فى العالم كانت ترتكز فى جانب كبير منها على التوصيات التى قدمها الخبراء الأمريكيون . وهذه الأساليب سارت جنبا إلى جنب مع التمويل المرتكز على توافر رءوس الأموال بسعر فائدة منخفض من البنوك التى كانت تعتمد فى إقراض رجال الصناعة على النمو المستقبلى لهذه الصناعات وليس على العائد السريع وكانت هذه العوامل كلها وسيلة ناجحة لتحقيق المعجزة الاقتصادية التى بنيت هى الأخرى على النجاح الصناعى المبهر(١) .

والعجيب أن اليابانيين ، وقد تركت الحرب العالمية الثانية لديهم حساسية نووية نتيجة قصف كل من هيروشيما ونجازاكى بالقنبلة الذرية بما أطلق عليه الحساسية النووية (Nuclear Allergy) . ولم يقتصر ذلك على النواحى العسكرية ، وإنما إمتد ذلك إلى انتاج الطاقة النووية للأغراض السلمية . ففى خلال الستينيات تمكن اليابانيون بحرص شديد جداً من انتاج الكهرباء بأسلوب تجارى من الطاقة النووية وكان هذا التطوير ضروريا بالنسبة لأمة تفتقر بشدة إلى موارد الطاقة ، لذلك فإن بعض سفن الاسطول الامريكى المزودة بالطاقة النووية كانت هدفا للمعارضة الشديدة من جانب أحزاب المعارضة اليابانية حينما رست فى المياهاليابانية(٢) .

وواقع الأمر أن الانطلاقة اليابانية المعاصرة تضرب بجذورها إلى الظروف التى وفرتها فترة الاحتلال الأمريكى لليابان فهذه الفترة تشابه إلى حد كبير تلك الفترة التى سادت فيها قبضة شوجنية التكتوجاوا قبيل نهضة الميجى ١٨٦٨ . فلقد بدأ الاحتلال الامريكى لليابان فى سيتمبر ١٩٤٥ وانتهى فى ٢٨ ابريل عام ١٩٥٢ أى امتد نحو ستة سنوات ونصف . ورغم أنه كان احتلالاً من الناحية الرسمية من جانب الحلفاء إلا أنه لدواعى عملية كان يديره الامريكيون وعلى الخصوص الجنرال دوجلاس ماك آرثر ومعاونوه من طوكيو . ولقد وفرت عملية الاحتلال « نقلة » اصلاحية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً . فلقد تم فرض دستور جديد ، وقانون مدنى جديد تم من خلاله نقل السلطة إلى أيدى جمهور الناخبين وممثلى الشعب اليابانى . كذلك فإن النظام التعليمى قد تغير تغيراً جذريا . وطال هذا التغيير فى حياة

---

(1) Jiffard, S. Ibid. P. 150
(2) Reichauer, E. Op. cit. P. 354.

اليابانيين اصلاح الأرض ونظام ملكيتها . كما تم حل نظام « الكارتل » الذى كان سائداً قبل الاحتلال وتم تطهير ٢٠٠٠٠٠ مسئول كانوا يهيمنون على ادارة الحكومة اليابانية ومنشآتها التجارية والصناعية . وتم تشجيع اتحادات العمال على استعادة عنفواتها ، وصارت لها قوة مساومة لم تشهدها اليابان من قبل . وخلال هذه الفترة قدمت الولايات المتحدة لليابان ، ما يزيد قليلاً على ٢ مليار دولار من المعونات[١] . ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أنه حين انتهى احتلال الحلفاء لليابان عام ١٩٥٢ كان إجمالى الناتج القومى اليابانى يزيد قليلاً عن ١/٣ الناتج القومى الإجمالى لفرنسا أو بريطانيا وبحلول السبعينيات أصبح هذا الناتج القومى موازياً الناتج القومى الاجمالى لكل من بريطانيا وفرنسا مجتمعين ويزيد عن نصف اجمالى الناتج القومى الأمريكى[٢] .

٢ - قوات الدفاع الذاتى (Self Defense Forces)

حينما غاصت أقدام القوات الأمريكية التى بقيت متمركزة فى اليابان عام ١٩٥٠ ثم غادرتها إلى كوريا فى ذلك العام لتصد التقدم العسكرى لقوات كوريا الشمالية ، أصدر الجنرال ماك آرثر أوامره لليابانيين بانشاء قوة بوليس وطنى للاحلال محل هذه القوات الامريكية المغادرة وقد عملت الحكومة اليابانية على اعادة تنظيم هذه القوة الوليدة وتوسيع نطاق عملها فى نهاية فترة الاحتلال . وفى عام ١٩٥٤ تم توسيع نطاق اختصاصها بدرجة أكبر وتم تغيير اسمها إلى « قوات الدفاع الذاتى البرية والبحرية » ووضعتها الحكومة اليابانية تحت إشراف ما سمى بهيئة الدفاع (Defense Agency) .

ومما يجدر ذكره أن رئيس الوزراء اليابانى يوشيدا وخلفاءه قاوموا بإصرار شديد الضغوط الأمريكية الرامية إلى قيام اليابان بتسليح نفسها من جديد وبسرعة أكبر ، أو قيام قوات الدفاع الذاتى بدور إقليمى ، استناداً منهم إلى تحريم ذلك بمقتضى الدستور اليابانى فضلاً عن الموقف الشعبى الرافض لذلك . وكان العدد الاجمالى لهذه القوات قد تقرر عند ٢٥٠٠٠٠ شخص فى عام ١٩٥٤ ولم يزد إلا قليلاً جداً منذ ذلك التاريخ[٣] . ومنذ عملية الاحتلال ، فإن ميزانية هذه القوات كانت واحد بالمائة من إجمالى الناتج القومى اليابانى (ثم ارتفعت النسبة بعد ذلك لتصل إلى ١٫٠٠٤ بالمائة فى الآونة الراهنة . ويتضح الأمر من مقارنه هذه النسبة بما تخصصه بقية الدول الصناعية حيث تتراوح من ٣ - ٥ بالمائة ، فى حين كانت هذه النسبة ١٠ بالمائة لكل من الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية . وهذه النسبة

---

(1) Gibney, F. Op. cit. P.9.
(2) Kennedy, P. Op. cit P. 418
Reichauer, E. Op. cit P. 356..

المنخفضة تعتبر في حد ذاتها ادخاراً ضخما لليابان . وتعتبر القوة الجوية ضمن قوات الدفاع الذاتي والحدة من أقوى والكفأ القوات في آسيا ، لكنها من حيث العدد تصل فقط إلى نحو جزء من عشرين بالنسبة للصين ، وتقل عن النصف بالنسبة لتايوان أو الكوريتين .

غير أن أحزاب المعارضة في اليابان وعلى رأسها الحزب الاشتراكي كانت تتحدى بشدة مجرد وجود هذه القوات للدفاع الذاتي مخافة العودة إلى الروح العسكرية اليابانية التي كانت سائدة قبيل الحرب ، وتتمسك بالرأي بأن اقامة هذه القوات يعتبر مخالفة للدستور . ومما يذكر في هذا المقام أن ماك آرثر قائد قوات الاحتلال كان يدعو إلى أن تكون اليابان بمثابة « سويسرا آسيا » . بل أن جانبا من الرأي العام الياباني كان يرى هذا الرأي . وكان الاشتراكيون اليابانيون يرفعون دوماً شعار « الحياد منزوع السلاح » على الرغم من أن الشيوعيين اليابانيين أنفسهم كانوا أكثر واقعية باعتقادهم في ضرورة وجود قوة عسكرية (طالما كانت هذه القوات تحت سيطرتهم) .

ولقد ظل الرأي العام الياباني لعدة سنوات معادياً تماما تجاه قوات الدفاع الذاتي ، وظلت المشاعر المعادية للتسلح والداعية للسلم قوية إلى الدرجة التي منعت تحويل « هيئة الدفاع » إلى وزارة الدفاع » على أنه إعتبارا من عام ١٩٥٩ فإن قرارات المحكمة الدستورية العليا أجازت إعادة التفسير الذي قام به الدايت للدستور والذي يتضمن إجازة فكرة الدفاع الذاتي . وكذلك بدأ الرأي العام الانتخابي رغم رفضه بشده أي توسيع لدور هذه القوات أو أن يكون لها دور خارج البلاد — يساند الابقاء على هذه القوات ولكن بمستواها الراهن .

٣ - معاهدة الأمن (Security Treaty)

على الرغم من أن غلاة معارضة معاهدة الأمن قد نجحوا في تدبير حملات على نطاق واسع ضد هذه المعاهدة ، فإن هذا الموضوع أوجد صدعا في صفوف الحزب الاشتراكي الياباني . ففي اجتماع المؤتمر السنوي للحزب في سبتمبر ١٩٥٩ هوجم نيشيو سويهيرو — أحد أبرز قادة الحزب على أساس عدم واقعيته في تناول موضوع المعاهدة مما اضطره هو ومن ساندوه إلى ترك مراكزهم في الحزب . وقام سويهيرو بتكوين حزب جديد تحت مسمى « الحزب الاشتراكي الديموقراطي » في الشهر التالي .

ولكن على الرغم من هذه الحملة الضارية ، فإن معارضي المعاهدة لم يكن لهم حول ولا طول للتدخل في اعادة التفاوض لتعديل شروطها التي سارت على قدم وساق بين .

الحكومتين. على أن المعاهدة بعد تعديلات طفيفة فيها ظلت تتضمن عدة ملامح رئيسية من الاتفاقية الأصلية لم تعد مناسبة للأوضاع الراهنة خاصة البنود التى تسمح بالتدخل الامريكى لإخماد أية إضطرابات مدنية فى اليابان فى حالة طلب ذلك من جانب الحكومة اليابانية ، وكذلك مطالبة الحكومة اليابانية بضرورة الحصول على موافقة واشنطن قبل منح أية حقوق عسكرية إلى طرف ثالث . كما تتضمن المعاهدة التزام الطرفين بتسوية المنازعات طبقا لميثاق الامم المتحدة .

وواقع الأمر ، فإنه كانت هناك محاولات مستميتة لمنع رئيس الوزراء كيشى (Kishi) من مغادرة اليابان لتوقيع هذه المعاهدة بعد تعديلها . ولكن أمكن تلاشى هذه المحاولات ، وتم التوقيع فى البيت الأبيض فى واشنطن يوم ١٩ يناير ١٩٦٠ ، وحضره الرئيس الأمريكى ايزنهاور وقد أعلن فى اليوم التالى للتوقيع عن عزم الرئيس ايزنهاور على القيام بزيارة رسمية لليابان ليصل إلى طوكيو فى حوالى العشرين من شهر يونيو ، وأنه سوف يكون هناك رد للزيارة إلى الولايات المتحدة من جانب ولى العهد الأمير اكيهيتو خلال نفس العام[1] . ولقد أعلن رئيس الوزراء اليابانى كيشى فى ١٩ مايو ١٩٦٠ عن إصراره على التصديق على المعاهدة من مجلس النواب فى ذات اليوم أو فى صبيحة اليوم التالى على أكثر تقدير حتى تكون الموافقة على المعاهدة قد تمت قبل زيارة الرئيس الأمريكى فى شهر يونيو . وبالفعل تم له ما أراد ، وبذلك أخذ المعارضة على حين غرة . ولما فهم الاشتراكيون مقصده لجئوا إلى أساليب عنيفة فى قلب الدايت ، وخرجت المظاهرات الصاخبة فى الشوارع ، وتمت بصعوبة السيطرة على الجماهير الغاضبة . واضطر البوليس حينذاك إلى دخول قاعة الدايت – وكان ذلك للمرة الثانية فى تاريخه – وقد تم التصريح لخمسمائة ضابط يابانى بدخول القاعة لاخراج عدد كبير من أعضاء الحزب الاشتراكى بالقوة من تلك الجلسة التاريخية الممتدة والتى خطط لها كيشى من أجل التصديق على المعاهدة الذى تم بعد منتصف ليلة ١٩ مايو بوقت قصير .

وكانت هناك ضجة كبرى تناولتها الصحف فى صبيحة ٢٠ مايو تتهم الحزب الليبرالى الديموقراطى بعدم الديموقراطية لإقدامه على الانفراد بالتصرف فى هذا الموضوع الهام . وانتشرت المظاهرات ضد الحكومة وساندتها الصحافة . لذلك فإنه لما قدم السكرتير الصحفى للرئيس ايزنهاور إلى اليابان كان الأمر يقتضى إنقاذه بطائرة هيليوكوبتر من غضبة الجماهير بالقرب من مطار هانيدا وسادت الاضطرابات حول مبنى الدايت ، وانتهت الحكومة اليابانية

---

(1) Giffard, S. Op. cit P. 160

إلى أن سلامة الرئيس الامريكي لا يمكن ضمانها ومن ثم تقرر تأجيل زيارته لليابان الى أجل غير مسمى[١] .

ثم كان اقتراب تاريخ ١٩ يونيو ١٩٧٠ حين تكمل معاهدة الأمن عقدها الأول ويصبح الأمر ، إما تعديلها مرة أخرى أو انهاؤها . ونظرت مجموعات المعارضة لعام ١٩٧٠ على أنه العام الذى ينهى إنحياز اليابان نحو الولايات المتحدة . بيد أن ما كان متوقعا حدوثه من جانب المعارضة لم يحدث بالفعل ، فلم تقدم أى من الحكومتين أية اقتراحات لتغيير المعاهدة أو تعديلها ، اذ لم يكن الدايت اليابانى بحاجة للتصديق على معاهدة جديدة تفتح ثغرة للمعارضة تنفذ منها ، كذلك الحال بالنسبة للأمريكيين . وعلى المستوى اليابانى فإن فكرة الحياد فى مواجهة فكرة الانحياز تكون بمرور الوقت قد فقدت بريقها حتى لدى المعارضة ، وأصبحت العلاقة الامريكية – اليابانية أمراً مسلماً به ، حتى أنه فى انتخابات عام ١٩٧٥ ، فإن الاشتراكيين الديموقراطيين أيدوا معاهدة الأمن صراحة فى ظل الأوضاع القائمة . وبالتدريج قبلت غالبة أحزاب المعارضة وتعايشت مع المعاهدة ضمناً على الأقل . وفى انتخابات ١٩٧٦ لم يوجد بين الأحزاب – ولأول مرة – من يتخذ من هذه المعاهدة – انهاءها أم تعديلها – هدفا لحملة انتخابية[٢] .

ومن الغريب أن الصراع المتزايد الذى أصاب العلاقات الصينية – السوفيتية فى أوائل الستينيات عمل على تودد كل من الطرفين إلى اليابانيين والامريكيين لكسب مساندة كل منها فى صراعة مع الجانب الآخر . وفى السبعينيات إبتدع السوفيت ما أسماه اليابانيون بالدبلوماسية المبتسمة (Smiling Diplomacy) ، وذلك أن كلاً من الاتحاد السوفيتى والصين أصبحتا تخشيان من أن وجود اليابان غير المنضمة لمعاهدة الأمن مع الامريكيين سوف يجعلها تتجه نحو فلك الطرف الآخر من ناحية أو أن تتجه إلى تعزيز قدراتها العسكرية الذاتية إلى أبعاد عظمى – الأمر الذى سحب البساط من تحت أقدام اليساريين الذين دأبوا على توجيه نقدهم للمعاهدة خصوصها حينما رأوا الصينيين يكيلون المديح للمعاهدة .

وواقع الأمر فإن إنتهاء حرب ڤيتنام بعد أن بدأت الولايات المتحدة فى إيقاف زيادة قواتها المشتركة فيها عام ١٩٦٨ ، ثم بدء الانسحاب التدريجى الامريكى من هذه الحرب والذى تم إستكماله عام ١٩٧٢ ساهم فى تخفيف الهواجس التى ساورت اليابانيين أن تجرهم الولايات المتحدة إلى مغامرات عسكرية لارتباطهم معها بهذه المعاهدة وبالتالى ساعد على استمرار المعاهدة .

---

(1) Giffard, S. Ibid. PP. 161, 162.
(2) Reichauer. E. Op. cit P. 361.

الفصل الثانى

المعجزة الاقتصادية اليابانية

١ - عوامل تحقيق « المعجزة »

على الرغم من أن النضال حول تعديل معاهدة الأمن كان السبب الرئيسى لسقوط رئيس الوزراء كيشى ، فقد كان هناك عامل اقتصادى آخر أسهم فى ذلك السقوط ، تمثل فى الصراع الذى ظهرت بوادره فى صيف عام ١٩٥٩ ولم يكن قد بلغ ذروته بعد وكان منشؤه فى حقيقة الأمر قرار شركة ميتسوى للتعدين الاستغناء عن عدد كبير من عمال المناجم التابعة لها والعاملين فى جزيرة كيوشو . ولقد تصادف أن كانت صناعة التعدين فى اليابان تواجه بعض الصعوبات ، وكان البترول قد صار بالفعل يمثل المصدر الرئيسى للطاقة لصناعات المستقبل . على أن مصادر الفحم من الخارج لتوليد الطاقة الكهربية ولصناعات الحديد والصلب خصوصا من استراليا أصبح جذابا لليابانيين بصورة متزايدة . فى الوقت الذى أصبحت نوعية الفحم المستخرج فى اليابان لا تتناسب مع متطلبات التصنيع الحديث . وكان الاستغناء بهذه الصورة عن العمال اليابانيين قد لقى معارضة شديدة من جانب السوهيو (Sohyo) التى كانت بمثابة أكبر الاتحادات القومية للنقابات التجارية والتى كان يساندها الجناح اليسارى من الحزب الاشتراكى اليابانى مما أسفر عن استقالة كيشى .

وخلف إيكيدا هاياتو (Ikeda Hayato) كيشى فى شهر يوليو رئيساً للوزراء . وكانت فترة ايكيدا حافلة بالاحداث والتطورات . وكانت أولوية إيكيدا الأولى تتضمن إعادة أواصر التعاون مع الولايات المتحدة سيرتها الأولى كما كان يولى بناء الثقة مع الصين أهمية كبيرة لولا أن بكين كانت تمر بفترة حرجة تتمثل فى « القفزة الكبرى إلى الأمام » . وكانت سياسة ايكيدا تتسم بقدر أكبر من التسامح سواء فى الداخل أم على الصعيد الخارجى وكان تعبير الموقف المتواضع (Low Posture) الذى إتسمت به السياسة الخارجية اليابانية فى عهده قد صارت أمراً معروفا وكان ذلك فى حقيقة الامر من صنع إيكيدا نفسه . لذلك فإن تركيزه الاكبر كان نحو النمو الصناعى لليابان ومد نطاق القدرة الصناعية اليابانية إلى آفاق أرحب ومحاولة رفع مستوى المعيشة للفرد اليابانى وقد ارتبط اسم ايكيدا بخطة مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات الأمر الذى رفع معنويات الشعب اليابانى لسنوات حتى بعد انتهاء فترة رئاستة للوزارة .

وتجدر الاشارة إلى أنه خلال الخمس سنوات الأولى من الستينيات تمكنت اليابان من تحقيق نسبة نمو ثابتة ١٠٪ ، كما أن قيمة الصادرات ارتفعت هى الأخرى بنسبة سنوية تتجاوز ١٥ ٪ فى المتوسط . لقد كان التقدم فى عملية الإعمار يتم بعجلة متزايدة . وكان هذا النجاح لا يزال يرتكز أساساً على عملية اعادة التنظيم وتجهيزات الصناعات الثقيلة فى هذه المرحلة .

على أن هناك عدداً من العناصر المؤثرة أسهمت فى هذا التقدم الصناعى الكبير والذى كان فى حقيقته أقرب إلى كونه بعثة أحكم تنظيمها من أن تكون فى شكل معجزة هبطت من السماء . وأقرب إلى أداء فريق رياضى أُحسن تدريبه على أداء مهامه فى مباراة من أن يكون ضربا من السحر المبهر[١] . ولقد كان إيكيدا نفسه مصمم هذا الأداء يدرك بوضوح عملية التفاعل بين هذه العناصر . فقد كان لفترة من حياته مشاركا لعدة سنوات فى عمليات التخطيط ، شديد الفهم لأوليات الخطة وأهدافها . إن التوصيات الثاقبة الصادرة من خلال التعاون الوثيق بين وزارة التجارة الدولية والصناعة وهيئة التخطيط القومى اليابانية مع المجموعات الصناعية المتحفزة كان يتم دعمها من جانب وزارة المالية ، وكان ايكيدا على علم تام بأسلوب هذا التعاون الوثيق بين هذه الاجهزة .

ويلاحظ أن فترة النمو الصناعى الأسرع والتى إمتدت على مدى عشرين عاماً متواصلة إبتداء من نهاية الحرب الكورية حتى أزمة البترول عام ١٩٧٣ كانت المؤسسات الصناعية اليابانية تعمل من خلال نسبة فريدة فى نوعها تشكل فيها نسبة الاستدانة إلى قيمة الاسهم ٨٠ : ٢٠ بينما كانت هذه النسبة عند نظراء اليابان من الدول الصناعية على العكس تقريبا فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا على سبيل المثال . وما لبث الأمر أن أصبح فى مقدور اليابانيين زيادة نصيبهم فى الأسواق العالمية على المدى الطويل دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة عبء الفوائد المرتفعة لرءوس الأموال من ناحية وضغوط أصحاب الاسهم للحصول على أرباحهم فى فترة قصيرة من ناحية أخرى . ولقد دعمت هذا المد المتصاعد تجمعات شركات (الزايباتسو) القديمة التى تحولت إلى مجموعات جديدة عملاقة أسميت مجموعات الكيرتسو (Keirtsu) لكل مجموعة منها بنكها الخاص بها فى صلب نشاطها فى ظل مجموعة من المستثمرين يهمها فى المقام الأول ضمان استثماراتها بأكثر ما يهمها تحقيق معدلات عالية من الربح . وقد ساعد على تحقيق كل هذا نسبة غير معتادة من الادخارات الشخصية من الدخل المتاح خلال هذه الفترة المتواصلة من النمو الصناعى السريع[٢] .

---

(1) Jıffard. S. ibid. P. 163
(2) Jiffard, S. Japan Among The Powers P. 164

فماذا كانت نتيجة هذا الجهد المنسق بشكل غير عادى ولمدة طويلة متصلة . كانت النتيجة أنه منذ عام ١٩٥٦ صار لليابان زمام القيادة أمام دول العالم فى بناء السفن وصار مستوى الانتاجية فى أحواض بناء السفن الجديدة - فى جزيرة كيوشو وفى الجزيرة الأكبر فى هونشو تضارع إن لم تتفوق على أحواض « أرندال يارد فى السويد . وما أحرزته اليابان فى مجال بناء السفن امتد أثره على صناعة الحديد والصلب وكانت الحاجة إلى وسائل نقل عملاق لجلب الحديد الخام والفحم من استراليا وغيرها لهذه الصناعات المتعاظمة مما أضاف الى قدرة اليابان التنافسية فى كلا المجالين ، بل إمتد هذا الأثر بدوره إلى الصناعات الهندسية والكيماوية . والنجاح يأتى فى يده النجاح من نوع جديد كما يقولون . ثم امتد أثر هذه الانتصارات التكنولوچية إلى صناعة الآلات واليكترونيات والسيارات والطائرات وأخذت هذه الصناعات تنقل بسهولة ويسر أساليب النجاح التى حققتها صناعات أخرى مثل الكاميرات والآلات البصرية بأنواعها وصار الكل يتجه نحو الأسواق الخارجية .

والملاحظ أنه ما أن حلت الستينيات حتى أصبح البترول مساويا فى أهميته للفحم كمصدر من مصادر الطاقة لليابان ، ثم أتت مصادرها من الذرة ولكن ليس إلى الحد الذى يتبوأ القيادة فى هذا المجال . فبالنسبة للمستقبل المنظور فإن من المحتمل أن يتزايد اعتماد اليابان على البترول حيث أن نسبة ٨٠ ٪ من امدادات البترول تأتى لليابان من منطقة الشرق الأوسط كما تأتى نسبة أصغر كثيرا من المصادر القريبة من اليابان مثل اندونسيا . ويعتبر البترول أهم العناصر التى تحقق استمرار الازدهار كما هو أهم عناصر تعريض اليابان للخطر شأنه فى ذلك شأن معاهدة الأمن مع الولايات المتحدة .

ولقد صار التجديد التكنولوچى أمراً يشغل بال القائمين على الصناعات اليابانية ، فكثير من براءات الاختراع والأساليب التكنولوچية الأحدث كانت اليابان تستجلبها من الخارج بصفة مستمرة فى تلك الآونة مع سعى متصل لصنع منتجات يابانية بتصميمات جديدة . ومن جهة أخرى فإن نسبة النمو الاقتصادية العالية التى تحققت على يد إيكيدا هاياتو استمرت أيضا بنفس الدفع فى عصر رئيس الوزراء ساتو ، ففى خلال النصف الثانى من الستينيات تجاوز الناتج الاجمالى القومى لليابان نظيره فى كل من الدول الصناعية الكبرى فى غرب أوروبا لتتبوأ اليابان ثالث أكبر مركز فى العالم ، وظلت صادرات اليابان إلى الدول الصناعية الأخرى تتكون من الصلب ، والسفن ، والمركبات ، والآلات والمعدات . وبدأت الاليكترونيات تتفوق على أقرانها على مستوى العالم فى حين بدأت أجهزة الراديو الترانزستور تسيطر على أسواق المستهلكين فى العالم . ولقد زادت التحسينات وعمليات التطوير التى أدخلت على مستوى

الانتاجية من قيمة السلع بقدر أكبر من زيادة الأجور مما وفر للسلع اليابانية قدرة تنافسية مانعة وفى نفس هذا الوقت صارت الاستثمارات الخارجية اليابانية المباشرة ترتفع بشكل حاد ومضطرد .

على أن السرعة الهائلة لتقدم التجارة الخارجية اليابانية والتغير السريع فى تكوين الصادرات ، وما صاحب ذلك من إختلال فى الموازين التجارية الثنائية لصالح اليابان أثار موجة عارمة من النقد فى كل من الولايات المتحدة وأوروبا ، والمطالبة بقيام اليابان بتحرير وارداتها من القيود التى تفرضها على السلع الواردة لأسواقها المحلية . ولقد كان هذا الخلل المتزايد فى الميزان التجارى هو الذى أزعج شركاء اليابان التجاريين من الدول الصناعية . وكان من نتيجته حدوث ما أطلق عليه « صدمة نيكسون » الثانية لعام ١٩٧١ حين أقدمت الولايات المتحدة على تخفيض قيمة الدولار فى مواجهة الين فى منتصف أغسطس من ذلك العام كما جرى تحريره من قاعدة الذهب وفرضت الولايات المتحدة رسوما على الواردات اليها من بعض السلع اليابانية . ولقد تسبب ذلك أيضا فى حدوث اضطرابات فى أسواق المال العالمية وفى التجارة العالمية وكذلك زيادة فى معدل التضخم داخل اليابان .

ولقد انعكس أثر هذه التطورات على حكومة ساتو وكان أكثر خطراً عليها بأكثر من خطورة الصدمة الثانية من صدمتى نيكسون (Nixon shocks) لعام ١٩٧١ ، حينما تم الاعلان فى يوليو ١٩٧١ عن عزم الرئيس الامريكى زيارة الصين الشعبية دون أى إخطار مسبق للحكومة اليابانية[1] . مما أصاب اليابان بخدش فى كرامتها .

وهكذا تبوأت اليابان مركزها العالمى فى وسط العالم الأول من الديموقراطيات الصناعية، واحتلت المكان الثانى بعد الولايات المتحدة ، لذلك حينما إلتقى قادة الدول الصناعية الديموقراطية الأساسية فى رامبوى (Rambouillet) فى فرنسا فى نوفمبر ١٩٧٥ فى أول مؤتمر قمة سنوى لهم كان رئيس الوزراء اليابانى ضمن قادة كل من الولايات المتحدة ، وألمانيا الغربية ، وفرنسا ، وبريطانيا و ايطاليا ولم تنضم كندا حينذاك نظرا لصغر حجم اقتصادها النسبى إلى هذه المجموعة الصناعية الكبرى إلا فيما بعد[٢] .

وفى ختام هذا الفصل نود الاشارة إلى مفارقة ذات دلالة معبرة . ففى عام ١٩٥٠ كان كل يابانى فى الأغلب إما يسير على قدميه أو يركب دراجة فلم يكن هناك سوى ٥ر١ مليون

---

(1) Jiffard, S. Ibid. , P. 171.
(2) Reichauer, E. op. cit. P. 366

سيارة ركوب ونقل فى طول اليابان وعرضها والآن هناك ٦٠ مليون سيارة وفى عام ١٩٨٣ فقط كان هناك ٥ ملايين سيارة جديدة تم تسجيلها . وتمكنت اليابان من ناحية أخرى من غزو السوق الامريكية بمنتجاتها المختلفة . ففى عام ١٩٧٦ صدّرت اليابان ما قيمته ١٥ مليار دولار إلى الولايات المتحدة ولم يحل عام ١٩٨٤ حتى قفز هذا الرقم إلى ٦٠ مليار دولار محققة عجزا فى الميزان التجارى الأمريكى لصالحها قدره ٣٤ مليار دولار[١] . كما لا ينبغى لنا أن نهمل أيضا نوعية القوة العاملة اليابانية التى أسهمت فى اقامة هذا الصرح والتى نشأت منذ التعليم الثانوى على أساس المنافسة الشديدة بين الطلاب للالتحاق بأفضل المدارس ثم تتلقفهم الشركات لتكمل ما يظهر لديهم من نقص . فالطلبة اليابانيون الذين يبلغون من العمر ١٥ عاما حين تعقد لهم إمتحانات عالمية يكونون المتفوقين فى الرياضيات على نظرائهم فى العالم الغربى الصناعى . وفى حين لا تتلقى اليابان جوائز نوبل - بما يوازى ثقلها الصناعى والتكنولوجى - إلا أنها تفرز عدداً أكثر من المهندسين يفوق ما يفرزه العالم الغربى حتى صار لدى اليابان ٧٠٠ر٠٠٠ مهندس فى شتى مجالات البحث والتطوير أى أكثر مما لدى بريطانيا وفرنسا وألمانيا (الغربية) مجتمعين[٢] .

٢- اقتصاديات « المنتج » والعزم اليابانى

يرى بعض الباحثين أن جانبا هاماً من سر هذه المعجزة اليابانية فى المجالات الصناعية والتكنولوجية ثم الاقتصادية يكمن فى أن اليابان على الرغم من أن أخذها بالأسلوب الرأسمالى الغربى فى بناء نهضتها الحديثة الا أنها ارتكزت فى بناء هذه النهضة على ما يمكن تسميته « باقتصاديات المنتج » . (Producer Economics) بأكثر من تركيزها على اقتصاديات المستهلك . بمعنى أننا نجد الأمريكين قد درجوا على التركيز فى نشاطهم الاقتصادى على مبدأ « الزيادة القصوى للربح (Profit Maxmizing) الذى ينبع أساسا من ترشيد المنفعه لدى الفرد حيث يصبح تحقيق مزيد من الاستهلاك وقدر أكبر من التمتع بأوقات الفراغ هى العناصر الاقتصادية الوحيدة لتحقيق الاشباع لدى الفرد .

ورغم أنه لا غضاضة فى ذلك ، إلا أن هناك عنصراً هاماً ، وهو أن الفرد فى الوقت الذى يمكن اعتباره مستهلكا ، فيمكن أن تتملكه الرغبة الجارفة على البناء . بمعنى أن تكون له تطلعات فى أن يكون طرفاً ضمن بنيان اجتماعى مرموق يفخر بإقامته . ففى حين يمكن النظر إلى الفرد على أنه مستهلك ، فهو أيضا كائن حى يستخدم الآلة . فهو فى هذا

(1) Gibney, E. Op. cit P.4.
(2) Kennedy. P. the Rise and fall of the Great Powers. P. 465.

المضمار يتطلع إلى أن يقدره الآخرون وأن يحوز أسباب القوة والفخار بما يحققه من مكاسب وما يحرزه من تفوق ، ويتحقق له من هذا الراحة النفسية والمتعة بقدر ما تتحقق له المتعة من الاستهلاك . وهذا الشق الثانى هو ما ركز عليه اليابانيون باهتمامهم الأول باقتصاديات المنتج (Producer) بأكثر من تركيزهم على اقتصاديات المستهلك (Consumer).

ولقد كان هذا الوعى من اليابانيين وحبهم للبناء تأكيداً لذاتهم - كدولة أسيوية كسرت فى مرحلة مبكرة حاجز التخلف - هو الذى جعلهم من أشد الناس تضحية لإستهلاك اليوم فى سبيل المستقبل . ففى خلال الخمس سنوات الأخيرة من الثمانينيات ، صتر بمقدور اليابانيين أن يستثمروا ٣٥ر٦ من إجمالى ناتجهم القومى فى حين استثمرت الولايات المتحدة ١٧٪ فقط من هذا الناتج . ويمكن أن تتضح الرؤية أكبر لو تأملنا عدد أجهزة الروبوت الصناعى التى تعمل فى اليابان . فاليابانيون يعلنون أن لديهم من هذا الروبوت ٢٧٥ر٠٠٠ فى حين يقول الأمريكيون أن هذا العدد لا يتجاوز ١٧٥ر٠٠٠ روبوت . ولكن على أية حال فسواء كان هذا الرقم أم ذاك فإنه يفوق ما لدى الأمريكيين منه وهو ٣٧ر٠٠٠ روبوت .

ولكن هذا الإتجاه لم يأت عفواً فله جذوره التاريخية ، فقد كان هناك تخطيط يابانى مسبق كتمويل المشروعات رأساً من الإستهلاك للإستثمار لكى تتمكن اليابان من إستعادة قواها بعد الحرب العالمية الثانية . ولقد تم تكييف النظام الضريبى والمالى اليابانى على أساس عدم النظر إلى الربح السريع منذ أواخر الخمسينيات كانت الشركات تستدين بنسبة ٩٠٪ من رأسمالها . ومن الأمور التى تسترعى النظر أن الفرد اليابانى العادى كان يعلم تماما ما يدور حوله فى بلده لإرتفاع نسبة التعليم من ناحية وشدة التجانس بين عناصر الأمة بشكل غير عادى من ناحية أخرى .

وقبول اليابانيين التضحية بالحاضر فى سبيل المستقبل وقبول عائد أقل مرحلياً يتجسد فى أسلوب شركة هوندا فى هذا المقام . فخلال فترة الخمسة عشر عاماً من ١٩٦٥ - ١٩٨٠حينما دخلت هذه الشركة صناعة السيارات ، فإن عائدها من الربح انخفض من ٩٪ الذى كانت تحققه أيام أن كانت هوندا تصنع الدراجات البخارية إلى ٣٪ فقط حينما دخلت صناعة السيارات ، لذلك فإن جانباً كبيراً من النجاح اليابانى فى ملاشاة أثر إرتفاع أسعار الين يرجع إلى قبول اليابانيين أربحية أدنى دونما مضض . فشركات ماتسوشيتا ، وهتياشى أيضا على سبيل المثال أبدت رغبتها فى إنقاض أربحيتها للنصف فى سبيل البقاء فى مضمار المنافسة الدولية[1]

---

(1) Thurow L. Head to Head The coming Economic Battle Among Japan , Europe, And America P. 130

الفصل الثالث

النظام التعليمى فى اليابان

١ - الخواص الاساسية فى التعليم اليابانى

لقد أصبح البحث عن كنه هذه المعجزة الصناعية اليابانية فى رخص الأيدى العاملة اليابانية أمراً عفا عليه الزمن ، بدليل أنه فى عام ١٩٧٨ حين أقدمت الولايات المتحدة على تخفيض قيمة الدولار فى مواجهة الين اليابانى وأصبحت الأجور فى اليابان بالتالى أعلى - ولو بنسبة بسيطة - عنها فى الولايات المتحدة لم يؤثر ذلك شروى نقير على الانتاجية الصناعية اليابانية وإذن فهى حداثة الامكانات الفنية التى توصلت إليها اليابان وزيادة إنتاجية العامل اليابانى هى التى يمكن أن تفسر لنا هذا التفوق الصناعى المضطرد .

ولقد إنتهت الدراسات الحديثة الخاصة بكفاءة الانتاج الصناعى إلى أن التكنولوچيا الأكثر تطوراً التى تستخدمها اليابان قد تجاوزت نظيرتها فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٧٣ وأصبح فى مقدور العامل اليابانى فى عام ١٩٧٥ مثلا أن ينتج فى مجال صناعة السيارات ما قيمته ألف جنيه استرلينى فى كل ٩ أيام بينما كان إنتاج العامل الانجليزى فى صناعة السيارات فى « شركة ليلاند » بهذا القدر يستغرق ٤٧ يوما . وفى عام ١٩٦٢ أنتجت اليابان نحو مائة طن من الصلب بالنسبة لكل عامل مقارنا بنحو ٤٠٠ طن للعامل الانجليزى ، ولكن بحلول عام ١٩٧٤ صارت إنتاجية اليابان فى صناعة الصلب هذه ضعف أو ثلاثة أضعاف انجلترا (١) .

لكن السؤال الذى يطرح نفسه بإلحاح ، من أين أتى اليابانيون بهذا القدر من التكنولوچيا ؟ إن التكنولوچيا فى أبسط معانيها هى تطبيق المقدرة العلمية فى مجال الانتاج فما هو ذلك النظام التعليمى الذى بوأ اليابان هذه المكانة الفريدة فى الانتاجية الصناعية ؟

إن اليابان كما رأينا فى عصر الميچى حين طرحت شعارها المعروف بتقليد الغرب ثم سبقه ، ونقلت منه أحدث نظرياته العلمية بدأت فى تأصيل نفسها فى العلوم والتكنولوچيا فكثفت جهودها فى برامج البحث والتطوير لتخريج جيش كبير من العلماء فى إطار ما سمى « بالتفوق السلمى » واستند اليابانيون على نظام تعليمى غاية فى الدقة يسنده حب أصيل

---

(1) Vogel. E, Japan As No I PP. 11,12.

لنقل العلم والمعرفة كامنٌ فى الشخصية اليابانية . وإلى جانب تخريج العلماء والباحثين من المهندسين ركزت اليابان فى المقام الأول على مرحلة التعليم الأساسى باعتباره المستودع الأول لإمداد الدولة بكوادرها الفنية والأكاديمية .

وحقيقة الأمر ، فإن إندفاع اليابانيين لتوسيع نطاق التعليم وتجويده كان بنفس اندفاعهم لزيادة ناتجهم القومى . وفى عام ١٩٥٥ كان نصف الشبان اليابانيين يدخلون بالكاد فى مرحلة التعليم الثانوى ونسبة أقل من ١٠ ٪ يدخلون المؤسسات التعليمية فيما بعد المرحلة الثانوية ، وعند حلول السبعينيات صار أكثر من ٩٠ ٪ من كلا الجنسين (الذكور والاناث) يتمون مرحلة تعليمهم الثانوى مقارناً ذلك بنسبة ٨٠ ٪ للشبان الأمريكيين . وكقاعدة عامة فإن كافة الشبان اليابانيين الذين يدخلون أية مدرسة يتمون تعليمهم فيها دون أى تسرب . وفى عام ١٩٧٥ على سبيل المثال كان ٩٧ ٪ من الطلبة اليابانيين الذين التحقوا بالتعليم الثانوى قد أتموا دراستهم فيه بالمقارنة بنسبة ٧٩ ٪ فى أمريكا . وهذه نسبة مرتفعة جداً على المستوى العالمى . وبالنسبة لمرحلة ما بعد التعليم الثانوى فإن نفس العدد من الذكور والاناث يلتحقون بالتعليم العالى ولكن الأغلب الأعم أن يستكمل الاناث سنتين آخريين فقط فى المعاهد الجامعية ولكن يكمل الذكور تعليمهم فى كليات لأربع سنوات[1] .

على أن الطلبة اليابانيين لا يكتفون بمجرد الحضور فى فصول المدرسة لساعات أطول فى اليوم ولأيام أكثر فى السنة عما عليه الحال فى المدارس الامريكية مثلا ، ولكن ما يزيد على نصف الشبان اليابانيين يلتحقون لبعض الوقت فى مدارس تكميلية خاصة تسمى (الجوكو) (Juku) بالتوازى مع حضورهم سنوات الدراسة فى المرحلتين الابتدائية والثانوية لمزيد من التدريب . وهذه المدارس التكميلية لها أشكال وأحجام متعددة والهدف منها تحسين الفرص أمام الطلب للدخول فى مسابقات تعقدها المدارس ذات الشهرة فى مستوى تعليمها والتى يتوق الطلاب الى الانخراط للدراسة فيها . وغالبية الطلاب لديهم فكرة كاملة عن أى المؤسسات التعليمية يمكن أن يهيئوا أنفسهم لدخول المسابقات اللازمة للإلتحاق بها إذا ما أعدوا أنفسهم بدقة على مدى عام أو عامين . وأصبح نظام المسابقات هذا سمة معروفة فى نظام التعليم اليابانى . وحين ينقضى موعد امتحانات الدخول هذه فإن حوالى ١٨ ٪ من الذكور ونسبة أقل بالنسبة للإناث ممن لا يحالفهم الحظ فى اجتياز هذه الامتحانات للمؤسسات التعليمية التى يتوقون للالتحاق بها فانهم قد يظلون باصرار لسنة أو أكثر دون

---

(1) Vogel, E. Ibid. P. 161.

انخراط فى أية مؤسسة تعليمية للتحضير لمحاولة أخرى لامتحان مسابقة الدخول هذه[1] .

ومن العجيب أن امتحانات المسابقات تهدف إلى قياس مدى المعلومات المكتسبة تأسيساً على فرضية تلقى قبولاً عاما فى اليابان ، وهى أن النجاح لا يعتمد على الامكانات الفطرية للطالب وعلى مدى استعداده العام ولكن يعتمد بالأحرى على مدى استخدامه لإمكاناته الفطرية فى الدراسة المنتظمة . فمن المسلم به أن تأثيرات البيئة يمكن أن تؤثر على الامكانات الفردية لاستيعاب المعلومة ، ولكن بالنسبة لوجهة النظر اليابانية فليس هناك سوى طريق واحد لتحقيق الفوز هو الاستذكار[2] .

بيد أن تفوق الطالب اليابانى فى المرحلتين : الأساسية والثانوية يأتى من واقع أن هذا الطالب يحضر فى المدرسة ما يزيد عن الطالب الامريكى بمقدار الثلث فهو يحضر بالمدرسة ٢٤٠ يوما فى السنة فى حين يحضر الأمريكى ١٨٠ يوما . فهذا الطالب اليابانى الذى يقضى وقته فى محاولات مستميته للتفوق على نفسه عن طريق المسابقات من ناحية والمدارس التكميلية من ناحية أخرى كان من الطبيعى أن يتفوق على نظرائه على المستوى العالمى . ولا غرابة إذن أن الشبان اليابانيين فى الإختبار الدولى للعلوم (International Science Test) للشبان من أعمار عشرة إلى أربعة عشرة عاماً ويشمل ١٩ دولة صناعية أحرز هؤلاء الشبان اليابانيون تفوقاً ظاهراً على أقرانهم من الدول الأخرى . وقد أحرز الشبان اليابانيون من أعمار عشر سنوات الترتيب الأول فى الاختبارات التمهيدية » (Subtests) فى علوم الأرض ، والكيمياء ، والبيولوجى ، وأثبتوا أنهم الأوائل فى الفهم والتطبيق وفى العمليات الذهنية ذات المستوى الأعلى . أما الشبان اليابانيون من عمر ١٤ عاما فقد جاءوا فى المرتبة الثانية بعد أقرانهم من المجريين فى علم الأحياء ، ولكن جاء ترتيبهم الأول فى الطبيعة والكيماء والتطبيقات العلمية[3] .

ومن السمات المميزة لنظام التعليم اليابانى هو أن المدارس فى طول اليابان وعرضها تتعهد بضمان أن كل تلميذ يكون قد حقق بالفعل فى نهاية كل مرحلة دراسية حداً أدنى من المستوى التعليمى ولا يستثنى من ذلك تلميذ واحد . وليس هناك أى تسرب تعليمى فى أى

---

(1) Vogel, E. Ibid P. 163.

(2) Vogel, E. Ibid. PP. 163, 164.

(3) Vogel, E. Ibid. P.P. 163 . 164.

مرحلة من المراحل أو سنة من السنين رغم أن ذلك يشكل عبئاً ثقيلاً على المدرسين . ونجد الأمريكين مثلا أكثر استعداداً للقبول بحرمان بعض الطلبة المتعثرين من التعليم فى حين يبذل المدرس اليابانى قصارى جهده ليطمئن إلى أن كل طالب فى الفصل قد حقق مستوى معينا قبل نهاية العام الدراسى ، ويعمد المدرس فى هذا الخصوص إلى حشد جهد الطلبة الآخرين وأولياء أمور الطلبة لمساعدة الطلبة المتعثرين لأن المدرس اليابانى يعتبر نفسه ليس مسئولاً فقط عن تقديم المادة لعلمية للطالب وإنما مسئولا كذلك عن التأكد من أن الطالب قد استوعب علومه بالفعل(١) .

ونظراً لدرجة التجانس غير العادية فى الشعب اليابانى وبالتالى فى مؤسساته التعليمية يضاف إلى ذلك نوعية عالية من التعليم والتدريب للتلاميذ فى مرحلتى التعليم الأساسى والثانوى اللذين توليهما اليابان أهمية قصوى ، فإن ذلك يزود اليابان بإمدادات لا تبارى من القوة العاملة مهيأة للعمل فى الشركات الصناعية التى تتلقفهم وتصقلهم بمهارات أكثر تخصصا فى مواقع العمل .

وعلى أية حال فقد درج اليابانى على النظر إلى العمل اليدوى على أنه لا يتضمن أى قدر من المهانة بعكس الحال فى بعض الأقطار الأخرى ، فالمدارس اليابانية على سبيل المثال تستخدم اعداداً أقل فى أمور النظافة بالمقارنة بالمدارس الأمريكية ، وذلك لأن المدرسين والطلبة يتقاسمون العمل الخاص بالنظافة فى مدارسهم .

ولكى يتضح لنا الأثر الحاسم الذى تركه النظام التعليمى فى تهيئة اليابان لانطلاقها وتحقيق « معجزتها » التى أثارت انتباه الباحثين فى العالم أجمع دعنا نعرض إلى تركيبة المجتمع اليابانى وكيف تأثرت تأثراً جذريا مهد الطريق واسعا أمام إنطلاقة هذا الشعب فى المجالين الصناعى والتكنولوجى وبالتالى الازدهار الإقتصادى الذى أخذ شكل المعجزة . فلقد تميزت تركيبة المجتمع اليابانى منذ نشأته الأولى بميل فطرى واضح الى أن ينقسم هذا المجتمع رأسيا إلى مجموعات « هيراركية » هرمية على حساب العلاقات الأفقية . هذه التقسيمات الطبقية بدأت تخف حدتها منذ أجبر الغرب اليابان على فتح أبوابها للمؤثرات الغربية فى منتصف القرن التاسع عشر كما رأينا فى الفصل الأول . وواقع الأمر ، فإن هذه التقسيمات الطبقية الصارمة قد بدأت فى التلاشى بفضل تنفيذ النظام التعليمى الموحد على مستوى اليابان بأسرها – هذا النظام التعليمى الموحد قد حول اليابان إلى واحدة من أشد

---

(1) Vogel, E. Ibid. P. 175.

المجتمعات مساواة فى العالم . فالتعليم الإجبارى من ناحية ، والامتحانات الصارمة من ناحية أخرى جعل اليابان تتحول من مجتمع إقطاعى يستند على الطبقية والمحسوبية إلى مجتمع يستند على الكفاءة والمقدرة . كذلك يرجع الفضل للنظام التعليمى الذى بدأ منذ عهد الميجى إلى علو نسبة الملمين بالقراءة والكتابة بدرجة تجعل اليابان فى مصاف أعلى الدول فى هذا المجال . وهو الأمر الذى يسَّر على اليابان منذ بداية نهضتهم مجابهة التحدى أمام أساليب الغرب التكنولوجية وقدرتهم على تبوأ مركز القيادة اليوم فى عديد من المجالات . والحقيقة الواضحة أيضا أنه لم يكن هناك عامل مركزى هام فى نجاح اليابان الحديثة أكثر من نظامها التعليمى .

وواقع الأمر ، أنه حتى فى أواخر عهد شوجنية التوكوجاوا كان اليابانيين قد تجاوزا كلا من الصينيين والكوريين فى القراءة والكتابة والمؤسسات التعليمية . ولكن معظم التعليم فى عهد التوكوجاوا كان تعليما خاصا فى غالبيته . وبحلول أواسط القرن التاسع عشر كانت معظم الاقطاعيات ملحقاً بها مدارس خاصة « بالدوميين » الاقطاعى تخص طبقه الساموراى النبيلة ، وكان هناك ما يزيد على الألف « أكاديمية » خاصة يلتحق بها بعض أعضاء الشعب جنبا إلى جنب مع شبان الساموراى . وإلى جانب ذلك كانت توجد عشرات الألوف من المؤسسات التعليمية التى أطلق عليها اسم التيراكويا (Terakoya) كمدارس للمعبد نظرا لموقعها إلى جانب المعابد البوذية .

وقبل حلول منتصف القرن التاسع عشر أيضا كان هناك أكثر من ٤٥ ٪ من السكان الذكور يجيدون القراءة والكتابة ونحو ١٥ ٪ من الاناث يجيدونها . وهذه النسب لم تكن تقل بحال من الأحوال عنها فى أشد دول العالم الغربى تقدما فى ذلك الوقت[1] . وعموما فإنه فى عام ١٩٠٧ تمكنت اليابان من ادخال كافة أبنائها إلى المدارس . وكان الالتحاق بالتعليم إجباريا وبالمجان تماما خلال السنوات الدراسية الستة الأولى فى المدرسة الابتدائية . وبعد هذه السنوات الست بدأ يتشكل النظام التعليمى للصفوة عبارة عن خمس سنوات للمدارس المتوسطة ينفصل فيها الذكور عن الاناث ويسير معها بالتوازى ولمدة خمس سنوات كذلك نوع آخر مع التعليم الفنى (الأدنى) ، ثم بعد ذلك ثلاث سنوات للتعليم الثانوى الأعلى (High School) للذكور فقط على غرار ما كان متبعا فى مدارس الچيمنازيوم الألمانى أو الليسية الفرنسى . ثم هناك مدارس للتعليم الفنى (الأعلى) . وفى النهاية ، كان هناك التعليم الجامعى لثلاث سنوات أو أربع طبقا لنوع التخصص . وكانت المدارس الثانوية الأعلى High Schools بمثابة فترة اعداد صرفه للتعليم الجامعى[2] .

---

(1) Reichauer, E. The Japanese Today P. 187
(2) Reichauer, E. Ibid. P. 188.

- **النظام التعليمى بعد الحرب العالمية الثانية**

وبعد الحرب العالمية الثانية أعيدت بنية التعليم اليابانى من جانب قوات الاحتلال لكى تتواءم مع أسلوب الفكر الأمريكى ولكى لا تغلب على نظام التعليم اليابانى سمة تعليم الصفوة ليكون من ثم أكثر ملاءمة لنسق المجتمع اليابانى الجديد الذى يولى جماهير الشعب اهتماما أكبر . وبدلاً من نظام ستة / خمسة / ثلاثة / ثلاثة ، الذى كان سائداً قبل الحرب فإن العدد المقابل بالنسبة لمراحل التعليم : أصبحت على التوالى : التعليم الأولى ثم الأوسط والأعلى ، ثم الجامعة أى حل محله النظام التعليمى الأمريكى : ستة / ثلاثة / ثلاثة / أربعة أى ست سنوات أولية ثم ثلاثة للمدارس الثانوية الأولى (Junior High School) ثم ثلاثة للمدارس الثانوية الأعلى (Senior High School) ثم أربع سنوات للتعليم الجامعى .

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أن الاصلاحات الأمريكية لنظام التعليم اليابانى تضمنت مد نطاق التعليم الالزامى لتسع تمتد داخل التعليم الثانوى الأدنى (Junior High School) وجعلته مجانياً تماماً . وحصيلة ذلك أن أصبح اليابانيون من أعلى شعوب العالم فى التعليم وعلى الرغم من أن مستوى التعليم الجامعى أضعف بعض الشىء عنه فى الولايات المتحدة ، فإن الشعب اليابانى يستوعب أكبر قدر من التعليم الرسمى فى المتوسط عما يستوعبه أى شعب آخر . ورغم أن المستويات العامة للانجاز التعليمى لا يتسنى بسهولة قياسها على مستوى العالم نظرا للحواجز اللغوية فإن اليابانيين مع ذلك وبخاصة فى مجالى الرياضيات والعلوم يحتلون المركز الأول فى غالبية مباريات الانجاز الدولية فى هذين المجالين[1] .

والآن تؤكد الاحصائيات الرسمية أن الهيكل التعليمى المدرسى اليابانى الإجمالى الذى يتكون من نحو ١ر٣ مليون مدرس يتولون التدريس لنحو ٢٧ مليون تلميذ تضمهم ٠٠٠ر٦٦ مدرسة تقع بكاملها تحت السيطرة الدقيقة والصارمة لوزارة التعليم من ناحية ووضع البرامج الدراسية ، والكتب المدرسية ، ومرتبات المدرسين ومكافآتهم وعلى الرغم من تلك الصرامة ، ووحدة المناهج مما قد تجده كثير من المجتمعات الأخرى كنوع من القهر - إلا أن الحقيقة الهامة تظل قائمة من أن هناك مستويات عليا عامة قد أرسيت دعائمها للجميع على حد سواء، وأن الكل يسعى إلى التوصل إليها . ومما يدل على العناية الفائقة بالتعليم هو أن الغالبية الساحقة من الأطفال اليابانيين (٩٢٪ منهم) يحضرون دوراً للحضانة حيث تبدأ العملية التعليمية فى مرحلة مبكرة . وكل فرد يابانى يتلقى على أقل القليل تسعة سنوات من التعليم الأساسى الإجبارى . ثم تنخرط الغالبية العظمى فى التعليم الثانوى ، وهى نسب تتفوق على

(1) Reichauer, E. Ibid. P. 190

كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وغالبية الأقطار الصناعية المتقدمة الأخرى . ونتيجة ذلك هو أن ليس من اليابانيين الآن من لا يجيد القراءة والكتابة سوى نسبة شديدة الضآلة تبلغ ٧ر٠٪[1] .

ومرة أخرى فإن حصيلة هذا النظام التعليمي الصارم في المرحلتين الإبتدائية والثانوية هو أن الشبان اليابانيين يحققون فوزاً ساحقاً فيما يسمى الآن بالإختبارات العالمية ذات القياس الموحد (International Standardized Tests) التي تقيس القدرات الحسابية أو العلمية (خصوصاً وأن جانباً كبيراً مما يدرسونه في هذه المجالات وحتى في مستويات اختبار الذكاء الموحد ، فإن الطالب الياباني المتوسط يسجل ١١٧ نقطة بالمقارنة بما يسجله الطالب الامريكي والأوروبي وهي ١٠٠ نقطة[2] .

يلاحظ أنه بالنسبة للتعليم العالي في اليابان أن الإهتمام لم يكن بنفس القدر الذي وجه للمراحل التعليمية الأولى ، فلم يكن نصيبه في مجمل ما تم تخصيصه للتعليم إجمالاً بمثل ما تخصصه الدول الصناعية الكبرى من إجمالي ميزانية التعليم لديها للتعليم العالي . لذلك فإن الجامعات اليابانية لم تحرز تفوقاً مبهراً في الابحاث المبوعة . ممثلاً في عام ١٩٨٧ لم تحصل اليابان إلا على أربعة جوائز نوبل في العلوم مقارنا ذلك بما حصلت عليه الولايات المتحدة وهو ١٤٢ جائزة من هذا النوع . على أن الأمر قد يشهد تغيراً في المستقبل القريب بدأت اليابان تخصيص مبالغ أضخم للابحاث الصرف عما كان عليه الحال فيما مضى .

---

(1) Kennedy. P, Preparing for the Twenty First Century. P. 139.

(2) Kennedy P. Op. Cit, P. 140

خاتمـــة

لقد قيل الكثير عن المعجزة اليابانية فقد قال البعض أنه نظرا لأنها معجزة ، فإن المعجزات تؤخذ كما هى ، وإلا لما كانت كذلك وأنه من ثم يستحيل تطبيق هذه التجربة اليابانية الفريدة مرة أخرى على شعب من الشعوب من باب الاستفادة منها ، الا أنه من خلال بحثنا هذا نستطيع أن نضع اصبعنا على عدة عناصر رئيسية نرى انها لعبت الدور البارز فى نهضة اليابان .

بادىء ذى بدء نقول أن معجزة اليابان تتمثل بالأحرى فى « معجزة انطلاقها » أى أن نقطة الانطلاق الأولى والسليمة هى التى حكمت بقية المسيرة . فكما هو الحال بالنسبة للفرد يكون الأمر بالنسبة للأمة ، ذلك أن التوجية السليم للفرد فى مستهل حياته يحكم مسيرة مستقبلة كله . فقد كانت انطلاقة مدروسة على أسس علمية واقتناع كامل من الشعب باسره .

وقد رأينا أن جدية الشعب اليابانى نفسه ونظرته الجادة للأمور هى التى بوأته هذه المكانة يضاف إلى هذه الجدية قدر مناسب من المرونة والتصرف أثناء اتخاذ القرار . ولعلنا لا نرسل القول على عواهنه ، فهذا أحد المفكرين الغربيين يدلى برأيه فى هذا الشعب - بعد نهضة الميجى مباشرة فيقول : « ان هذا العنصر لا يجب الخلط بينه وبين عناصر الشعوب الأخرى المتراخية من عناصر شعوب الشرق . ان هذا الشعب اقلهم كذبا ، واكثرهم اعتزازا بمعنى الشرف ، ونحن نعرف أنه عندما جاء الوفد اليابانى لزيارة باريس تميزت نظرته عن بقية الوفود ، فلا الاوبرا ، ولا الباليه ، ولا سباق الخيل شد انتباهه ، ولقد تقدم الوفد الى رجال مكتبتنا - ولشدة دهشتهم - لطلب افضل الكتب الحديثة فى الكيمياء والطبيعة ، والاختراعات الحديثة ، وكان اشد ما ألهب مشاعر هذا الوفد واثار اعجابه التلغراف وأسلوب تشغيل المطبعة الوطنية[1] .

وفى مجال الجدية فلعلنا نسوق مثالا معبرا عن انجاز تم فى العشر سنوات من ١٨٩٠ - ١٩٠٠ اذ ما أن قررت اليابان فرض الخدمة الاجبارية حتى استطاعت زيادة جيشها من ٤٥٫٠٠٠ إلى ٣٠٠٫٠٠٠ كما رفعت اسطولها من ٢٥ سفينة حربية إلى ٩٠ سفينة مجهزة أحدث تجهيز بما فى ذلك زوارق الطوربيد وهزمت الصين مرتين واستولت على فرموزا ، واما

---

(1) Labroue, E. Le Japon Contemporain P: 310.

فى الحقل التعليمى فكان لليابان انجاز فريد فى مدى أربع سنوات فى الفترة (١٨٩٣ - ١٨٩٧) فما أن قررت التعليم الالزامى حتى بلغ عدد طلبة هذه المرحلة مليون تلميذ .

وفى أعقاب ثورة الميچى اصدرت الحكومة اليابانية فى طوكيو قاموسا ضخما بخمس لغات هى : اليابانية ، والفرنسية ، والانجليزية ، والألمانية ، والهولندية . وكان ملحقا به مجموعة من الخرائط التوضيحية والأشكال معدة بعناية فائقة ، والغريب أن هذا القاموس كان من تأليف أحد كبار القادة العسكرين اليابانيين الذى كان يزور العاصمة الفرنسية والذى عكف على دراسة الحضارة الفرنسية بشغف وعمق[1] . وكنا قد سبق لنا الاشارة إلى أن العسكرين اليابانيين وبدايتهم رجال الساموراى قد صاروا عشاقا للعلم وأيضا للتجديد والابتكار .

أما عنصر المرونة فى اخلاقيات هذا الشعب ، فنذكر فى هذا المجال أن اليابان عبرت فى مستهل نهضة الميچى بقفزة واحدة المسافة التى تفصل ما بين الدولة الاقطاعية إلى الدولة الديمقراطية المتقدمة . وتم ذلك التحول الجذرى - بفضل هذه المرونة - دون حدوث أية ثورات. فنجد أن الميكادو (Mikado) الذى كان بالأمس فقط ملكا محاطا بالغموض والمهابة محتجبا عن كل الأعين قابعا فى أعماق قصره المنيف ، ظل كما هو بعد ثورة الميچى - امبراطورا ، ولكن بعد هذا التحول الفجائى نجده يتجول فى سيارة مكشوفة فى شوارع ايدو (طوكيو) ، ويقوم بدعوة رجال السلك الدبلوماسى إلى المآدب التى يقيمها ، ويلقى خطب الافتتاح لدى مد الخطوط الحديدية الجديدة . ثم نجد مثلاً آخر فى المرونة حينما اصدر الامبراطور « ميچى » أوامره بأنه سوف يجمع السلطة فى يديه فينتهى نظام الشوجنية إلى غير رجعة . أما امراء الاقطاع (رجال الدايميو) بما لديهم من قوات الساموراى (حملة السيوف) ، فإن هؤلاء يذعنون لأوامر الامبراطور ويتنازلون عن امتيازاتهم ليتحولوا بعصا سحرية إلى موظفين فى الدولة ، وليتحول رجال الساموراى إلى محبين للعلم شغوفين به ، الأمر الذى لا يتوافر عادة لدى العسكريين على مستوى العالم .

هذه المرونة فى تقبل التغيير كتبت لهذا الشعب قدرا كبيرا من الثبات فى تاريخه القديم والحديث ولعل هذا ما دفع بعض الكتاب الغربيين إلى القول عن هذا الشعب فى مستهل

---

(1) Labroue, E. Ibid. P. 152

نهضة الميجى : « ان الاسرة الحاكمة الآن لليابان هى امتداد للحكم الامبراطورى فى بنيانه الأساسى الذى يرجع إلى ٢٥٠٠ سنة خلت دون انقطاع وظل هذا الحكم دون أية تقلبات تصيبه ، فلقد اختفت روما ، وشهدت كل من البرتغال ، واسبانيا وهولندا انهيار امبراطورياتها الاستعمارية المترامية ، وظلت اليابان دوما شامخة . وصحيح أن التحولات التى كانت تحدث لها احيانا كانت تزعزع من بنيانها لكنها لم تدمرها[1] » . اذن هذه المرونة كتبت للشعب اليابانى الاستقرار ، ولا غرو اذن أن شرط التسليم الوحيد الذى اشترطته اليابان بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية كما رأينا هو عدم المساس بقدسية الامبراطور ومركزه .

لقد اعطينا الاولوية الأولى للشعب نفسه بما فيه من صفات أصيلة ، ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نتجاهل العنصر الجغرافى ، فموقع اليابان من هذه الناحية فى منتصف الطريق بين سان فرانسيسكو ولندن عبر المحيط الهادى وروسيا جعل اليابان وقد اكملت سلسلة الدول المتحضرة فى نصف الكرة الشمالى وصارت بذلك بمثابة همزة الوصل بين شرقى العالم وغربه . وعن طريق البحر تستطيع اليابان السيطرة على كافة الطريق المؤدية الى جزر الملايو واستراليا والهند الصينية والدول الساحلية الواقعة على المحيط الهادى . ولكن كم من دولة تمتعت بموقع جغرافى فريد لكنها صارت ضحية هذا الموقع دون أن تفيد منه بمثل ما افادت اليابان .

تلك كانت معجزة الانطلاقة أى أن اليابان انطلقت بعلم استوعبته من الغرب بعد أن آمنت بحتمية حيازته للانتصار على الغرب الغازى من ناحية ، ولبناء نهضتها الحديثة من ناحية أخرى . لكنها هضمت هذا العلم هضما وامتصته امتصاصاً ليصير جزءاً من كيانها وليفقد صلته بمصادره الأولى أى ليكون تراثا يابانيا ، بمعنى آخر فهى نقلت قاعدة العلم والتكنولوجيا الغربية – وليس مظاهرها أو جانبا منها – لكى تخرجه يابانيا .

والدليل على سلامة الانطلاق واصالتها أن اليابان بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية عادت تبنى نفسها بسهولة ويسر وان كان ذلك بكيفية جديدة ، فما أن مدت لها الولايات المتحدة العون المادى – لاسباب سبق بيانها – حتى شرعت اليابان فيما يمكن أن نسميه « بالتفوق السلمى » . ولعلنا لا نزال نذكر كيف تزايد معدل النمو الاقتصادى سنويا فى

---

(1) Labroue, E. Ibid. P. 315

المتوسط بنسبة ١٠٪ فى الفترة من ١٩٥٠ - ١٩٦٢ على مدار نحو خمسة عشر سنة متواصلة .

ولقد يثور السؤال ، ألم تكن هناك ضربات حظ فى تاريخ هذا الشعب يسرت أمامه سبيل نهضته فجعلتها بهذه الصورة ، صورة المعجزة ؟ حقيقة الأمر أنه كان هناك عنصر الحظ خاصة بعد الحرب العالمية الثانية تمثل فى أمرين : الأمر الأول أن الاختراعات الفنية الحديثة والعديدة على مستوى العالم وظهور المنتجات الاصطناعية مثل الكاوتشوك الصناعى ، والنايلون وغيرها جعلت اليابان فى غنى عن موارد المواد الخام التى تفتقر اليها بشدة نظرا لعدم احتواء أراضيها على مثل هذه المواد . الأمر الثانى تمثل فى الثورة الفنية فى وسائل النقل على شكل بناء الناقلات البحرية العملاقة التى وفرت فرصة فريدة أمام الدول الصغرى كاليابان فجعلتها فى وضع أفضل من هذه الناحية عما هو الحال بالنسبة لنقل الخّام والسلع بالطرق البرية .

وفى النهاية فإن العناصر الأربعة الرئيسية التى تتميز بها الشخصية اليابانية وهى - فى رأينا - حب أصيل للعلم ونقله ، وشدة التجانس بين عناصر الأمة نتيجة فترة العزلة والموقع الجغرافى ، ولّدا بالضرورة العنصر الثالث وهو شدة الإنضباط بمايجعل جموع الشعب اليابانى تعمل وكأنها على موجة واحدة ، وإذا أضفنا إلى ذلك العنصر الرابع وهو شدة المرونة مما لمسناه فى ثنايا هذا الكتاب لكان حصيلة كل ذلك عنصر إضافى أفاد اليابان على طول تاريخها ، وهو مهارة يابانية فائقة فى إصطياد ضربات الحظ فى حينها نتيجة التنبؤ بوقوعها والتهيؤ من ثم للإفادة منها ، بمثل الطالب الذى أحاط بأطراف مادته وأجاد استذكارها فهو لا يقوم فقط بتحضير الإجابة ، وإنما تصبح لديه الفراسة فى تخيل الأسئلة أيضا .

ومن جهة أخرى وجدنا تاريخ الصين ملىء بالثورات والاضطرابات ، فقد قاومت عملية الانفتاح ، وكان همها الأكبر صد العدوان الخارجى بأكثر مما اهتمت بنقل ما لدى الغرب من اسباب التقدم . فقد قدمت الصين للعالم اشهى أنواع الطعام وهو الأرز وألذ أنواع الشراب وهو الشاى وأبهى أنواع الثياب وهو الحرير . واقامت حضارة تليدة عريقة ، وتمتعت على طول تاريخها القديم بحكومة مركزية يدور فى فلكها عدد من دول المنطقة وكانت الاستاذ والمعلم بالنسبة لليابان ، نقلت عنها اليابان أول عملية نقل حضارى كما أوضحنا فى صفحات هذا المؤلف ، ثم قامت بعملية النقل الثانية عند ثورة الميجى ، وكانت عملية النقل هذه المرة من أوروبا وأمريكا .

فالصين بكبريائها كانت تشعر بالتعالى - ولعلنا لا نزال نذكر مشكلة « الكاوتاو » - هذا التعالى وقف حائلا فى سبيل نقلها للحضارة الغربية كما فعلت اليابان ثم لم تنقل من اليابان

ما نقلته هذه الاخيرة من الغرب . وتعرضت الصين فى تاريخها الحديث لحرب دامية مع اليابان استغرقت الفترة ١٩٣٧ - ١٩٤٥ . ورغم أن سياسة الولايات المتحدة تجاهها كانت ترمى الى اعادة بناء الصين من أجل القيام بدور ايجابى لحفظ السلام فى منطقة الشرق الأقصى ومعادلة القوة اليابانية الصاعدة . فإن الجهود التى بذلتها الولايات المتحدة لانشاء حكومة صينية ائتلافية من الوطنيين والشيوعيين لكسب الحرب ضد اليابان باءت بالفشل . وبدأت رؤوس الأموال الامريكية تتدفق على الصين على شكل استثمارات صناعية بلغت مليار دولار[1]. الا أن سياسة تشيانج كاى شيك كانت ترى اخضاع الصينيين الشيوعيين بالقوة بينما كانت الولايات المتحدة مترددة فى ذلك ، وكان هذا التردد من ناحية وفساد الكومنتانج من ناحية أخرى من أهم أسباب انتصار الشيوعيين .

ولقد سقطت بكين فى قبضة الشيوعيين فى يناير ١٩٤٩ ثم ما لبث الشيوعيون أن اعلنوا قيام « جمهورية الصين الشعبية » فى سبتمبر ١٩٤٩ . وانحازت الصين على لسان ماوتسى - تونج إلى جانب واحد جانب الاتحاد السوفيتى . وكانت الولايات المتحدة تدرك أن الكبرياء الصينى وعدم التجانس الحضارى بين الحليفين سوف يؤدى إلى حدوث صدع بينما ومع ذلك فقد استمرت العلاقات متوترة بين الولايات المتحدة والصين على مدى نحو عشرين سنة . وصدق الحدس الامريكى ، اذ أن الصين لم ترض بدور التابع للاتحاد السوفيتى فحدث الصدع بين الحليفين ابتداء من عام ١٩٦٠ .

ونود الاشارة إلى أن احتضان الولايات المتحدة والغرب بوجه عام لتشيانج كاى شيك ورفضها الاعتراف بحكومة الصين الشعبية وكذلك الاصرار على أن تظل جزيرة فرموزا بعيدة عن النفوذ الشيوعى إنما كان يتفق مع المخطط العسكرى الامريكى الذى فرضته الولايات المتحدة على الصين ، إذ تمثل فرموزا حلقة فى سلسلة القواعد العسكرية الامريكية التى تمتد من أوكيناوا شمالا حتى جزر الفلبين جنوبا ، لذلك فان سقوط فرموزا فى يد الصين الشعبية كان من شأنه إضعاف هذه السلسلة الدفاعية .

ولقد رأينا فى الفصل الثانى من الباب الثالث أن من أهم عناصر الشقاق بين الاتحاد السوفيتى والصين هو عدم وفاء الاتحاد السوفيتى بالمعونة النووية الكاملة للصين لذلك لم يكن غريبا أن يلوح الرئيس الامريكى ريجان عند زيارته للصين عام ١٩٨٤ بالتعاون النووى الامريكى - الصينى . ولم يكن غريبا أيضا أن تثير الصين مسألة فرموزا التى وقفت حائلا دون تحسين العلاقات بين الجانبين - هذه المسألة التى خلقتها الولايات المتحدة للصين بوضعها اسطولها السابع بين فرموزا وجمهورية الصين الشعبية كما تمت الاشارة اليه .

---

(١) . محمد محمود السروجى : سياسة الولايات المتحدة الخارجية ١٣٦ .

مصادر خاصة بفترة البحث

أ - المصادر العربية

١ - البطريق عبد الحميد د . نوار عبد العزيز د . التاريخ الأوروبى الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . دار النهضة العربية ١٩٧١ .

٢ - السروجى ، محمد محمود د . سياسة الولايات المتحدة الخارجية الاسكندرية ١٩٤٥ .

٣ - الصينى ، بدر الدين : العلاقات بين العرب والصين ، الطبعة الأولى النهضة - القاهرة ١٩٥٠ .

٤ - بيرفيت الان : يوم تنهض الصين يهتز العالم ، ترجمة هنرى زغيب بيروت ١٩٦٤ .

٥ - بين تشستر : الشرق الاقصى ، موجز تاريخى ، ترجمة حسين الحوت ومراجعة فريد عبد الرحمن (الالف كتاب) .

٦ - تيدمان آرثر : اليابان الحديثة : ترجمة وديع سعيد ومراجعة على رفاعة الانصارى (الالف كتاب) .

٧ - جوهر ، حسن محمد ، وبيومى عبد اللطيف الصين - مجموعة شعوب العالم دار المعارف بمصر .

٨ - ديورانت ول : قصة الحضارة ، الجزء الرابع من المجلد الأول (الصين) ترجمة محمد بدران (الطبعة الثالثة) ، والجزء الخامس من المجلد الأول (الشرق الاقصى - اليابان) ترجمة د . زكى نجيب محمود (الطبعة الثالثة) .

٩ - رونوفان بيير : تاريخ القرن العشرين ترجمة د . نور الدين حاطوم . دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٩٨٠ .

١٠ - زيتون ، محمد محمود الصين والعرب عبر التاريخ دار المعارف القاهرة ١٩٦٤ .

١١ - فيشر هـ . م . ل : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠) تعريب أحمد نجيب هاشم ، ووديع الضبع .

١٢ - نوار عبد العزيز د . نعنعى عبد الحميد التاريخ المعاصر ، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية .

ب - المصادر الاجنبية

1 - Barnett, A.D. Communist Strategies in Asia. 1963.

2 - Barnett, A.D. China and the Major Powers in East Asia. Washington 1977.

3 - Barnett, A.D. Communist Economic Strategy : The Rise of Mainland China Washington 1959.

4 - Barnett, A.D. Communist China and Asia Challenge to American Policy Washington 1960.

5 - Bersihand, R. Histiore du Japon des Origines á nos jours paris 1959.

6 - Danovan, R.J. Tumultuous Years, the Presidency of Harry -S- Truman (1949 - 1953) 1982 .

7 - Dubarbier, G. La Chaine Moderne - Paris 1966.

8 - Emmerson, J.K. Arms. Yen and Power - New - York 1979.

9 - Fairbank, J.K. Chinabound, A fifty - Year Memoir, 1982 .

10 - Gibney, F. Japan, The Fragile Super - Power, New - York 1975 .

11 - Giffard, S. Japan Among the Powers (1890 - 1990), London 1994.

12 - Grew, J.C. Dis ans au Japon - Paris (Sd).

13 - Grousset, R. La face de I'Asie - Paris 1955 .

14 - Kalb, M. Kissinger, ses Origines, sa formation, son accension, son apogée. Paris 1974.

15 - Kennedy, P. The Rise and Fall of the great Powers, New York, 1989.

16 - Kennedey, P. Preparing For The Twenty - First Century. New York, 1993.

17 - Labroue; E. Le Japon Contemporain - Paris 1901.

18 - Link, A. Catton, W. American epoch, A history of the United States Since 1900 Vol. 11 1963.

19 - Link, A. Catton, W. American Epoch. A history of the United States Since 1900 Vol. III The era of the cold war (1946 - 1973).

20 - Mende, T, La Chine et son Ombre.

21 - Morton, W.S., Japan, Its History and culture. London 1973.

22 - Morton, M. Histoire des Grandes Puissances de (1918 - 1958) Paris 1958.

23 - Mowry, G. The era of Theodore Roosvelt (1900 - 1912) New - York 1958.

24 - Oslan, L. Japan in Post - War Asia New - York 1970.

25 - Plantagenet, S.F, The History of The World.

26 - Reischauer, E.O. Histoire du Japon et des Japonais, Paris 1973.

27 - Reischaurer, E.O. The Japanes, London 1977.

28 - Reischaurer. E. O, The Japanese Today, London, 1988.

29 - Renouvin, P. Les Transformations de la Chine et du Japon du Milieux xix siécle á 1922.

30 - Sewards,J. The Japanes, New - York 1972.

31 - The New Cambridge Modern History Vol XII (second ed)

32 - Thurow, L. Head To Head, The Coming Economic Battle Among, Japan, Europe and America London 1993.

33 - Vogel, E. Japan As No 1. Tokyo 1979.

34 - Wang, P.N. L'Asie Orientale de 1840 á Nos Jours. Paris 1970.

35 - Warner, M. The Dragon Empress (Life and Time of Tsu-hsi, 1835 - 1908) Milano 1972.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٩٨٨/٢٦٣١

مطابع غباشى بطنطا – ت ٣٢٤٨٩٨

- هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ يقع ضمن منهج السنة الثالثة لطلاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية . غير أن القارئ المهتم بدراسة هذه ا[illegible] قد يجد فيه بغيته فى التعرف على تاريخها .

- والكتاب محاولة لإلقاء الضوء على عملاقى الشرق الأقصى وهما الصين واليابان . فيعرض لعملية الاقتحام الغربى لعزلة كل منهما فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر ، ورد الفعل من جانب هذين العملاقين . فاليابان استجابت بسرعة مذهلة مدركة حاجتها لعلوم الغرب ، وتمثل ذلك فى ابرام معاهدة كاناجاوا ١٨٥٤ . أما الصين فقاومت باصرار وكبرياء هذا الاقتحام وظلت تحاربه ابتداء من حرب الأفيون حتى المعاهدات غير المتكافئة إلى أن قامت بثورتها عام ١٩٤٩ بقيادة ماو تسى - تونج وانحازت إلى الإتحاد السوفيتى ، وما لبثت أن دخلت معه فى صراع ابتداء من ١٩٦٠ حتى اليوم .

- ولما اشتد عود اليابان بعلوم الغرب دخلت فى صراع مع الصين ثم مع الاتحاد السوفيتى ثم مع الولايات المتحدة . وكانت الولايات المتحدة تحارب اليابان خوفا من سيطرتها على المنطقة إلى أن هزمتها فى الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ . ولما انحازت الصين للكتلة الشيوعية لم تجد الولايات المتحدة سوى اليابان لتصد المد الشيوعى فسارعت ببذل المعونات لليابان التى كانت سريعة الإستجابة رغم تدميرها بالقنبلة الذرية لأنها كانت قد أرست مع ذلك الأسس القوية لإنطلاقتها ، وظلت تنمو علمياً واقتصادياً وتكنولوجياً دون انقطاع من عام ١٩٥٠ حتى يومنا هذا مما حقق لها تقدما لا يزال يذهل العالم يوماً بعد يوم .